هَدْيُ النبيِّ في تسبيح المَلِك العَلِي

الأستاذ الدكتور

أحمد الخضر عبد الحميد الجوهري

أستاذ الحديث المساعد في كلية أصول الدين فرع جامعة الأزهر بالمنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله مِن شُرور أنفُسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبده ورسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [2]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [3]".

([1]) سورة آل عمران، الآية (١٠٢).

([2]) سورة النساء، الآية (١).

([3]) سورة الأحزاب، الآيتان (٧٠، ٧١)، وهذه المقدمة تُعرف بخطبة الحاجة، وكان النبي ﷺ يُعلمها أصحابه كما قال عبد الله بن مسعود ﷺ، وذكر أبو داود الطيالسي بعد روايته لحديثها قول شعبة بن الحجاج، قال: قلت لأبى إسحاق السبيعي هذه في خطبة النكاح أو في غيرها ؟ قال : في كل حاجة، وقد أخرجها الأئمة من حديث ابن مسعودﷺ بألفاظ متقاربة لما ذكرته وبعضهم ذكر الآيات وبعضهم لم يذكرها، وهذا لفظ ابن ماجه، وقد أخرج هذا الحديث أبو داود، كتاب النكاح، بابٌ في خِطبة النكاح (٢٤٥/٢ ح ٢١١٨)، والترمذي، كتاب النكاح، باب ما جاء في خِطبة النكاح (٤١٣/٣ ح ١١٠٥)، وقال: هذا حديث حسن، والنسائي، كتاب النكاح، باب ما يستحب من الكلام عند النكاح (٨٩/٦ ح ٣٢٧٧)، وابن ماجه، كتاب النكاح، باب خِطبة النكاح (٦٠٩/١ ح ١٨٩٢)، وأحمد (٣٩٢/١ ح ٢٧٢٠)، والدارمي، كتاب النكاح،

أما بعد:

فإن الاشتغال بالعمل في ميْدان السنة النبوية هو عمل أتباع الأنبياء وورثتهم، أسأل الله أن يُلحقنا بهم.

ومن هذا المنطَلَق وسيْراً على درْب أهل العلم في خدمة السنة النبوية المطهرة يأتي هذا العمل المتواضع في جانب من جوانب السنة النبوية المشرَّفة تسمو به الروح وتزكو به النفس ويطمئن به القلب ألا وهو تسبيح الله تعالى وذكْرُه، وسميتُه "هدْي النبي في تسبيح الملك العَلِي" واللهَ أسأل أن يُسَددني في أقوالي وما قصدته منه، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

ومما شرح صدري للكتابة في هذا الموضوع بعد توفيق الله تعالى ما يلي:

١- ما للذكر عموماً والتسبيح خصوصاً من مكانة عالية ومنزلة جليلة لا تخفى على مسلم فضلاً عن أهل العلم، وقد كان التسبيح هو حديث نفوس الصالحين في نومهم ويقظتهم، وهو قُرة عيونهم وعلى رأسهم إمام المرسلين ﷺ، فقد كان يُسَبح الله تعالى الوقت الطويل من الليل حتى تنام عين خادمه ويمل من فرْط طُوله؛ ففي مسند الإمام أحمد بإسناد حسن عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَقُومُ لَهُ فِي حَوَائِجِهِ نَهَارِي أَجْمَعَ حَتَّى يُصَلِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ، فَأَجْلِسَ بِبَابِهِ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ أَقُولُ: لَعَلَّهَا أَنْ تَحْدُثَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حَاجَةٌ فَمَا أَزَالُ أَسْمَعُهُ، يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " سُبْحَانَ اللهِ، سُبْحَانَ اللهِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ "، حَتَّى أَمَلَّ فَأَرْجِعَ، أَوْ تَغْلِبَنِي عَيْنِي فَأَرْقُدَ، قَالَ: فَقَالَ لِي يَوْمًا لِمَا يَرَى مِنْ خِفَّتِي لَهُ، وَخِدْمَتِي إِيَّاهُ: "سَلْنِي يَا رَبِيعَةُ أُعْطِكَ "، قَالَ: فَقُلْتُ: أَنْظُرُ فِي أَمْرِي يَا رَسُولَ اللهِ ثُمَّ أُعْلِمُكَ ذَلِكَ، قَالَ: فَفَكَّرْتُ فِي نَفْسِي فَعَرَفْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ زَائِلَةٌ، وَأَنَّ لِي فِيهَا رِزْقًا سَيَكْفِينِي وَيَأْتِينِي، قَالَ: فَقُلْتُ: أَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لِآخِرَتِي؛ فَإِنَّهُ

بابٌ في خطبة النكاح (٢/١٩١ح ٢٢٠٢)، والطيالسي في مسنده (١/٢٦٤ ح ٣٦٦)، وابن الجارود، كتاب النكاح (ص: ١٧٠ ح٦٧٩).

مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْمَنْزِلِ الَّذِي هُوَ بِهِ، قَالَ: فَجِئْتُ، فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ يَا رَبِيعَةُ؟ ، قَالَ: فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَشْفَعَ لِي إِلَى رَبِّكَ فَيُعْتِقَنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَقَالَ: مَنْ أَمَرَكَ بِهَذَا يَا رَبِيعَةُ؟ "، قَالَ: فَقُلْتُ: لَا وَاللهِ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَمَرَنِي بِهِ أَحَدٌ، وَلَكِنَّكَ لَمَّا قُلْتَ سَلْنِي أُعْطِكَ وَكُنْتَ مِنَ اللهِ بِالْمَنْزِلِ الَّذِي أَنْتَ بِهِ نَظَرْتُ فِي أَمْرِي، وَعَرَفْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ وَزَائِلَةٌ وَأَنَّ لِي فِيهَا رِزْقًا سَيَأْتِينِي،

فَقُلْتُ: أَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لِآخِرَتِي، قَالَ: فَصَمَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَوِيلاً ثُمَّ قَالَ لِي: " إِنِّي فَاعِلٌ فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ[1]". والْهَوِيُّ: بِالْفَتْحِ الحِينُ الطَّوِيل مِنَ الزَّمانِ، وَقِيلَ: هُوَ مُخْتَصٌّ باللَّيل[2].

٢- أن في هذا البحث بعض المسائل التي تحتاج إلى تحقيق وبحث للوصول فيها لرأي واضح كما في التسبيح على المسبحة وصلاة التسابيح، وقد يظن الظان من أول وَهْلة أن هذا الموضوع قد أُشْبع بحثاً، ولكن بفضل الله تعالى قد عالجتُ فيه مسائل مهمة أظن أنها لم تُبْحث بحثاً وافياً، كما تظهره صفحات البحث الآتية.

٣- تحقيق القول في بعض الأحاديث الواردة في هذا الموضوع وبيان درجتها صحةً وضعفاً، لا سيما في مسألتي التسبيح على المسبحة وصلاة التسابيح.

---

(1) أخرجه أحمد (١١٨/٢٧ ح١٦٥٧٩) واللفظ له، ومسلم، كتاب الصلاة، بَابُ فَضْلِ السُّجُودِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ (٣٥٣/١ ح٤٨٩)، وأبو داود، كتاب الصلاة، بَابُ وَقْتِ قِيَامِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ (٣٥/٢ ح١٣٢٠)، والترمذي، أبواب الدعوات، بَاب مِنْهُ (٤٨٠/٥ ح٣٤١٦) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وابن ماجه، كتاب الدعاء، بَابُ مَا يَدْعُو بِهِ إِذَا انْتَبَهَ مِنَ اللَّيْلِ (١٢٧٦/٢ ح٣٨٧٩)، وابن حبان، كتاب الصلاة، باب ذِكْر مَا يَقُولُ الْمَرْءُ إِذَا تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ يُرِيدُ التَّهَجُّدَ (٣٢٨/٦ ح٢٥٩٤)، ولفظ مسلم: قال رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ».

(2) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٨٥/٥).

٤- أن هذا الموضوع مما تتعلق به حاجة المسلم في جميع أوقاته وأحواله، وهو ما يدل على أهميته.

أهداف الموضوع:

١- إحياء الجانب الروحي في حياة المسلم في زمن طغيان المادة.

٢- تنبيه الناس ولفْت أنظارهم إلى عمل يسير ولكن أجره عظيم جزيل.

٣- فتح باب الأمل أمام اليائسين بسبب الذنوب؛ فبتسبيحات معدودات يُخلص فيها المرء لله تعالى يغفر الله ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر.

٤- البدء بالأيسر في أول الأمر يُعين على التواصل والاستمرار والارتقاء في الأعمال ثم القيام بالتكاليف الشرعية.

٥- الوقوف على كثير من المسائل والفوائد الحديثية والفقهية الواردة في باب التسبيح.

٦- معرفة الأذكار والأدعية الواردة عنه ﷺ في جانب التسبيح.

٧- ذكر مناسبات التسبيح المختلفة في السنة النبوية.

٨- التَعَرف على أنواع الذكر والألفاظ الجامعة في جانب التسبيح.

أما عن البحث فقد قسمته إلى المقدمة السالفة الذكر وتمهيد يتضمن آداب الذاكر وسبعة مباحث هي على النحو التالي:

١- معني التسبيح في اللغة وفي نصوص الشرع.

٢- فضل التسبيح ومنزلته.

٣- كيفية العَد في التسبيح هل هو على الأنامل أم على المسبحة؟.

٤- المواضع الفاضلة في التسبيح.

٥- تسبيحٌ لا يُحْصَى عَدُّه من جوامع كلمه ﷺ.

٦- مناسبات التسبيح في السنة وفى طليعتها تسبيح الله تعالى نفسه تنزيهاً وتعظيماً، والتسبيح في الصلاة، والتسبيح في دبر الصلوات، والتسبيح في أثناء التلاوة، والتسبيح في

أثناء الصلاة للأمر العارض، والتسبيح بين يدى الدعاء وعند الكرب، والتسبيح عند التعجب، والتسبيح في دعاء السفر، والتسبيح عند الصعود والهبوط، والتسبيح قبل النوم، والتسبيح في خاتمة المجالس.

٧- صلاة التسابيح والأحاديث الواردة فيها وحكمها.

ومما تجدر الإشارة إليه أن من مهمات البحث ذكر النصوص القرآنية والنبوية في مواضع الاستشهاد، وتخريج الأحاديث والآثار تخريجاً علمياً دقيقاً مع بيان درجتها، وإذا كان في الصحيحين أو أحدهما فإنني أكتفي بالعزو إليهما أو إلى أحدهما؛

فإنه من المقرَّر أن الأصل في العزو إلى الصحيحين أو إلى أحدهما أنه يُفيد الصحة، وإذا كان في غيرهما بينت درجته إما من كلام أهل العلم أو بدراسة إسناد الحديث أو الأثر، هذا وقد علقت على كثير من النصوص القرآنية والنبوية بذكر ما يُبَين المراد منها وأهم ما يستفاد منها من كلام أهل العلم، وغير ذلك من المهمات التي يقتضيها البحث.

تمهيد

وقبل الشروع في البدء في كتابة مباحث هذا الموضوع أرى أنه من المناسب في هذا الموضِع أن أعرض بين يدي البحث تمهيداً مفيداً فيما ينبغي أن يتحلى به الذاكر لله تعالى من الآداب، وقد وقفت على ذلك مبيَّناً في كتاب الأذكار للنووي (رحمه الله تعالى) فأذكره هنا ملخصاً مع تحقيق لبعض الأحاديث والآثار الواردة فيه، فمن هذه الآداب:

١- إخلاص النية لله تعالى في جميع الأعمال عموماً والذكر خصوصاً كما قال تعالى ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ [١] ﴾، وقال تعالى ﴿ إِنَآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ [٢] ﴾، وقال تعالى ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ [٣] ﴾ وقوْل النبي ﷺ كما في الحديث المتفق عليه من حديث أمير المؤمنين عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ[٤]».

---

(١) سورة البينة، الآية (٥).

(٢) سورة الزمر، الآية (٢)، وجزء من الآية (٣).

(٣) سورة الزمر، الآية (١١).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ (١/٦ ح١) واللفظ له، وأخرجه في مواضع أخرى برقم (٥٤، ٢٥٢٩، ٣٨٩٨، ٥٠٧٠، ٦٦٨٩، ٦٩٥٣)، ومسلم، كتاب الإمارة، بَابُ قَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ»، وَأَنَّهُ يَدْخُلُ فِيهِ الْغَزْوُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ (٣/١٥١٥ ح١٩٠٧).

قال النووي: هذا حديث صحيح متفق على صحته، مجمع على عِظَم موقعه وجلالته، وهو أحد الأحاديث التي عليها مدارُ الإسلام، وكان السلف وتابعوهم من الخلف (رحمهم الله) يَستحبُّون استفتاح المصنفات بهذا الحديث؛ تنبيهاً للمُطالع على حسن النيّة، واهتمامه بذلك والاعتناء به، رُوينا عن الإمام أبي سعيد عبدالرحمن بن مهدي (رحمه الله تعالى): مَنْ أَرَادَ أَنْ يُصنِّفَ كتاباً فلْيبدأ بهذا الحديث، وقال الإمام أبو سليمان الخَطَّابي (رحمه الله): كان المتقدمون من شيوخنا يَسْتحبُّون تقديم حديث الأعمال بالنيّة) أمامَ كل شيء ينشأ ويبتدأ من أمور الدين؛ لعموم الحاجة إليه في جميع أنواعها، وبلغنا عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال: إنما يحفظ الرجلُ على قدر نيته[1]،

([1]) أخرجه الدارمي، مقدمة السنن، بَابُ التَّوْبيخِ لِمَنْ يَطْلُبُ الْعِلْمَ لِغَيْرِ اللَّهِ (٣٧٩/١ ح٣٨٧)، والرامهرمزي في الجامع لأخلاق الراوي (٢٥٧/٢ ح١٧٨٠) كلاهما من طريق الْمِنْهَالِ بْنِ خَلِيفَةَ، عَنْ مَطَرٍ الْوَرَّاقِ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «إِنَّمَا يُحْفَظُ حَدِيثُ الرَّجُلِ عَلَى قَدْرِ نِيَّتِهِ» هذا لفظ الدارمي، ولفظ الرامهرمزي «إِنَّمَا يَحْفَظُ الرَّجُلُ عَلَى قَدْرِ نِيَّتِهِ».

قلت: إسناده ضعيف؛ فيه الْمِنْهَالِ بْنِ خَلِيفَةَ، قال ابن معين والنسائي: ضعيف، وقال النسائي مرة: ليس بالقوي، وقال البخاري: صالح فيه نظر، وقال مرة: حديثه منكر، وذكره يعقوب بن سفيان في باب من يرغب عن الرواية عنهم وقال: كنت اسمع أصحابنا يضعفونه، وقال الحاكم أبو أحمد: ليس بالقوي عندهم، وقال ابن حبان: كان ينفرد بالمناكير عن المشاهير لا يجوز الاحتجاج به، وقال أبو داود: جائز الحديث، وقال أبو حاتم: صالح يكتب حديثه، وقال البزار: ثقة، وقال الذهبي: ضعفوه، وقال الحافظ: ضعيف، انظر: تاريخ الإسلام (٢٣٦/٤)، ميزان الاعتدال (١٩١/٤)، تهذيب التهذيب (٢١٨/١٠)، التقريب (ص: ٥٤٧).

وفيه مطر بن طهمان الوراق، قال فيه الحافظ: صدوق كثير الخطأ وحديثه عن عطاء ضعيف، انظر: التقريب (ص:٥٣٤)، وانظر: تهذيب التهذيب (١٦٧/١٠).

وفي شهر بن حوشب الأشعري الشامي كلام، قال فيه الذهبي: تَابِعِيّ مَشْهُور وَثَّقَهُ ابْن معِين وَأحمد بن حَنْبَل، وَقَالَ أَبُو حَاتِم: مَا هُوَ بِدُونِ أبي الزبير، وَقَالَ النَّسَائِيّ وَغَيره: لَيْسَ بِالْقَوِيّ=

وقال غيرُه: إنما يُعطى الناسُ على قدر نيّاتهم، وروينا عن السيد الجليل أبي عليّ الفُضيل بن عِياض (رحمه الله) قال: تركُ العمل لأجل الناس رياءٌ، والعمل لأجل الناس شِركٌ، والإخلاصُ أن يعافيَك الله منهما، وقال الإمام الحارث المحاسبيُّ (رحمه الله): الصادق هو الذي لا يُبالي لو خرج كلُّ قَدْرٍ له في قلوب الخلق من أجل صَلاح قلبه، ولا يحبُّ اطّلاع الناس على مثاقيل الذرِّ من حُسْن عمله، ولا يَكره أن يَطَّلع الناس على السيئ من عمله، وعن حُذيفة المرْعشيّ (رحمه الله) قال: الإخلاصُ أن تستوي أفعالُ العبد في الظاهر والباطن، وروينا عن الإمام الأستاذ أبي القاسم القُشَيريّ (رحمه الله) قال: الإخلاصُ إفرادُ الحق سبحانه وتعالى في الطاعة بالقصد، وهو أن يُريد بطاعته التقرّب إلى الله تعالى دون شيء آخر: مِنْ تَصَنُّعٍ لمخلوق، أو اكتساب محمَدةٍ عند الناس، أو محبّة مدحٍ من الخلق أو معنى من المعاني سوى التقرّب إلى الله تعالى، وقال السيد الجليل أبو مُحَمَّد سهل بن عبد الله التُستَريُّ (رحمه الله): نظَرَ الأكياسُ في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا: أن تكون حركتُه وسكونه في سِرّه وعلانيته لله تعالى، لا يُمازجه نَفسٌ ولا هوىً ولا دنيا، وروينا عن الأستاذ أبي علي الدقاق (رحمه الله) قال: الإخلاصُ: التوَقّي عن ملاحظة الخلق، والصدق: التنقّي عن مطاوعة النفس، فالمخلصُ لا رياء له، والصادقُ لا إعجابَ له، وعن ذي النون المصري (رحمه الله) قال: ثلاثٌ من علامات الإخلاص: استواءُ المدح والذمّ من العامَّة، ونسيانُ رؤية الأعمال في الأعمال، واقتضاءُ ثواب العمل في الآخرة، وروينا عن القُشَيريّ (رحمه الله) قال: أقلُّ الصدق استواءُ السرّ والعلانية، وعن سهل التستري: لا يشمّ

=ورمز له الذهبي في الميزان (صح) أي أن العمل على توثيقه، وذكرَ الاختلاف فيه، وقال الحافظ: صدوق كثير الإرسال والأوهام، انظر: الكاشف (٤٩٠/١)، المغني (٣٠١/١)، ميزان الاعتدال (٢٨٣/٢)، التقريب (ص: ٢٦٩).

قلت: والإسناد وإن كان ضعيفاً إلا أن معناه صحيح تشهد له كثير من نصوص الكتاب والسنة.

رائحة الصدق عبدٌ داهن نفسه أو غيره، وأقوالهم في هذا غير منحصرة، وفيما أشرت إليه كفاية لمن وُفِّق[1].

٢- يُستحبُّ للذاكر الجلوس في حِلَق أهله ومجالِسه؛ لتحصيل مباهاة الله تعالى ملائكته بالذاكرين،

وقد تظاهرت الأدلة على ذلك منها: ما في صحيح مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ، قَالَ آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «مَا أَجْلَسَكُمْ؟» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: «آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟» قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ[2]»، وفي صحيح مسلم أيضاً عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ

---

(١) كتاب الأذكار (ص:٦ وما بعدها).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ (٤/٢٠٧٥ ح٢٧٠١).

الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ[1]»، وفي رواية عَنِ الْأَغَرِّ أَبِي مُسْلِمٍ، أَنَّهُ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».

٣- حضورُ القلب وموافقتُه اللسان فلا يكون العبد غافلاً ساهياً، قال النووي في الأذكار (ص:١٢، ١٣): المرادُ من الذكر حضورُ القلب، فينبغي أن يكون هو مقصودُ الذاكر فيحرص على تحصيله، ويتدبر ما يذكر، ويتعقل معناه، فالتدبُر في الذكر مطلوبٌ كما هو مطلوبٌ في القراءة لاشتراكهما في المعنى المقصود، ولهذا كان المذهبُ الصحيح المختار استحباب مدَّ الذاكر قول: لا إله إلا الله، لِمَا فيه من التدبر، وأقوالُ السلف وأئمة الخلف في هذا مشهورة، والله أعلم.

٤- قال النووي في الأذكار (ص:١٢): ينبغي أن يكون الموضعُ الذي يذكرُ فيه خالياً نظيفاً، فإنه أعظمُ في احترام الذكر المذكور، ولهذا مُدح الذكرُ في المساجد والمواضع الشريفة، وجاء عن الإمام الجليل أبي ميسرة[2] رضي الله عنه قال: (لا يُذكر اللهَ تعالى إلاَّ في مكان طيّب[3]) وينبغي أيضاً أن يكون فمه نظيفاً، فإن كان فيه تغيُّر أزاله بالسِّواك، وإن كان فيه نجاسة أزالها بالغَسْل بالماء، فلو ذكر ولم يغسلها فهو مكروهٌ ولا يَحرمُ، ولو قرأ القرآن وفمُه نجسٌ كُره، وفي تحريمه وجهان لأصحابنا: أصحُّهما لا يَحرم، وينبغي أن يكون الذاكرُ على

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ (٤/٢٠٧٤ ح٢٦٩٩، ٢٧٠٠).

(٢) هو عمرو بن شرحبيل الهمداني، أبو ميسرة الكوفي، قال الحافظ: ثقة عابد، من الثانية، مخضرم، مات سنة ثلاث وستين، انظر: التقريب (ص:٤٢٢).

(٣) أخرجه أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٦/٢٧٠ ح٢٦٢٤) بلفظ " اذْكُرُوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَكَانٍ طَيِّبٍ، وَلا تَذْكُرُوهُ فِي مَكَانٍ مُنْتِنٍ"، ورجاله ثقات إلا شيخ أبي بكر الدينوري وهو أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ عَمَّارِ بْنِ خَالِدٍ التَّمَّارُ الْوَاسِطِيُّ (لم أقف له على ترجمة).

أكمل الصفات، فإن كان جالساً في موضع استقبل القبلة وجلس مُتذلِّلاً مُتخشعاً بسكينة ووقار، مُطرقاً رأسه، ولو ذكر على غير هذه الأحوال جاز ولا كراهةَ في حقه، لكن إن كان بغير عذر كان تاركاً للأفضل، والدليل على عدم الكراهة قول الله تعالى ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1] وثبت في الصحيحين عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: "كان رسول الله ﷺ يتكئ في حَجْري وأنا حائض فيقرأ القرآن"، رواه البخاري ومسلم، وفي رواية: (ورأسه في حجري وأنا حائض)[2].

تنبيهات[3]:

١- قال النووي: اعلم أن الذكر محبوبٌ في جميع الأحوال إلا في أحوال وردَ الشرعُ باستثنائها نذكرُ منها هاهنا طرفاً، إشارة إلى ما سواه ...، فمن ذلك: أنه يُكره الذكرُ حالة الجلوس على قضاء الحاجة، وفي حالة الجِماع، وفي حالة الخُطبة لمن يسمعُ صوت الخطيب، وفي القيام في الصلاة، بل يشتغلُ بالقراءة، وفي حالة النعاس، ولا يُكره في الطريق ولا في الحمَّام، والله أعلم.

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٩٠)، وجزء من الآية (١٩١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الحيض، بَابُ قِرَاءَةِ الرَّجُلِ فِي حَجْرِ امْرَأَتِهِ وَهِيَ حَائِضٌ (١/٦٧ ح٢٩٧)، وفي كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «المَاهِرُ بِالقُرْآنِ مَعَ الكِرَامِ البَرَرَةِ» (٩/١٥٩ ح٧٥٤٩)، ومسلم، كتاب الحيض، بَابُ جَوَازِ غُسْلِ الْحَائِضِ رَأْسَ زَوْجِهَا وَتَرْجِيلِهِ وَطَهَارَةِ سُؤْرِهَا وَالِاتِّكَاءِ فِي حِجْرِهَا وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِيهِ (١/٢٤٦ ح٣٠١).

(٣) ذكرتُ هذه التنبيهات من كتاب الأذكار للنووي (ص: ١٢ وما بعدها).

٢- ينبغي لمن كان له وظيفةٌ من الذكر في وقت من ليل أو نهار، أو عقب صلاة أو حالة من الأحوال ففاتته أن يتداركها ويأتي بها إذا تمكن منها ولا يهملها، فإنه إذا اعتاد الملازمة عليها لم يعرّضها للتفويت، وإذا تساهل في قضائها سَهُلَ عليه تضييعها في وقتها، وقد ثبت في صحيح مسلم، عن عمرَ بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ نامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شيء منه فقرأه ما بَيْنَ صَلاةِ الفَجْرِ وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من اللَّيل[١].

٣- هناك أحوال تعرضُ للذاكر يُستحبّ له قطعُ الذكر بسببها ثم يعودُ إليه بعد زوالها منها: إذا سُلِّم عليه ردّ السلام ثم عاد إلى الذكر، وكذا إذا عطسَ عنده عاطس شمَّته ثم عاد إلى الذكر، وكذا إذا سمع الخطيبَ، وكذا إذا سمع المؤذّنَ أجابَه في كلمات الأذان والإقامة ثم عاد إلى الذكر، وكذا إذا رأى منكراً أزاله، أو معروفاً أرشد إليه، أو مسترشداً أجابه ثم عاد إلى الذكر، كذا إذا غلبه النعاس أو نحوه، وما أشبه هذا كله.

٤- اعلم أن الأذكار المشروعة في الصلاة وغيرها، واجبةً كانت أو مستحبةً، لا يُحسب شيء منها ولا يُعتدّ به حتى يتلفَّظَ به بحيثُ يُسمع نفسَه إذا كان صحيح السمع لا عارض له.

٥- قال النووي: أجمع العلماءُ على جواز الذكر بالقلب واللسان للمُحْدِث والجُنب والحائض والنفساء، وذلك في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير والصلاة على رسول الله ﷺ والدعاء وغير ذلك، ولكنَّ قراءة القرآن حرامٌ على الجُنب والحائض والنفساء، سواءٌ قرأ قليلاً أو كثيراً حتى بعض آية، ويجوز لهم إجراءُ القرآن على القلب من غير لفظ، وكذلك النَّظَرُ في المصحف، وإمرارُه على القلب.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بَابُ جَامِعِ صَلَاةِ اللَّيْلِ، وَمَنْ نَامَ عَنْهُ أَوْ مَرِضَ (١/٥١٥ ح٧٤٧).

قلت: قراءة القرآن للحائض والنفساء مما اختلف فيه أهل العلم وقد اختار النووي هنا القول بالتحريم، وعمدة القائلين بالتحريم حديثٌ رواه الترمذي من طريق إِسْمَاعِيل بن عَيَّاشٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لاَ تَقْرَأُ الحَائِضُ، وَلاَ الجُنُبُ شَيْئًا مِنَ القُرْآنِ[1]"،

قال الترمذي: وَفِي البَابِ عَنْ عَلِيٍّ، حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ حَدِيثٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَيَّاشٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لاَ تَقْرَأِ الجُنُبُ وَلاَ الحَائِضُ، وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِثْلِ: سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَابْنِ الْمُبَارَكِ، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَدَ، وَإِسْحَاقَ، قَالُوا: لاَ تَقْرَأِ الحَائِضُ وَلاَ الجُنُبُ مِنَ القُرْآنِ شَيْئًا، إِلاَّ طَرَفَ الآيَةِ وَالحَرْفَ وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَرَخَّصُوا لِلْجُنُبِ وَالحَائِضِ فِي التَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ، وسَمِعْت مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ (البخاري) يَقُولُ: إِنَّ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَيَّاشٍ يَرْوِي عَنْ أَهْلِ الحِجَازِ، وَأَهْلِ العِرَاقِ أَحَادِيثَ مَنَاكِيرَ، كَأَنَّهُ ضَعَّفَ رِوَايَتَهُ عَنْهُمْ فِيمَا يَتَفَرَّدُ بِهِ، وَقَالَ: إِنَّمَا حَدِيثُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَيَّاشٍ عَنْ أَهْلِ الشَّامِ.

والحديث أخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير (٩٠/١) مما استنكره على إسماعيل بن عياش وقال عن عبد الله بن أحمد بن حنبل: قَالَ أَبِي: هَذَا بَاطِلٌ أَنْكَرَهُ عَلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَيَّاشٍ ، يَعْنِي أَنَّهُ وَهْمٌ مِنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَيَّاشٍ.

---

(١) أخرجه الترمذي، أبواب الطهارة، بَابُ مَا جَاءَ فِي الجُنُبِ وَالحَائِضِ أَنَّهُمَا لاَ يَقْرَآنِ القُرْآنَ (١٩٤/١ ح١٣١)، وابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، بَابُ مَا جَاءَ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ عَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ (١٩٥/١ ح٥٩٥)، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الطهارة، ذِكْرُ الْحَدِيثِ الَّذِي وَرَدَ فِي نَهْيِ الْحَائِضِ عَنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَفِيهِ نَظَرٌ (١٤٤/١ ح٤١٨) وقال: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ فِيمَا بَلَغَنِي عَنْهُ: إِنَّمَا رَوَى هَذَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ وَلَا أَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ غَيْرِهِ، وَإِسْمَاعِيلُ مُنْكَرُ الْحَدِيثِ، عِنْدَ أَهْلِ الْحِجَازِ وَأَهْلِ الْعِرَاقِ، قَالَ الشَّيْخُ (البيهقي): وَقَدْ رُوِيَ عَنْ غَيْرِهِ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ، وَرُوِيَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ مِنْ قَوْلِهِ فِي الْجُنُبِ وَالْحَائِضِ وَالنُّفَسَاءِ، وَلَيْسَ بِقَوِيٍّ.

وقال ابن أبي حاتم في العلل (٥٧٤/١ ح١١٦): سمعتُ أَبِي وَذَكَر حديثَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَيَّاش، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَة، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عمر، عن رسول الله ﷺ قَالَ: لا يَقْرَأُ الجُنُبُ وَلا الحَائِضُ شَيْئًا مِنَ القُرْآن ، فَقَالَ أَبِي: هَذَا خطأٌ؛ إِنَّمَا هُوَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قولَه.

وقال البيهقي في السنن الكبرى (٤٦١/١ ح١٤٧٩) بعد أن أخرج حديث ابن عمر رضي الله عنه هذا: لَيْسَ هَذَا بِالْقَوِيِّ.

وقال أبو العباس ابن تيمية في مجموع الفتاوي (٤٦٠/٢١): قِرَاءَةَ الْحَائِضِ الْقُرْآنَ لَمْ يَثْبُتْ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِيهِ شَيْءٌ غَيْرَ الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ عَنْ إسْمَاعِيلَ بْنِ عَيَّاشٍ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ {لَا تَقْرَأُ الْحَائِضُ وَلَا الْجُنُبُ مِنْ الْقُرْآنِ شَيْئًا} رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَغَيْرُهُ. وَهُوَ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِالْحَدِيثِ. وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ مَا يَرْوِيهِ عَنْ الْحِجَازِيِّينَ أَحَادِيثُ ضَعِيفَةٌ؛ بِخِلَافِ رِوَايَتِهِ عَنْ الشَّامِيِّينَ وَلَمْ يَرْوِ هَذَا عَنْ نَافِعٍ أَحَدٌ مِنْ الثِّقَاتِ.

وقال ابن القيم في إعلام الموقعين (٢٦/٣، ٢٧): حَدِيثُ «لَا تَقْرَأُ الْحَائِضُ وَالْجُنُبُ شَيْئًا مِنْ الْقُرْآنِ» لَمْ يَصِحَّ؛ فَإِنَّهُ حَدِيثٌ مَعْلُولٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ؛

فَإِنَّهُ مِنْ رِوَايَةِ إسْمَاعِيلَ بْنِ عَيَّاشٍ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ. قَالَ التِّرْمِذِيُّ: فذكر كلام الترمذي وكلام الإمام أحمد السابقين.

وقال الحافظ في الفتح (٤٠٩/١): حَدِيث ابن عُمَرَ مَرْفُوعًا "لَا تَقْرَأُ الْحَائِضُ وَلَا الْجُنُبُ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ" ضَعِيفٌ مِنْ جَمِيعِ طُرُقِهِ.

وروي النهي عن قراءة الحائض القرآن أيضاً من حديث جابر رضي الله عنه :

أخرجه الدارقطني من طريق مُحَمَّد بن الْفَضْلِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ طَاوُوسٍ ، عَنْ جَابِرٍ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقْرَأِ الْحَائِضُ وَلَا النُّفَسَاءُ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا[1]».

(1) أخرجه الدارقطني، كتاب الجنائز، بَابُ تَخْفِيفِ الْقِرَاءَةِ لِحَاجَةٍ (٤٦٢/٢ ح١٨٧٩).

قال أبو الفضل ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ (٢٦٢٨/٥): رَوَاهُ مُحَمَّد بن الْفضل بن عَطِيَّة: عَن أَبِيه، عَن طاووس، عَن جَابر. وَهَذَا لَا يروي إِلَّا عَن مُحَمَّد وَهُوَ مَتْرُوك.

قلت: مُحَمَّد بن الفضل بن عطية بن عمر العبدي العبسي مولاهم الكوفي نزيل بخارى، قال ابن معين: كان كذاباً لم يكن ثقة، وقال ابن المديني روى عجائب وضعفه، وقال عمرو بن علي: متروك الحديث كذاب، وقال أبو حاتم ذاهب الحديث ترك حديثه، وقال النسائي وابن خراش: كذاب، وقال صالح بن مُحَمَّد: كان يضع الحديث، وقال أبو داود: ليس بشيء، وقال الدارقطني: متروك، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات لا يحل كتب حديثه إلا على سبيل الاعتبار، وقال ابن عدي: وعامة حديثه مما لا يتابعه الثقات عليه، وقال الحافظ: كذبوه، انظر: تهذيب التهذيب (٤٠١/٩)، التقريب (ص: ٥٠٢).

وفي المسألة أقوال أخرى ذكرها ابن قدامة في المغني (١٠٦/١) فقال: وَلَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ جُنُبٌ وَلَا حَائِضٌ وَلَا نُفَسَاءُ رُوِيت الْكَرَاهِيَةُ لِذَلِكَ عَنْ عُمَرَ وَعَلِيٍّ وَالْحَسَنِ وَالنَّخَعِيِّ وَالزُّهْرِيِّ وَقَتَادَةَ وَالشَّافِعِيِّ وَأَصْحَابِ الرَّأْيِ. وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ لَا يَقْرَأُ إلَّا آيَةَ الرُّكُوبِ وَالنُّزُولِ: {سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا} [الزخرف: ١٣] ، {وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلا مُبَارَكًا} [المؤمنون: ٢٩] وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَقْرَأُ وِرْدَهُ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ: يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، أَلَيْسَ هُوَ فِي جَوْفِهِ، وَحُكِيَ عَنْ مَالِكٍ لِلْحَائِضِ الْقِرَاءَةُ دُونَ الْجُنُبِ؛ لِأَنَّ أَيَّامَهَا تَطُولُ، فَإِنْ مَنَعْنَاهَا مِنْ الْقِرَاءَةِ نَسِيَتْ.

وقال ابن حزم في المحلى (٩٥/١): وَاخْتَلَفُوا فِي الْجُنُبِ وَالْحَائِضِ. فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: لَا تَقْرَأُ الْحَائِضُ وَلَا الْجُنُبُ شَيْئًا مِنْ الْقُرْآنِ، وَهُوَ قَوْلٌ رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – وَعَنْ غَيْرِهِمَا رُوِيَ أَيْضًا كَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَقَتَادَةَ وَالنَّخَعِيِّ وَغَيْرِهِمْ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: أَمَّا الْحَائِضُ فَتَقْرَأُ مَا شَاءَتْ مِنْ الْقُرْآنِ، وَأَمَّا الْجُنُبُ فَيَقْرَأُ الْآيَتَيْنِ وَنَحْوَهُمَا، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا يُتِمُّ الْآيَةَ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ. وانظر: المجموع شرح المهَذَّب للنووي (١٥٨/٢).

قلت: الأفضل أن الحائض لا تقرأ لورود النهي في حديث ابن عمر ﷺ السابق وهو وإن كان ضعيفاً مرفوعاً لكن أبا حاتم رجح أنه من قول ابن عمر ﷺ، ولأن القول بمنعها من القراءة هو قول الجمهور كما قال الترمذي فيما سبق أنه قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ بعدهم، ومن أدلة كراهة ذكر الله تعالى على غير طهارة حديث الْمُهَاجِرِ بْنِ قُنْفُذٍ ﷺ، أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَبُولُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ حَتَّى تَوَضَّأَ، ثُمَّ اعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ "إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَذْكُرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا عَلَى طُهْرٍ أَوْ قَالَ: عَلَى طَهَارَةٍ[1]"، فهذا في رد السلام فقراءة القرآن من باب أولى،

لكن لو احتاجت إلى القراءة لكونها معلمة أو طالبة أو تخاف النسيان فالظاهر أنه لا بأس به، وقد نقل ابن حزم وابن قدامة عن مالك جواز القراءة للحائض كما سبق، وقد قالت عائشة (ﷺ): «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ[2]» أخرجه مسلم.

وقد اختار أبو العباس ابن تيمية وابن القيم القول الذي يرى جواز قراءة القرآن للحائض دون الجنب وذكرا في الفرق بينهما وجوهاً تمنع إلحاق أحدهما بالآخر منها:

---

(1) أخرجه أبو داود، كتاب الطهارة، بَابُ أَيَرُدُّ السَّلَامَ وَهُوَ يَبُولُ (١/٥ ح١٧) بإسناد صحيح، وابن حبان، كتاب الرقائق، باب ذِكْر خَبَرٍ قَدْ يُوهِمُ غَيْرَ طَلَبَةِ الْعِلْمِ مِنْ مَظَانِّهِ أَنَّهُ مُضَادٌّ لِلْخَبَرَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرْنَاهُمَا (٣/٨٢ ح٨٠٣)، والحاكم، كتاب الطهارة (١/٢٧٢ ح٥٩٢) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ بِهَذَا اللَّفْظِ إِنَّمَا أَخْرَجَ مُسْلِمٌ حَدِيثَ الضَّحَّاكِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَجُلًا مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَبُولُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ حَتَّى تَوَضَّأَ ثُمَّ اعْتَذَرَ إِلَيْهِ، وَقَالَ: " إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَذْكُرَ اللَّهَ إِلَّا عَلَى طُهْرٍ، أَوْ قَالَ: عَلَى طَهَارَةٍ، وقال الذهبي: على شرطهما ا.ه، وكذا صححه النووي في المجموع (٢/٨٨)، (٣/١٠٥)=

=**قلت**: أصل الحديث في صحيح مسلم، كتاب الحيض، بَابُ التَّيَمُّمِ (١/٢٨١ ح٣٧٠) عَنِ ابْنِ عُمَرَ: «أَنَّ رَجُلًا مَرَّ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَبُولُ، فَسَلَّمَ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ».

(2) أخرجه مسلم، كتاب الحيض، بَابُ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى فِي حَالِ الْجَنَابَةِ وَغَيْرِهَا (١/٢٨٢ ح٣٧٣).

أَحَدُهَا: أَنَّ الْجُنُبَ يُمْكِنُهُ التَّطَهُّرُ مَتَى شَاءَ بِالْمَاءِ أَوْ بِالتُّرَابِ فَلَيْسَ لَهُ عُذْرٌ فِي الْقِرَاءَةِ مَعَ الْجَنَابَةِ بِخِلَافِ الْحَائِضِ.

الثَّانِي: أَنَّ الْحَائِضَ يُشْرَعُ لَهَا الْإِحْرَامُ وَالْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ وَتَوَابِعُهُ مَعَ الْحَيْضِ بِخِلَافِ الْجُنُبِ.

الثَّالِثُ: أَنَّ الْحَائِضَ يُشْرِعُ لَهَا أَنْ تَشْهَدَ الْعِيدَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَتَعْتَزِلَ الْمُصَلَّى بِخِلَافِ الْجُنُبِ.

وبعد هذا التمهيد أشرع بعون الله تعالى في عرض مباحث الموضوع ومسائله:

المبحث الأول: التسبيح في اللغة وفي نصوص الشرع:

للتسبيح عدة إطلاقات، قال ابن الأثير: أصلُ التَّسْبِيحُ: التَّنزيهُ وَالتَّقْدِيسُ وَالتَّبْرِئَةُ مِنَ النَّقائِص، ثُمَّ استُعْمِل فِي مواضعَ تقْرُب مِنْهُ اتِّساعاً. يُقال: سَبَّحْتُهُ أُسَبِّحُهُ تَسْبِيحاً وسُبْحَاناً، فَمَعْنَى سُبْحَانَ اللهِ: تَنْزيه اللهِ، وَهُوَ نَصْب عَلَى الْمَصْدَرِ بفِعْل مُضْمر، كَأَنَّهُ قَالَ: أُبَرئُ اللَّهَ مِنَ السُّوء بَراءةً.

وَقِيلَ مَعْنَاهُ: التَّسرُّع إِلَيْهِ والخِفَّة فِي طاعَته. وَقِيلَ مَعْنَاهُ: السُّرْعة إِلَى هَذِهِ اللَّفْظة. وَقَدْ يُطْلَقُ التَّسْبِيحُ عَلَى غَيره مِنْ أَنْواع الذِّكْرِ مَجَازًا، كالتَّحْميد والتَّمْجيد وغَيرِهما. وَقَدْ يُطْلق عَلَى صَلَاةِ التطوُّع والنافلةِ. وَيُقَالُ أَيْضًا للذِّكْر ولصَلاةِ النَّافلة: سُبْحَة. يُقَالُ: قَضَيت سُبْحَتِي. والسُّبْحَةُ مِنَ التَّسبيح؛ كالسُّخرة مِنَ التَّسْخير. وَإِنَّمَا خُصَّت النافلةُ بالسُّبحة وَإِنْ شارَكَتْها الفريضةُ فِي مَعْنَى التَّسبيح لِأَنَّ التَّسْبِيحَاتِ فِي الْفَرَائِضِ نوافلُ، فَقِيلَ لِصَلاة النَّافلة سُبْحَة، لِأَنَّهَا نَافِلَة كالتَّسْبيحات والأذْكار فِي أَنَّهَا غيرُ واجبةٍ[1].

وقال الحافظ ابن حجر: سُبْحَانَ اللَّهِ مَعْنَاهُ تَنْزِيهُ اللَّهِ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ فَيَلْزَمُ نَفْيُ الشَّرِيكِ وَالصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ وَجَمِيعِ الرَّذَائِلِ، وَيُطْلَقُ التَّسْبِيحُ وَيُرَادُ بِهِ جَمِيع أَلْفَاظِ الذِّكْرِ، وَيُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهِ صَلَاةَ النَّافِلَةِ، وَأَمَّا صَلَاةُ التَّسْبِيحِ فَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِكَثْرَةِ التَّسْبِيحِ فِيهَا، وسبحان اسم منصوب على أنه واقع موقع المصدر لفعل محذوف تقديره سبحت الله سبحاناً كسبحت الله تسبيحاً، ولا يستعمل غالباً إلا مضافا وهو مضاف إلى المفعول أي سبحت الله ويجوز أن يكون مضافاً إلى الفاعل أي نزه الله نفسه والمشهور الأول[2].

وقد جاء التسبيح في القرآن بعبارات مختلفة نحو "سبحان" و"سبّحْ" بلفظ الأمر و"سبَّحَ" بلفظ الماضي و"يسبح" بلفظ المضارع[3]، وهذا يشير إلى الاعتناء بشأن التنزيه نظراً لكثرة

---

(1) النهاية في غريب الحديث (٣٣١/٢).

(2) فتح الباري (٢٠٦/١١).

(3) المصدر السابق (٥٤١/١٣).

المخالفين والمعاندين، ولذلك ورد هذه التنزيهات كثيراً في إثر نسبة الكفار إلى الله تعالى الشريك والصاحبة والولد، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾ (البقرة: ١١٦)، وقوله سبحانه ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ (يونس: ٦٨)، كما جاءت تلك التنزيهات في السنة النبوية، ومن ذلك حديث ابْن عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ اللَّهُ: «كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَزَعَمَ أَنِّي لاَ أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ لِي وَلَدٌ، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا[1]».

ومما ورد في إطلاق التسبيح على صلاة النافلة: حديث ابن عمر (رضي الله عنهما): «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ إِذَا أَعْجَلَهُ السَّيْرُ يُؤَخِّرُ المَغْرِبَ، فَيُصَلِّيهَا ثَلاَثًا، ثُمَّ يُسَلِّمُ، ثُمَّ قَلَّمَا يَلْبَثُ حَتَّى يُقِيمَ العِشَاءَ، فَيُصَلِّيهَا رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يُسَلِّمُ وَلاَ يُسَبِّحُ بَعْدَ العِشَاءِ حَتَّى يَقُومَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ[2]».

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، أَنَّ عَامِرَ بْنَ رَبِيعَةَ ﷺ أَخْبَرَهُ، قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الرَّاحِلَةِ يُسَبِّحُ، يُومِئُ بِرَأْسِهِ قِبَلَ أَيِّ وَجْهٍ تَوَجَّهَ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي الصَّلاَةِ المَكْتُوبَةِ[3]».

قال ابن حجر: قَوْلُهُ يُسَبِّحُ أَيْ يُصَلِّي النَّافِلَةَ[1].

([1]) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، بَابُ {وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ} [البقرة: ١١٦] (١٩/٦ ح٤٤٨٢)، وفي مواضع أخرى برقم (٤٩٧٤، ٤٩٧٥).

([2]) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، بَابُ يُصَلِّي المَغْرِبَ ثَلاَثًا فِي السَّفَرِ (٤٤/٢ ح١٠٩٢).

([3]) أخرجه البخاري، كتاب أَبْوَابُ تَقْصِيرِ الصَّلاَةِ، بَابُ يَنْزِلُ لِلْمَكْتُوبَةِ (٤٥/٢ ح١٠٩٧).

وقول عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) «إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيَدَعُ العَمَلَ، وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ، فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ، وَمَا سَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُبْحَةَ الضُّحَى قَطُّ وَإِنِّي لَأُسَبِّحُهَا[٢]».

وقد يطلق التسبيح على الصلوات المكتوبة ومنه حديث جَرِير بن عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، فَقَالَ: «أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لاَ تُضَامُّونَ – أَوْ لاَ تُضَاهُونَ – فِي رُؤْيَتِهِ فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا» ثُمَّ قَالَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾[٣].

قال ابن حجر: قَوْلُهُ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا زَادَ مُسْلِمٌ يَعْنِي الْعَصْرَ وَالْفَجْرَ[٤].

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٢/٥٧٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التهجد، بَابُ تَحْرِيضِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى صَلاَةِ اللَّيْلِ وَالنَّوَافِلِ مِنْ غَيْرِ إِيجَابٍ (٢/٥٠ ح١١٢٨)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بَابُ اسْتِحْبَابِ صَلَاةِ الضُّحَى، وَأَنَّ أَقَلَّهَا رَكْعَتَانِ، وَأَكْمَلَهَا ثَمَانِ رَكَعَاتٍ، وَأَوْسَطُهَا أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ، أَوْ سِتٍّ، وَالْحَثُّ عَلَى الْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا (١/٤٩٧ ح٧١٨).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، بَابُ فَضْلِ صَلاَةِ الفَجْرِ (١/١١٩ ح٥٧٣)، وفي مواضع أخري برقم (٥٥٤، ٤٨٥١، ٧٤٣٤، ٧٤٣٦) .

(٤) فتح الباري لابن حجر (٢/٣٣)، والحديث في صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَابُ فَضْلِ صَلَاتَيِ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمَا (١/٤٣٩ ح٦٣٣).

المبحث الثاني: فضل التسبيح ومنزلته:

التسبيح من أجَل الأعمال وأفضلها عند الله تعالى، وهو عبادة جميع المخلوقات وصلاة كل شيء، قال سبحانه: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ ﴾[1] وقد ورد في فضائله كثير من الأحاديث النبوية، فمن فضائله:

١- التسبيح أفضل الكلام وأحبه إلى الله تعالى:

روى مسلم بسنده عن أَبِي ذَرٍّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ أَيُّ الْكَلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "مَا اصْطَفَى اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ"، وفي رواية عنده أن النبي ﷺ قال لأبي ذر: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ، فَقَالَ: " إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ"[2].

وروى مسلم عن سمرة ﷺ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ"[3].

في الأحاديث فوائد:

الأولى: قوله: سبحان الله وبحمده يعنى: بحمده سبحته.

---

(1) الإسراء: الآية (٤٤).

(2) أخرجه مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ فَضْلِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ (٢٠٩٣/٤ ح٢٧٣١).

(3) أخرجه مسلم، كتاب الآداب، باب كراهة التسمية بالأسماء القبيحة وبنافع ونحوه (١٦٨٥/٣ ح ٢١٣٧).

قال المازري: معنى " سبحانك ": سبحتك، وقوله: " وبحمدك ": أي بحمدك سبحتك ومعنى هذا: أي بفضلك وهدايتك لذلك التي توجب حمدك سبحتُك واستعملتني لذلك لا بحولي وقوتي[1].

وقيل معناه: أُسَبِّحُكَ تَسْبِيحًا مَقْرُونًا بِشُكْرِكَ[2].

وقيل: يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مُخْتَصَرًا مِنَ الْكَلِمَاتِ الْأَرْبَعِ وَهِيَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ لِأَنَّ سُبْحَانَ اللَّهِ تَنْزِيهٌ لَهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَتَقْدِيسٌ لِصِفَاتِهِ مِنَ النَّقَائِصِ فَيَنْدَرِجُ فِيهِ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَوْلُهُ وَبِحَمْدِهِ صَرِيحٌ فِي مَعْنَى وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لِأَنَّ الْإِضَافَةَ فِيهِ بِمَعْنَى اللَّامِ فِي الْحَمْدِ وَيَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ مَعْنَى اللَّهُ أَكْبَرُ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ كُلُّ الْفَضْلِ وَالْأَفْضَالِ لِلَّهِ وَمِنَ اللَّهِ وَلَيْسَ مِنْ غَيْرِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَكْبَرَ مِنْهُ[3].

الثانية: أفضل الكلام وأحبه إلى الله تعالى "سبحان الله وبحمده":

وفى هذا يقول النووي: هَذَا الْإِطْلَاقُ فِي الْأَفْضَلِيَّةِ مَحْمُولٌ عَلَى كَلَامِ الْآدَمِيِّ وَإِلَّا فَالْقُرْآنُ أَفْضَلُ الذِّكْرِ[4].

وَقَالَ الْبَيْضَاوِيُّ: الظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْكَلَامِ – أي في حديث سمرة – كَلَامُ الْبشر فإن الثلاث الْأُوَلَ – أي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله – وَإِنْ وُجِدَتْ فِي الْقُرْآنِ لَكِنَّ الرَّابِعَةَ – أي الله أكبر – لَمْ تُوجَدْ فِيهِ وَلَا يَفْضُلُ مَا لَيْسَ فِيهِ عَلَى مَا هُوَ فِيهِ[5].

([1]) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣٩٩/٢).

([2]) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦٧٧/٢).

([3]) فتح الباري لابن حجر (٢٠٧/١١).

([4]) المصدر السابق (٢٠٧/١١)، وينظر: شرح النووي على مسلم (٤٩/١٧).

([5]) فتح الباري لابن حجر (٢٠٧/١١)، وينظر: تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة (٦١/٢).

كما ورد في الأحاديث ما يدل على التمييز بين التسبيح وأنواع الذكر وبين غيره من كلام الناس؛ فعن معاوية بن الحكم السُّلَمي ﷺ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ،

فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَ اللهِ، مَا كَهَرَنِي[1] وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ... الحديث[2].

قال النووي: معناه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ومخاطباتهم وإنما هي التسبيح، وما في معناه من الذكر والدعاء وأشباههما مما ورد به الشرع، وقال: وفيه دليل على أنه من حلف لا يتكلم فسبح أو كبر أو قرأ القرآن لا يحنث وهذا هو الصحيح المشهور في مذهبنا[3].

وقَالَ أَبُو عُمَرَ ابن عبد البَر: التَّسْبِيح لَا يُقَاسُ بِالْكَلَامِ لِأَنَّ الصَّلَاةَ مُحَرَّمٌ فِيهَا الْكَلَامُ وَمُبَاحٌ فِيهَا التَّسْبِيح، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ نَابَهُ شَيْءٌ فِي صَلَاتِهِ فَلْيُسَبِّحْ))[4]

---

[1]) الكَهْر: الانْتِهار. وَقَدْ كَهَرَه يَكْهَرُه، إِذَا زَبَره واسْتَقْبله بوَجْهٍ عَبُوس. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢١٢/٤).

[2]) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَابُ تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ، وَنَسْخِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ (٣٨١/١ ح٥٣٧).

[3]) شرح النووي على مسلم (٢١/٥).

[4]) أخرجه مسلم، كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ تَقْدِيمِ الْجَمَاعَةِ مَنْ يُصَلِّي بِهِمْ إِذَا تَأَخَّرَ الْإِمَامُ وَلَمْ يَخَافُوا مَفْسَدَةً بِالتَّقْدِيمِ (١/ ٣١٦ /٤٢١) من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ.

يُرِيدُ وَلَا يَتَكَلَّمْ، وَقَالَ: ((صَلَاتُنَا هَذِهِ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ))[1].

الثالثة: في الحديث ما يدل على أن تسبيح الملائكة هو قولهم (سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ) وهو موافق لما جاء في القرآن الكريم،

كما في قول الله تعالى حكاية عن الملائكة ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ[2] ﴾،

([1]) الاستذكار (١/ ٥١١).

([2]) سورة البقرة: جزء من الآية (٣٠)، يقول ابن كثير: وَإِنَّمَا هُوَ سُؤَالُ اسْتِعْلَامٍ وَاسْتِكْشَافٍ عَنِ الْحِكْمَةِ فِي ذَلِكَ يَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا مَا الْحِكْمَةُ فِي خَلْقِ هَؤُلَاءِ مَعَ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يُفْسِدُ فِي الْأَرْضِ وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ، فَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ عِبَادَتُكَ فَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ أَيْ نُصَلِّي لَكَ كَمَا سَيَأْتِي، أَيْ وَلَا يَصْدُرُ مِنَّا شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَهَلَّا وَقَعَ الِاقْتِصَارُ عَلَيْنَا؟ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُجِيبًا لَهُمْ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ: إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَيْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ الْمَصْلَحَةِ الرَّاجِحَةِ فِي خَلْقِ هَذَا الصِّنْفِ عَلَى الْمَفَاسِدِ التي ذكرتموها مالا تعلمون أنتم فإني سأجعل فيهم الأنبياء وأرسل فيهم الرسل ويوجد منهم الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ وَالْعُبَّادُ وَالزُّهَّادُ وَالْأَوْلِيَاءُ وَالْأَبْرَارُ والمقربون والعلماء والعاملون وَالْخَاشِعُونَ وَالْمُحِبُّونَ لَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْمُتَّبِعُونَ رُسُلَهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ إِذَا صَعِدَتْ إِلَى الرَّبِّ تعالى بأعمال عباده يسألهم وهم أَعْلَمُ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: أَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَتَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يَتَعَاقَبُونَ فينا وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَفِي صَلَاةِ الْعَصْرِ، فَيَمْكُثُ هَؤُلَاءِ وَيَصْعَدُ أُولَئِكَ بِالْأَعْمَالِ كَمَا قال عليه الصلاة والسلام: «يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ اللَّيْلِ» فَقَوْلُهُمْ: أَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وتركناهم هم يصلون من تفسير قوله لهم: إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ، وَقِيلَ مَعْنَى قوله تعالى جَوَابًا لَهُمْ: "إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ" إني لِي حِكْمَةً مُفَصَّلَةً فِي خَلْقِ هَؤُلَاءِ وَالْحَالَةُ ما ذكرتم لا تعلمونها، قيل إنه جواب وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ فَقَالَ: إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَيْ مِنْ وُجُودِ إِبْلِيسَ بَيْنَكُمْ وَلَيْسَ هُوَ كَمَا وَصَفْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِهِ، وَقِيلَ بَلْ تَضَمَّنَ قَوْلُهُمْ: أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ

وقوله تعالى ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۚ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾[1]،

وقوله تعالى ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾[2].

الرابعة : يدل الحديث على أن أفضل التسبيح وأحبه إلى الله تعالى "سبحان الله وبحمده" وهو ما اصطفاه الله لملائكته، لذلك أمر الله به نبيه (ﷺ) في طائفة من الآيات منها قوله تعالى﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾[3]، وقوله تعالى ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾[4] ، وقوله سبحانه ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾ ﴾[5].

وامتثالاً لأمر الله تعالى كان النبي (ﷺ) يكثر أن يقول في تسبيحه "سبحان الله وبحمده"، روى ابن حبان في صحيحه عن ربيعة بن كعب الأسلمي (رضي الله عنه) أنه قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ

نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ طَلَبًا مِنْهُمْ أَنْ يَسْكُنُوا الْأَرْضَ بَدَلَ بَنِي آدَمَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ: إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ مِنْ أَنَّ بَقَاءَكُمْ فِي السماء أصلح لكم وأليق بكم، ذكرها الرازي مَعَ غَيْرِهَا مِنَ الْأَجْوِبَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. انظر: تفسير ابن كثير (١/١٢٤، ١٢٥).

(1) سورة الزمر: الآية (٧٥).

(2) سورة الشورى: الآية (٥).

(3) سورة الحجر، الآية (٩٨).

(4) سورة الفرقان، الآية (٥٨).

(5) سورة النصر: الآية (٣).

رَسُولِ اللَّهِ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، وَكَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ، يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّي وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ رَبِّي وَبِحَمْدِهِ الْهَوِيَّ [1]»، ثُمَّ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، سُبْحَانَ رَبِّ الْعَالَمِينَ الْهَوِيَّ» [2].

قال الكرماني : هذه الكلمة الجامعة فيها امتثال لقوله تعالى «وسبح بحمد ربك» وتأويل لهذه الآية وللمتمثل بها أعظم المقاصد وهو انحطاط خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر اللهم حط عنا خطايانا وأجزل عطايانا[3].

الخامسة: صحت أحاديث في فضل (سبحان الله وبحمده).

ورد عنه ﷺ في بيان فضل هذا الذكر جملة من الأحاديث منها حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ "مَنْ قَالَ: حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ

---

(1) الْهَوِيُّ: بِالْفَتْحِ الحِينُ الطَّوِيل مِنَ الزَّمانِ، وَقِيلَ: هُوَ مُخْتَصٌّ باللَّيل . انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٨٥/٥).

(2) الحديث سبق تخريجه في المقدمة وذكرت أنه أخرجه أحمد (١١٨/٢٧ ح١٦٥٧٩) وذكرت لفظ روايته مطولة، وكذا أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، بَابُ فَضْلِ السُّجُودِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ (٣٥٣/١ ح٤٨٩)، وأبو داود، كتاب الصلاة، بَابُ وَقْتِ قِيَامِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ (٣٥/٢ ح١٣٢٠)، والترمذي، أبواب الدعوات، بَاب مِنْهُ (٤٨٠/٥ ح٣٤١٦) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وابن ماجه، كتاب الدعاء، بَابُ مَا يَدْعُو بِهِ إِذَا انْتَبَهَ مِنَ اللَّيْلِ (١٢٧٦/٢ ح٣٨٧٩)، وابن حبان، كتاب الصلاة، باب ذِكْر مَا يَقُولُ الْمَرْءُ إِذَا تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ يُرِيدُ التَّهَجُّدَ (٣٢٨/٦ ح٢٥٩٤) وهذا لفظه، ولفظ مسلم: قال رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ».

(3) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (١٨٦/٢٢).

مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ» [1].

وعنه ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ" [2]، وعنه ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ" [3].

وعن مصعب بن سعد، حدثني أبي قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «أيعجز أحدكم أن يكسب، كل يوم ألف حسنة؟» فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: «يسبح مائة تسبيحة، فيكتب له ألف حسنة، أو يحط عنه ألف خطيئة» [4].

السادسة: الأَوْلى في ترتيب الذكر ما ورد في حديث سمرة ﷺ:

وحول هذا المعنى يقول البيضاوي: "وهذا النظم حقيق بأن يُرَاعى، وإن لم يتوقف عليه المقصود؛ لأن الناظر المتدرج في المعارف يعْرفه سبحانه أولاً بنعوت الجلال،

الذي هي تنزيه ذاته عما يوجب حاجة أو نقصاً، ثم بصفات الإكرام وهي الصفات الثبوتية التي بها يستحق الحمد، ثم يعلم أن من هذا شأنه لا يماثله غيره، ولا يستحق

---

(1) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٤/ ٢٠٧١ ح٢٦٩٢).

(2) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح (٨/ ٨٦ ح ٦٤٠٥).

(3) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح (٨/ ٨٦ ح ٦٤٠٦).

(4) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٤/٢٠٧٣ ح٢٦٩٨).

الألوهية سواه، فينكشف له من ذلك: {كل شيء هالك إلا وجهه له الحُكْم وإليه ترجعون} [القصص: ٨٨] [١].

السابعة: المفاضلة بين التهليل والتسبيح:

يدل حديث أبي ذر ﷺ أن أفضل الكلام وأحبه إلى الله (سبحان الله وبحمده) وهو ما اصطفى الله لملائكته، وفي المقابل حديث (أفضل الذكر لا إله إلا الله)[٢]، مما يبدو معه التعارض بين الحديثين وللجمع والتوفيق بينهما يقول الطيبي: يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ "سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ" مُخْتَصَرًا مِنَ الْكَلِمَاتِ الْأَرْبَعِ وَهِيَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ لِأَنَّ سُبْحَانَ اللَّهِ تَنْزِيهٌ لَهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَتَقْدِيسٌ لِصِفَاتِهِ مِنَ النَّقَائِصِ فَيَنْدَرِجُ فِيهِ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَقَوْلُهُ وَبِحَمْدِهِ صَرِيحٌ فِي مَعْنَى وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لِأَنَّ الْإِضَافَةَ فِيهِ بِمَعْنَى اللَّامِ فِي الْحَمْدِ، وَيَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ مَعْنَى اللَّهُ أَكْبَرُ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ كُلُّ الْفَضْلِ وَالْأَفْضَالِ لِلَّهِ وَمِنَ اللَّهِ وَلَيْسَ مِنْ غَيْرِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَكْبَرَ مِنْهُ وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ فَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ التَّسْبِيحُ أَفْضَلَ مِنَ التَّهْلِيلِ؛ لِأَنَّ التَّهْلِيلَ صَرِيحٌ فِي التَّوْحِيدِ وَالتَّسْبِيحِ مُتَضَمِّنٌ لَهُ

---

(١) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة (٢/ ٦٢).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدَّعَوَاتِ، بَاب مَا جَاءَ أَنَّ دَعْوَةَ الْمُسْلِمِ مُسْتَجَابَةٌ (٥/٣٢٥ ح٣٣٨٣)، وابن ماجه، كتاب الأدب، بَابُ فَضْلِ الْحَامِدِينَ (٢/١٢٤٩ ح٣٨٠٠)، وابن حبان، كتاب الرقائق، باب ذِكْر الْبَيَانِ بِأَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا مِنْ أَفْضَلِ الدُّعَاءِ، وَالتَّهْلِيلَ لَهُ مِنْ أَفْضَلِ الذِّكْرِ (٣/١٢٦ ح٨٤٦)، والحاكم، كِتَابُ الدُّعَاءِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّسْبِيحِ وَالذِّكْرِ (١/٦٧٦ ح١٨٣٤، ١٨٥٢) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، والبغوي في شرح السنة، باب ثواب التحميد (٥/٤٩ ح٢١٦٩)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا يُعْرَفُ إلا مِنْ حَدِيثِ مُوسَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ، من حديث جَابِر بْنِ عَبْدِ اللهِ)رضي الله عنهما)، قال أبو عيسى الترمذي: حَسَنٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِ مُوسَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَقَدْ رَوَى عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ مُوسَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ، هَذَا الحَدِيثَ، ولفظه " أَفْضَلُ الذِّكْرِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الحَمْدُ لِلَّهِ.

وَلِأَنَّ نَفْيَ الْآلِهَةِ فِي قَوْلِ لَا إِلَهَ نَفْيٌ لِمُضْمَنِهَا مِنْ فِعْلِ الْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالْإِثَابَةِ وَالْعُقُوبَةِ وَقَوْلُ إِلَّا اللَّهُ إِثْبَاتٌ لِذَلِكَ وَيَلْزَمُ مِنْهُ نَفْيُ مَا يَضَادُّهُ وَيُخَالِفُهُ مِنَ النَّقَائِصِ،

فَمَنْطُوقُ سُبْحَانَ اللَّهِ تَنْزِيهٌ وَمَفْهُومُهُ تَوْحِيدٌ وَمَنْطُوقُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَوْحِيدٌ وَمَفْهُومُهُ تَنْزِيهٌ يَعْنِي فَيَكُونُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَفْضَلَ لِأَنَّ التَّوْحِيدَ أَصْلٌ وَالتَّنْزِيهُ يَنْشَأُ عَنْهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[1].

وَقَدْ جَمَعَ الْقُرْطُبِيُّ بِمَا حَاصِلُهُ "إِنَّ هَذِهِ الْأَذْكَارَ إِذَا أُطْلِقَ عَلَى بَعْضِهَا أَنَّهُ أَفْضَلُ الْكَلَامِ أَوْ أَحَبُّهُ إِلَى اللَّهِ فَالْمُرَادُ إِذَا انْضَمَّتْ إِلَى أَخَوَاتِهَا بِدَلِيلِ حَدِيثِ سَمُرَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ "أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ" وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكْتَفِيَ فِي ذَلِكَ بِالْمَعْنَى فَيَكُونُ مَنِ اقْتَصَرَ عَلَى بَعْضِهَا كَفَى لِأَنَّ حَاصِلَهَا التَّعْظِيمُ وَالتَّنْزِيهُ وَمَنْ نَزَّهَهُ فَقَدْ عَظَّمَهُ وَمَنْ عَظَّمَهُ فَقَدْ نَزَّهَهُ انْتَهَى[2].

وقال ابن حجر: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُجْمَعَ بِأَنْ تَكُونَ مِنْ مُضْمَرَةً فِي قَوْلِهِ أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَوْلِهِ أَحَبُّ الْكَلَامِ بِنَاءٌ عَلَى أَنَّ لَفْظَ أَفْضَلَ وَأَحَبَّ مُتَسَاوِيَانِ فِي الْمَعْنَى لَكِنْ يَظْهَرُ مَعَ ذَلِكَ تَفْضِيلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لِأَنَّهَا ذُكِرَتْ بِالتَّنْصِيصِ عَلَيْهَا بِالْأَفْضَلِيَّةِ الصَّرِيحَةِ وَذُكِرَتْ مَعَ أَخَوَاتِهَا بِالْأَحَبِّيَّةِ فَحَصَلَ لَهَا التَّفْضِيلُ تَنْصِيصًا وَانْضِمَامًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ[3].

٢- سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ ما بين السماوات والأرض بالحسنات:

روى مسلم عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»[4].

---

(1) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٢٠٧)، وينظر: شرح المشكاة الطيبي (١٨٢٢/٦).

(2) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٢٠٧) نقلا عن القرطبي في المفهم.

(٣) المصدر السابق (٢٠٧/١١).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء (٢٠٣/١ ح٢٢٣).

قوله :ﷺ "سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ – أَوْ تَمْلَأُ – مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ"، قال النووي: مَعْنَاهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يُقَالَ: لَوْ قُدِّرَ ثَوَابُهُمَا جِسْمًا لَمَلَأَ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَسَبَبُ عِظَمِ فَضْلِهِمَا مَا اشْتَمَلَتَا عَلَيْهِ مِنَ التَّنْزِيهِ لِلَّهِ تَعَالَى بِقَوْلِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالتَّفْوِيضِ وَالِافْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِقَوْلِهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ(١).

٣- التَّسْبِيحُ نِصْفُ الْمِيزَانِ:

ومما يدل على ثقل التسبيح في الميزان ما أخرجه الترمذي عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، قَالَ: عَدَّهُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي يَدِي أَوْ فِي يَدِهِ: التَّسْبِيحُ نِصْفُ الْمِيزَانِ، وَالْحَمْدُ يَمْلَؤُهُ، وَالتَّكْبِيرُ يَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَالصَّوْمُ نِصْفُ الصَّبْرِ، وَالطُّهُورُ نِصْفُ الإِيمَانِ(٢).

وحول هذا معنى الحديث يقول السندي: وَلَعَلَّ الْأَعْمَالَ تَصِيرُ أَجْسَامًا لَطِيفَةً نُورَانِيَّةً لَا تُزَاحِمُ بَعْضَهَا وَلَا تُزَاحِمُ غَيْرَهَا أَيْضًا كَمَا هُوَ الْمُشَاهَدُ فِي الْأَنْوَارِ إِذْ يُمْكِنُ أَنْ يُسْرَجَ أَلْفُ سِرَاجٍ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ مَعَ أَنَّهُ يَمْتَلِئُ نُورًا مِنْ وَاحِدٍ مِنْ تِلْكَ السُّرُجِ لَكِنْ لِكَوْنِهِ لَا يُزَاحَمُ يَجْتَمِعُ مَعَهُ نُورُ الثَّانِي وَنُورُ الثَّالِثِ ثُمَّ لَا يَمْنَعُ امْتِلَاءُ الْبَيْتِ مِنَ النُّورِ جُلُوسَ الْقَاعِدِينَ فِيهِ لِعَدَمِ التَّزَاحُمِ، فَلَا يَرِدُ أَنَّهُ كَيْفَ يُتَصَوَّرُ ذَلِكَ مَعَ كَثْرَةِ التَّسْبِيحَاتِ وَالتَّقْدِيسَاتِ مَعَ أَنَّهُ

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٠١/٣).

(٢) أخرجه الترمذي، أبواب الدعوات، بابٌ (٤٢٠/٥ ح ٣٥١٩)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وأحمد (٢١٩/٣٠ ح١٨٢٨٧)، قلت: في إسناده جُرَي (تصغير جرو) ابن كليب النهدي الكوفي، قال فيه الحافظ: مقبول، يعني حيث يتابع وإلا فلين، انظر: التقريب (ص:١٣٩). وللحديث شواهد منها: ما رواه مسلم عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ – أَوْ تَمْلَأُ – مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... الحديث وقد سبق وله شواهد أخرى بمثل معناه.

يَلْزَمُ مِنْ وُجُودِهِ أَنْ لَا يَبْقَى مَكَانٌ لِشَخْصٍ مِنْ أَهْلِ الْمَحْشَرِ وَلَا لِعَمَلٍ آخَرَ مُتَجَسِّدٍ مِثْلِ تَجَسُّدِ التَّسْبِيحِ وَغَيْرِهِ[1].

٤- التسبيح يذكّر بصاحبه حول العرش:

روى ابن ماجه من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ التَّسْبِيحَ، وَالتَّهْلِيلَ، وَالتَّحْمِيدَ يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ[2]، تُذَكِّرُ بِصَاحِبِهَا، أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَوْ لَا يَزَالَ لَهُ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ؟»[3].

ومعناه أن المسبح له ذكر في الملأ الأعلى عند ربه.

وقد صح هذا المعنى في الحديث المتفق عليه عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً[4].

---

(1) انظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه (١/١٢٠، ١٢١).

(2) دَوِيُّ الريح: حَفِيفُها، وَكَذَلِكَ دَوِيُّ النَّحْلِ. انظر: لسان العرب (١٤/٢٨١) وقال ابن الأثير في النهاية (٢/١٤٢): الدَّوِيُّ: صَوت لَيْسَ بِالْعَالِي، كصوتِ النَّحلِ وَنَحْوِهِ.

(3) أخرجه ابن ماجه، كتاب الأدب، بَابُ فَضْلِ التَّسْبِيحِ (٢/١٢٥٢ ح٣٨٠٩) وقال البوصيري في الزوائد (٤/١٣٢ ح١٣٤١): إسناده صحيح رجاله ثقات، وأخرجه الحاكم، كتابُ الدُّعَاءِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّسْبِيحِ وَالذِّكْرِ (١/٦٨٢ ح١٨٥٥): وقال هَذَا حَدِيثٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وسكت عنه الذهبي.

(4) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ} [آل عمران: ٢٨] (٩/١٢١ ح٧٤٠٥) وهذا لفظه، ومسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ الْحَثِّ عَلَى ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى (٤/٢٠٦١ ح٢٦٧٥).

وكلا الحديثين موافق لما جاء في القرآن الكريم في قول الله تعالى "فاذكروني أذكركم".

٥- شجر الجنة ونخيلها من التسبيح:

روى الترمذي عن جابر ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ (١)».

وروى ابن ماجه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِهِ وَهُوَ يَغْرِسُ غَرْسًا، فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا الَّذِي تَغْرِسُ؟» قُلْتُ: غِرَاسًا لِي، قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى غِرَاسٍ

(١) أخرجه الترمذي، أبواب الدعوات، بابٌ (٥/٥١١ ح٣٤٦٤، ٣٤٦٥) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ، وابن حبان، كتاب الرقائق،= =باب ذِكْر تَفَضُّلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا بِالْأَمْرِ بِغَرْسِ النَّخِيلِ فِي الْجِنَانِ لِمَنْ سَبَّحَهُ مُعَظِّمًا لَهُ بِهِ (٣/١٠٩ ح٨٢٦)، والحاكم، كِتَابُ الدُّعَاءِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّسْبِيحِ وَالذِّكْرِ (١/٦٨٠ ح١٨٤٧) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

قلت: أبو الزبير مدلس وقد عنعن ولم أقف له على تصريح بالسماع، لكن للحديث شواهد منها:

حديثي أبي هريرة وابن مسعود (رضي الله عنهما) المذكورين بعده مباشرة.

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الدعاء، بابٌ فِي ثَوَابِ التَّسْبِيحِ (٦/٥٦ ح٢٩٤٣٨) من طريق يونس بن الحارث عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: " مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَ لَهُ بِهَا نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ "، قلت: هو موقوف لكن مثله لا يقال بالرأي، وإسناده ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: يونس بن الحارث وهو الثقفي الطائفي نزيل الكوفة، قال الحافظ في التقريب (ص:٦١٣): ضعيف.

الثانية: الانقطاع؛ فإن عمرو بن شعيب لم يسمع من عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ.

خَيْرٍ لَكَ مِنْ هَذَا؟»، قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، يُغْرَسْ لَكَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ"(١).

وروى الترمذي عن ابن مسعود ﷺ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلاَمَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ"(٢).

فائدة مهمة:

قال الطيبي في تعليقه على حديث ابن مسعود ﷺ: هنا إشكال لأن الحديث يدل على أن أرض الجنة خالية عن الأشجار والقصور ويدل نحو قوله تعالى (تجري من تحتها الأنهار) على أنها ليست خالية عنها لأنها إنما سميت جنة لأشجارها المتكاثفة.

والجواب: أنها كانت قيعاناً ثم أوجد الله فيها الأشجار والقصور على حسب أعمال العاملين لكل عامل ما يختص به بحسب عمله، ثم إنه تعالى لما يسر له العمل لينال به الثواب جُعل كالغارس لتلك الأشجار مجازاً، إطلاقاً للسبب على المسبب، ولما كان سبب

---

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الأدب، بَابُ فَضْلِ التَّسْبِيحِ (١٢٥١/٢ ح٣٨٠٧) وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٣٢/٤ ح١٣٤٠): هَذَا إِسْنَاد حسن ا.ه، وأخرجه الحاكم بلفظ مقارب، كِتَابُ الدُّعَاءِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّسْبِيحِ وَالذِّكْرِ (٦٩٣/١ ح١٨٨٧) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ وسكت عنه الذهبي.

(٢) أخرجه الترمذي، أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ، بَابٌ (٣٨٧/٥ ح٣٤٦٢)، وقال: وَفِي البَابِ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ. هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ=

=**قلت:** إسناده حسن؛ فيه سيَّار (بتحتانية مثقلة) ابن حاتم العنزي (بفتح المهملة والنون ثم زاي)، أبو سلمة البصري، قال الذهبي: صدوق، وقال الحافظ: صدوق له أوهام، انظر: الكاشف (٤٧٥/١)، تهذيب التهذيب (٢٩٠/٤)، التقريب (ص:٢٦١).

إيجاد الله الأشجار عمل العامل أسند الغرس إليه والقصد بيان طيب الجنة والتشوق إليها والحث على ملازمة قول هؤلاء الكلمات التي هي الباقيات الصالحات[١].

وَأُجِيبَ أَيْضًا: بِأَنَّهُ لَا دَلَالَةَ فِي الْحَدِيثِ عَلَى الْخُلُوِّ الْكُلِّيِّ مِنَ الْأَشْجَارِ وَالْقُصُورِ لِأَنَّ مَعْنَى كَوْنِهَا قِيعَانًا أَنَّ أَكْثَرَهَا مَغْرُوسٌ وَمَا عَدَاهُ مِنْهَا أَمْكِنَةٌ وَاسِعَةٌ بِلَا غَرْسٍ لِيَنْغَرِسَ بِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ وَيَتَمَيَّزَ غَرْسُهَا الْأَصْلِيُّ الَّذِي بِلَا سَبَبٍ وَغَرْسُهَا الْمُسَبَّبِ عَنْ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ[٢].

قال ابن حجر: والحاصل أن أكثرها مغروس ليكون مقابلاً للأعمال الصالحة غير تلك الكلمات وبقيتها تغرس بتلك الكلمات ليمتاز ثواب هذه الكلمات لعظم فضلها كما علم من الأحاديث السابقة عن ثواب غيرها ا.هـ.

قال القاري معقباً على ابن حجر: وفي كون هذا حاصل الجوابين أو أحدهما نظر ظاهر فتأمل، ويخطر بالبال والله أعلم أن أقل أهل الجنة من له جنتان كما قال "ولمن خاف مقام ربه جنتان"،

فيقال جنة فيها أشجار وأنهار وحور وقصور خلقت بطريق الفضل وجنة يوجد فيها ما ذكر بسبب حدوث الأعمال والأذكار من باب العدل وهذا معنى قول بعض الصوفية في تفسير الآية جنة في الدنيا وجنة في العقبى[٣].

٦- أفضل أعمال الآخرة التسبيح: روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ "مَنْ قَالَ: حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ[٤]».

---

(١) فيض القدير (١٠/٤)، تحفة الأحوذي (٣٠٣/٩).

(٢) تحفة الأحوذي (٣٠٣/٩).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ١٤٨، ١٤٩).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ فَضْلِ التَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ (٢٠٧١/٤ ح٢٦٩٢).

٧- المسبّح حبيب الرحمن:

روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ"(١).

قال الحافظ: قَوْلُهُ:(حَبِيبَتَانِ) أَيْ مَحْبُوبَتَانِ، وَالْمَعْنَى مَحْبُوبٌ قَائِلُهُمَا(٢).

٨- المسبحون في الدنيا يواصلون تسبيحهم في الجنة:

روى البخاري عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا(٣)».

وروى مسلم عن جابر ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ» قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: «جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ(٤).

---

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح (٨/ ٨٦ ح٦٤٠٦)، وفي كتاب الإيمان والنذور، بَابُ إِذَا قَالَ: وَاللَّهِ لاَ أَتَكَلَّمُ اليَوْمَ، فَصَلَّى، أَوْ قَرَأَ، أَوْ سَبَّحَ، أَوْ كَبَّرَ، أَوْ حَمِدَ، أَوْ هَلَّلَ، فَهُوَ عَلَى نِيَّتِهِ (٨/١٣٩ ح٦٦٨٢)، ومسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ فَضْلِ التَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ (٤/٢٠٧٢ ح٢٦٩٤).

(٢) فتح الباري (١٣/٥٤٠).

(٣) قال النووي في شرح مسلم (١٧/١٧٣): (يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا) أَيْ قَدْرَهُمَا، والحديث أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ (٤/١١٨ ح٣٢٤٥)، ومسلم، بَابٌ فِي صِفَاتِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِهَا وَتَسْبِيحِهِمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٤/٢١٨٠ ح٢٨٣٤).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابٌ فِي صِفَاتِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِهَا وَتَسْبِيحِهِمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٤/٢١٨٠ ح٢٨٣٥).

فائدة: قوله "يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ": يقول العيني: ووجه التشبيه أن تنفس الإنسان لا كلفة عليه فيه ولا بد له منه فجعل تنفسهم تسبيحاً، وسببه أن قلوبهم تنورت بمعرفة الرب سبحانه وتعالى وامتلأت بحبه ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره[1].

٩- التسبيح يغفر الذنوب ويمحو الخطايا:

روى البخاري عن أبي هريرة ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ[2]"، وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ تَنْفُضُ الْخَطَايَا كَمَا تَنْفُضُ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا[3]».

---

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٥/ ١٥٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، بَابُ فَضْلِ التَّسْبِيحِ (٨/٨٦ ح٦٤٠٥) وهذا لفظه، ومسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ فَضْلِ التَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ (٤/٢٠٧١ ح٢٦٩١) مطولاً.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص:٢٢١ ح٦٣٤)، وأحمد (٢٠/١٤ ح١٢٥٣٤) واللفظ له، كلاهما من طريق سنان بن ربيعة عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ، وأخرجه الترمذي، أبواب الدعوات، بابٌ (٥/٥٤٤ ح٣٥٣٣) من طريق الأَعْمَشِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِشَجَرَةٍ يَابِسَةِ الوَرَقِ فَضَرَبَهَا بِعَصَاهُ فَتَنَاثَرَ الوَرَقُ، فَقَالَ: «إِنَّ الحَمْدُ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ لَتُسَاقِطُ مِنْ ذُنُوبِ العَبْدِ كَمَا تَسَاقَطَ وَرَقُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ»، قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ وَلَا نَعْرِفُ لِلأَعْمَشِ سَمَاعًا مِنْ أَنَسٍ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ رَآهُ وَنَظَرَ إِلَيْه ا.ه=

=وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/٤٢٣) خرجه الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ ا.ه، قلت: بل حسن فإن سنان بن ربيعة الباهلي، قال ابن معين والنسائي: ليس بالقوي، وقال أبو حاتم: شيخ مضطرب الحديث، وذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن عدي: له أحاديث قليلة وأرجو أنه لا بأس به، وقال الذهبي: صدوق، وقال مرة: صويلح، وقال الحافظ: صدوق فيه لين أخرج له البخاري مقروناً، انظر: الضعفاء والمتروكون للنسائي (ص:٥١)، الجرح والتعديل

في هذين الحديثين فوائد:

الأولى: في أداء الذكر الوارد في حديث أبي هريرة وكيفيته، يقول ابن حجر نقلاً عن النَّوَوِيُّ: أَنَّ الْأَفْضَلَ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ مُتَوَالِيًا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَفِي أَوَّلِ اللَّيْلِ[1].

الثانية: تدل الأحاديث على مغفرة جميع الذنوب لقائل هذا الذكر من غير فرق بين الصغائر والكبائر، فقوله: "حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ" أي: فِي كَثْرَتِهَا فَإِنَّ مَا قَالَهُ يَعْدِلُ ذَلِكَ[2].

لكن قال ابن بطال: قال بعض الناس: هذه الفضائل التي جاءت عن النبي ﷺ: (من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة غفر له ...) وما شاكلها إنما هي لأهل الشرف في الدين والكمال والطهارة من الجرائم العظام،

ولا يَظُن أن من فعل هذا وأصرّ على ما شاء من شهواته وانتهك دين الله وحرماته أنه يلحق بالسابقين المطهرين، وينال منزلتهم في ذلك بحكاية أحرف ليس معها تُقَى ولا إخلاص ولا عمل، ما أظلمه لنفسه من يتأول دين الله على هواه[3]".

وقال المناوي: والظاهر أن المراد الصغائر، ولو كانت في الكثرة مثل زبد البحر وهو ما يعلو على وجهه عند هيجانه ... ونقل عن الغزالي: لا تظن أن ما في التهليل والتقديس والتحميد والتسبيح من الحسنات بإزاء تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير حصول معانيها في القلب، فسبحان الله كلمة تدل على التقديس، ولا إله إلا الله كلمة تدل على التوحيد،

(٢٥١/٤)، الكاشف (٤٦٧/١)، المغني (٢٨٦/١)، ميزان الاعتدال (٢٣٥/٢)، تهذيب التهذيب (٢٤٠/٤)، التقريب (ص: ٢٥٦).

(1) فتح الباري (٢٠٦/١١).

(2) المنتقى شرح الموطأ (١/ ٣٥٥).

(3) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ١٣٤).

والحمد لله تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق فيما وعد به من الحسنات والمغفرة، ونحو ذلك بإزاء هذه المعارف وإنما هو من أبواب الإيمان واليقين(١).

قلت: يغفر لقائل هذا الذكر ما ارتكبه من الكبائر إن أجرى هذا الذكر بقصد التوبة والإنابة إلى الله، وهو اختيار بعض أهل العلم، فقد قال ابن حجر في تعليقه على حديث (ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار)(٢): "أن مطلقة مقيد بمن قالها تائباً ثم مات على ذلك(٣).

كما أن قائل هذا الذكر ينتفع به – إن شاء الله – مع ارتكابه المعصية، فقد سُئِلَ الْحَسَنُ عَنْ رَجُلٍ لَا يَتَحَاشَى مِنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا أَنَّ لِسَانَهُ لَا يَفْتُرُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، فَقَالَ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَوْنٌ حَسَنٌ، وَسُئِلَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ رَجُلٍ اكْتَسَبَ مَالًا مِنْ شُبْهَةٍ: صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ يَحُطُّ عَنْهُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: إِنْ صَلَّى وَسَبَّحَ يُرِيدُ بِهِ ذَلِكَ، فَأَرْجُو(٤).

١٠– من حضر مجلس التسبيح غفر له وإن لم يُسَبح:

روى البخاري عن أبي هريرة ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ " قَالَ:

---

(١) فيض القدير (٦/ ١٩١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا (١/ ٥٩ ح١٢٨)، وهو جزء من حديث أنس ﷺ، ولفظه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، وَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: «يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلاَثًا، قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «إِذًا يَتَّكِلُوا» وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا". قال الحافظ في هدي الساري (ص:٧٥): تأثماً: أَي تحرجاً من الْإِثْم.

(٣) فتح الباري (١/ ٢٢٦).

(٤) ذكر الأثران عن الحسن وأحمد ابنُ رجب في جامع العلوم والحكم (١/٤٢٣).

«فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» قَالَ: " فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ " قَالَ: " فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ " قَالَ: " فَيَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ؟ " قَالَ: " فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟،

قَالَ: " يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا" قَالَ: " يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ " قَالَ: «يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ» قَالَ: " يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: "يَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا " قَالَ: " يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ " قَالَ: "يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ " قَالَ: " يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: "يَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا " قَالَ: "يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً " قَالَ: "فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ "قَالَ: " يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ(١)".

وفي الحديث: فَضْلُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ وَالذَّاكِرِينَ وَفَضْلُ الِاجْتِمَاعِ عَلَى ذَلِكَ وَأَنَّ جَلِيسَهُمْ يَنْدَرِجُ مَعَهُمْ فِي جَمِيعِ مَا يَتَفَضَّلُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَلَيْهِمْ إِكْرَامًا لَهُمْ وَلَوْ لَمْ يُشَارِكْهُمْ فِي أَصْلِ الذِّكْرِ،... وَفِيهِ مَحَبَّةُ الْمَلَائِكَةِ بَنِي آدَمَ وَاعْتِنَاؤُهُمْ بِهِمْ، وَقِيلَ إِنَّهُ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الذِّكْرَ الْحَاصِلَ مِنْ بَنِي آدَمَ أَعْلَى وَأَشْرَفُ مِنَ الذِّكْرِ الْحَاصِلِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِحُصُولِ ذِكْرِ

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب الدعوات، بَابُ فَضْلِ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (٨/٨٦ ح٦٤٠٨)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، بَابُ فَضْلِ مَجَالِسِ الذِّكْرِ (٤/٢٠٦٩ ح٢٦٨٩).

الْآدَمِيِّينَ مَعَ كَثْرَةِ الشَّوَاغِلِ وَوُجُودِ الصَّوَارِفِ وَصُدُورِهِ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ بِخِلَافِ الْمَلَائِكَةِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ [1].

١١- التسبيح صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ وَبِه يُرْزَقُ كُلُّ شَيْءٍ.

روى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عن النَّبِيِّ ﷺ ...: «إِنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَعَا ابْنَيْهِ فَقَالَ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكُمَا الْوَصِيَّةَ آمُرُكُمَا بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكُمَا عَنِ اثْنَتَيْنِ، أَنْهَاكُمَا عَنِ الشِّرْكِ بِاللَّهِ وَالْكِبْرِ، وَآمُرُكُمَا بِلَا إله إلا الله فإن السموات والأرض وما فيهما لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى كَانَتْ أرجح، ولو أن السموات وَالْأَرْضَ كَانَتَا حَلْقَةً فَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله عليهما لقصمتهما أو لفصمتهما، وَآمُرُكُمَا بِسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ وَبِهَا يُرْزَقُ كُلُّ شَيْءٍ» [2].

وروى البخاري عن أَبَى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ [3]"

وروى الْبُخَارِيِّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ [4].

وروى الطبراني في الأوسط عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «إِنِّي لَشَاهِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَلْقَةٍ، وَفِي يَدِهِ حَصًى، فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، وَفِينَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ، فسَمِعَ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَسَبَّحْنَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ، سَمِعَ

([1]) انظر: فتح الباري (٢١١/١١ وما بعدها).

([2]) أخرجه أحمد في مسنده (١١/ ٦٧٠ح ٧١٠١) بإسناد صحيح، والحاكم، كتاب الإيمان (١١٢/١ ح١٥٤) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَا ووافقه الذهبي.

([3]) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، بَابٌ: إِذَا حَرَّقَ الْمُشْرِكُ الْمُسْلِمَ هَلْ يُحَرَّقُ (٦٢/٤ ح٣٠١٩)، وفي كتاب بدء الخلق برقم (٣٣١٩).

([4]) أخرجه البخاري، كتاب الناقب، باب عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ (١٩٤/٤ ح٣٥٧٩) بتمامه.

تَسَبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى عُمَرَ، فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، وَسَمِعَ تَسَبِيحَهُنَّ مَنِ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَيْنَا، فَلَمْ يُسَبِّحْنَ مَعَ أَحَدٍ مِنَّا»[1].

يستفاد من الأحاديث: أن كل المخلوقات تسبح ربها، وهو موافق لما جاء في كثير من آيات القرآن الكريم من تسبيح الأنبياء والملائكة والطير والجماد والأفلاك والأجرام وغير ذلك من الخلائق، فكل أولئك يخبر القرآن عنهم أنهم يسبحون ربهم، وقد جمع الله ذلك كله في آيةٍ واحدةٍ،

قال الله تعالى ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ ﴾[2].

([1]) أخرجه البزار (٤٣٤/٩ ح٤٠٤٤)، والطبراني في الأوسط (٥٩/٢ ح١٢٤٤) واللفظ له، وقال: لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ دَاوُدَ إِلَّا حُمَيْدٌ، تَفَرَّدَ بِهِ الْجَارُودِيُّ عَنْ أَبِيهِ ا.ه، وقال الهيثمي في المجمع: (٢٢٩/٨ ح١٤١٠٣): رَوَاهُ الْبَزَّارُ بِإِسْنَادَيْنِ وَرِجَالُ أَحَدِهِمَا ثِقَاتٌ، وَفِي بَعْضِهِمْ ضَعْفٌ ا.ه، قلت: إسناد الطبراني صحيح، ويشهد لهذا الحديث حديثُ الْبُخَارِيِّ السابق عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ"، وقال الحافظ ابن كثير في التفسير (٧٩/٥): حَدِيثٌ مَشْهُورٌ فِي الْمَسَانِيدِ.

([2]) سورة الإسراء، الآية (٤٤).

المبحث الثالث: كيفية العَد فى التسبيح:

ورد عن النبي ﷺ أحاديث في إحصاء التسبيح وعدّه على أنامل اليد اليمنى، وأحاديث أخري في إحصائه بالحصى والنوى، فمن أحاديث الطائفة الأولى:

حديث عبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: "رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَعْقِدُ التَّسْبِيحَ بِيَمِينِهِ(١)".

وعنه رضي الله عنه أيضاً قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "خَلَّتَانِ لَا يُحْصِيهِمَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ، أَلَا وَهُمَا يَسِيرٌ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ: يُسَبِّحُ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَيَحْمَدُهُ عَشْرًا، وَيُكَبِّرُهُ عَشْرًا "، قَالَ: فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَعْقِدُهَا بِيَدِهِ، قَالَ: «فَتِلْكَ خَمْسُونَ وَمِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةٍ فِي المِيزَانِ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ تُسَبِّحُهُ وَتُكَبِّرُهُ وَتَحْمَدُهُ مِائَةً، فَتِلْكَ مِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ فِي المِيزَانِ، فَأَيُّكُمْ يَعْمَلُ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَلْفَيْنِ وَخَمْسَمِائَةِ سَيِّئَةٍ»؟ قَالُوا: فَكَيْفَ لَا نُحْصِيهَا؟ قَالَ: "يَأْتِي أَحَدَكُمُ الشَّيْطَانُ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ، فَيَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا، حَتَّى يَنْفَتِلَ، فَلَعَلَّهُ أَلَّا يَفْعَلَ، وَيَأْتِيهِ وَهُوَ فِي مَضْجَعِهِ، فَلَا يَزَالُ يُنَوِّمُهُ حَتَّى يَنَامَ(٢)"

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، بَابُ التَّسْبِيحِ بِالْحَصَى (٨١/٢ ح١٥٠٢) وإسناده صحيح، وأخرجه النسائي، كتاب السهو، بَابُ عَقْدِ التَّسْبِيحِ (٧٩/٣ ح١٣٥٥)، وابن حبان، كتاب الرقائق، باب ذِكْر اسْتِعْمَالِ الْمُصْطَفَى ﷺ الْعَمَلَ الَّذِي وَصَفْنَاهُ (١٢٣/٣ ح٨٤٣) ولفظه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَعْقِدُ التَّسْبِيحَ بِيَدِهِ»، وقال النووي في الأذكار (ص:١٧ ح٢٨): إسناده حسن.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في التسبيح عند النوم (٣١٦/٤ ح٥٠٦٥)، والترمذي، أبواب الدعوات، بَاب مَا جَاءَ فِي التَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ عِنْدَ الْمَنَامِ (٣٥٠/٥ ح٣٤١٠) واللفظ له، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وَقَدْ رَوَى شُعْبَةُ، وَالثَّوْرِيُّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، هَذَا الحَدِيثَ، وَرَوَى الأَعْمَشُ، هَذَا الحَدِيثَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ مُخْتَصَرًا وَفِي البَابِ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَأَنَسٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ،=

وعن يُسَيْرَة بنت ياسر (صحابية مهاجرة ﵂) «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُنَّ أَنْ يُرَاعِينَ بِالتَّكْبِيرِ، وَالتَّقْدِيسِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَأَنْ يَعْقِدْنَ بِالْأَنَامِلِ، فَإِنَّهُنَّ مَسْئُولَاتٌ، مُسْتَنْطَقَاتٌ[1]».

يُستفاد من هذه الْأَحَادِيثِ مَشْرُوعِيَّةُ عَقْدِ التَّسْبِيحِ بِالْأَنَامِلِ وَقد عَلَّلَ ذَلِكَ رَسُول اللَّهِ ﷺ بأن الأنامل مسؤولات مُسْتَنْطَقَاتٌ يَعْنِي: أَنَّهُنَّ يَشْهَدْنَ بِذَلِكَ فَكَانَ عَقْدُهُنَّ بِالتَّسْبِيحِ مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ أَوْلَى مِنَ السُّبْحَةِ وَالْحَصَى[2] .

وفي هذا يقول القاري: صَحَّ أَنَّهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كَانَ يَعْقِدُ التَّسْبِيحَ بِيَمِينِهِ، وَوَرَدَ: أَنَّهُ قَالَ «وَاعْقِدُوهُ بِالْأَنَامِلِ فَإِنَّهُنَّ مَسْئُولَاتٌ مُسْتَنْطَقَاتٌ»[3].

قلت: وبهذا يتبين لنا أن ذلك قد ثبت من فعله وأمره ﷺ.

=وأخرجه أيضاً ابن حبان، كتاب الصلاة، باب ذِكْر الْبَيَانِ بِأَنَّ مَا وَصَفْنَا مِنَ التَّسْبِيحِ، وَالتَّحْمِيدِ، وَالتَّكْبِيرِ، إِنَّمَا أُمِرَ بِاسْتِعْمَالِهِ فِي عَقِبِ الصَّلَاةِ لَا فِي الصَّلَاةِ نَفْسِهَا (٥/٣٥٤ ح٢٠١٢).

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، بَابُ التَّسْبِيحِ بِالْحَصَى (٢/٨١ ح١٥٠١)، والترمذي، أبواب الدعوات، بَابٌ في فضل التسبيح والتهليل والتقديس (٥/٤٦٣ ح٣٥٨٣) وقال: هَذَا حَدِيثٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ هَانِئِ بْنِ عُثْمَانَ ا.ه. قلت: إسناده لين؛ فيه هانئ بن عثمان الجهني، أبو عثمان الكوفي، قال الحافظ: مقبول (التقريب (ص: ٥٧٠)، وأمه حُمَيْضة بنت ياسر، قال الحافظ: مقبولة، التقريب (ص:٧٤٦)، ومع ذلك فقد صححه ابن حبان فأخرجه في الصحيح، كتاب الرقائق، باب ذِكْر اسْتِحْبَابِ عَقْدِ الْمَرْءِ التَّسْبِيحَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّقْدِيسَ بِالْأَنَامِلِ إِذْ هُنَّ مَسْؤُولَاتٌ وَمُسْتَنْطَقَاتٌ (٣/١٢٢ ح٨٤٢)، وقال النووي في الأذكار (ص: ١٨ ح٢٧): إسناده حسن، وقال الشوكاني في نيل الأوطار (٢/٣٦٥): قَدْ صَحَّحَ السُّيُوطِيّ إسْنَادَ هَذَا الْحَدِيثِ.

(٢) تحفة الأحوذي (٩/ ٣٢٢).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢/ ٧٦٨).

ومن أحاديث الطائفة الثانية:

ما رُوي عن سعد بن أبي وقاص ﷺ أَنَّهُ دَخَلَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى امْرَأَةٍ وَبَيْنَ يَدَيْهَا نَوًى أَوْ حَصًى تُسَبِّحُ بِهِ، فَقَالَ: «أُخْبِرُكِ بِمَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكِ مِنْ هَذَا - أَوْ أَفْضَلُ -»، فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الْأَرْضِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ بَيْنَ ذَلِكَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا هُوَ خَالِقٌ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ مِثْلُ ذَلِكَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِثْلُ ذَلِكَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِثْلُ ذَلِكَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ مِثْلُ ذَلِكَ»(١).

وعن هَاشِم بن سَعِيدٍ الكُوفِي قَالَ: حَدَّثَنِي كِنَانَةُ، مَوْلَى صَفِيَّةَ قَالَ: سَمِعْتُ صَفِيَّةَ، تَقُولُ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ يَدَيَّ أَرْبَعَةُ آلَافِ نَوَاةٍ أُسَبِّحُ بِهَا، قَالَ: «لَقَدْ سَبَّحْتِ

(١) أخرجه أبو داود واللفظ له، كتاب الصلاة، بَابُ التَّسْبِيحِ بِالْحَصَى (٨٠/٢ ح١٥٠٠)، والترمذي، أبواب الدعوات، بَاب فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَعَوُّذِهِ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ (٥٦٢/٥ ح٣٥٦٨) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ سَعْدٍ، والبزار (٣٩/٤ ح١٢٠١) وقال: وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا نَعْلَمُهُ يُرْوَى عَنْ سَعْدٍ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وابن حبان، كتاب الرقائق، باب ذِكْر الْأَمْرِ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ عَدَدَ مَا خَلَقَ اللَّهُ وَمَا هُوَ خَالِقُهُ (١١٨/٣ ح٨٣٧)، والحاكم، كِتَابُ الدُّعَاءِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّسْبِيحِ وَالذِّكْرِ (٧٣٢/١ ح٢٠٠٩) وصححه.

قلت: إسناده ضعيف؛ فيه خزيمة الراوي عن عائشة بنت سعد، قال الذهبي: لا يعرف، تفرد عنه سعيد بن أبي هلال، حديثه في التسبيح، وقال الحافظ: لا يعرف، انظر: ميزان الاعتدال (٦٥٣/١)، التقريب (ص:١٩٣)، وفيه سعيد بن أبي هلال الليثي وثقه كثيرون إلا أن أحمد قال: ما أدري أي شيء، يخلط في الأحاديث، انظر: تهذيب التهذيب (٩٤/٤)، قلت: مما يدل على اختلاطه أنه مرة رواه عن خزيمة (المجهول) ومرة رواه عن عائشة بنت سعد، والحديث ضعفه المباركفورى في مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٤٧٩).

بِهَذِهِ، أَلَا أُعَلِّمُكِ بِأَكْثَرَ مِمَّا سَبَّحْتِ؟» فَقُلْتُ: بَلَى عَلِّمْنِي. فَقَالَ: " قُولِي: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ خَلْقِهِ[1]".

في الحديثين فوائد :

الأولى: حكم التسبيح بالحصى والنوى:

عامة العلماء على تجويز التسبيح بالحصى والنوى وبالمسبحة أيضاً، قال الشوكاني: والحديثان يدلان على جواز عد التسبيح بالنوى والحصى وكذا بالسبحة لعدم الفارق لتقريره ﷺ للمرأتين على ذلك وعدم إنكاره، والإرشاد إلى ما هو أفضل لا ينافي الجواز [2]. وقال ملا على القاري: قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: وَالرِّوَايَاتُ فِي التَّسْبِيحِ بِالنَّوَى وَالْحَصَى كَثِيرَةٌ عَنِ الصَّحَابَةِ، وَبَعْضِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، بَلْ رَآهَا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَأَقَرَّ عَلَيْهَا[3].

---

(1) أخرجه الترمذي، أبواب الدعوات، بابٌ (٥/٥٥٥ ح٣٥٥٤)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ صَفِيَّة إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ هَاشِمِ بْنِ سَعِيدٍ الكُوفِيِّ، وَلَيْسَ إِسْنَادُهُ بِمَعْرُوفٍ. والحاكم، كِتَابُ الدُّعَاءِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّسْبِيحِ وَالذِّكْرِ (١/٧٣٢ ح٢٠٠٨) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وسكت عنه الذهبي .

قلت: إسناده ضعيف فيه هاشم بن سعيد (ضعيف) كما قال الحافظ في التقريب (ص: ٥٧٠)، وقد نقل المباركفوري في مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٤٧٩)كلام الترمذى السابق في تضعيف الحديث وقال: وأما الحاكم فقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي وتبعه السيوطي واغتر به الشوكاني وقال: وهذا منهم عجيب، فإن هاشم بن سعيد هذا أورده الذهبي في الميزان، وقال: قال ابن معين: ليس بشي، وقال ابن عدي: مقدار ما يرويه لا يتابع عليه. ولهذا قال الحافظ في التقريب: ضعيف، وينظر ترجمته في: الكامل لابن عدي (٨/٤١٨)، ميزان الاعتدال (٤/٢٨٩)، الكاشف (٢/٣٣٢)، التقريب (ص: ٥٧٠).

(2) نيل الأوطار (٢/٣٦٦).

(3) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢/٧٦٨).

وقد تعقب المباركفوري القائلين بالجواز فقال: وعندي فيه نظر لأن الحديث ضعيف، وإن حسنه الترمذي وصححه الحاكم والذهبي، ولم يثبت عد التسبيح بالحصى أو النوى مرفوعاً من فعله أو قوله أو تقريره ﷺ والخيْر إنما هو في اتباع ما ثبت عنه لا في ابتداع من خالف[1].

الثانية: تجويز المسبحة قياساً على ما جاء في الحديث من التسبيح بالحصى والنوى:

قال العظيم آبادي: وَهَذَا أَصْلٌ صَحِيحٌ لِتَجْوِيزِ السُّبْحَةِ بِتَقْرِيرِهِ ﷺ فَإِنَّهُ فِي مَعْنَاهَا إِذْ لَا فرق بين المنظومة والمنثورة فيما يعد بِهِ وَلَا يُعْتَدُّ بِقَوْلِ مَنْ عَدَّهَا بِدْعَةً [2]. وقال المباركفوري: وقد ساق السيوطي آثاراً في الجزء الذي سماه "المنحة في السبحة" وهو من جملة كتابه المجموع في الفتاوى وقال في آخره: ولم ينقل عن أحد من السلف ولا من الخلف المنع من جواز عَد الذكر بالسبحة بل كان أكثرهم يعدونه بها ولا يرون ذلك مكروها انتهى[3]. وهو قول الشوكاني وغير واحد من العلماء كما بينته في الفائدة الأولى.

الثالثة: المفاضلة بين التسبيح بالأنامل وغيره من التسبيح بالحصى والنوى:

لم يختلف العلماء في أن التسبيح بأنامل اليد اليمنى أفضل من غيره لما جاء في حديث يُسَيْرة أن الأنامل مسئولات مستنطقات، يعني أنهن يشهدن بذلك فكان عقدهن بالتسبيح من هذه الحيْثية أولى من السبحة والحصى[4]، وَقِيلَ: إِنْ أَمِنَ الْغَلَطَ فَهُوَ أَوْلَى، وَإِلَّا فَهِيَ أَوْلَى[5] يعنى السبحة.

---

(1) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤٧١/٧).

(2) عون المعبود وحاشية ابن القيم (٢٥٧/٤).

(3) تحفة الأحوذي (٣٢٢/٩).

(4) نيل الأوطار (٣٦٦/٢).

(5) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧٦٨/٢).

قلت: لا شك أن التسبيح بالعقد على أنامل اليد اليمنى أفضل لأنه الموافق للسنة الصحيحة فقد ثبت ذلك من فعله ﷺ وقوله، وخيْر الهدي هديُه ﷺ، والقول بأن في المسبحة أمن من الغلط يجاب عنه بأن أكثر ما جاءت به السنة في العدد في التسبيح مائة، وضبْط العدد مائة سهلٌ على من اعتاده، كما أن في التسبيح بالأنامل فائدة أخرى وهي شحْذ الهمة لإحضار القلب خشية السهو بخلاف المسبحة فكثيراً ما تكون سبباً لغفلة المسبِّح بها لاعتماده عليها، مع ما فيها من خوف الرياء الحاصل من حملها، والقول ببدعة المسبحة بسبب ضعف الأحاديث الواردة في التسبيح بالنوى والحصى قول لا يمكن القطع به؛ للاختلاف في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، فقد ذهب إلى تضعيفه جماعة من العلماء، ولكن حسنه الترمذي وصححه ابن حبان والحاكم، وعمل بمقتضاه كثير من السلف والخلف وهو قول كثير من العلماء، والله أعلم[1].

الرابعة: وفي الحديثين فائدة جليلة وهي أن الذكر يتضاعف ويتعدد بعدد ما أحال الذاكر على عدده وإن لم يتكرر الذكر في نفسه، وسيأتي بسط ذلك في مبحث مستقل به[2].

المبحث الرابع: المواضع الفاضلة في التسبيح:

من المعلوم المشتهر لدى الناس أن الذكر والتسبيح لا يختص بمكان معين فالأصل فيه الجواز في كل الأمكنة وفي جميع الأوقات والأحوال ولقد كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ[3]»،

وإنما يستثنى من ذلك ما ورد النهي عنه، وفى هذا المعنى يقول النووي: اعلم أن الذكر محبوبٌ في جميع الأحوال إلا في أحوال وردَ الشرعُ باستثنائها نذكرُ منها هاهنا طرفاً، إشارة

---

(1) نيل الأوطار (٣٦٦/٢).

(٤) ينظر المبحث الخامس.

(3) أخرجه مسلم بهذا اللفظ، كتاب الحيض، بَابُ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى فِي حَالِ الْجَنَابَةِ وَغَيْرِهَا (٢٨٢/١ ح٣٧٣) من حديث أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها).

إلى ما سواه مما سيأتي في أبوابه إن شاء الله تعالى، فمن ذلك: أنه يُكره الذكرُ حالة الجلوس على قضاء الحاجة، وفي حالة الجِماع، وفي حالة الخُطبة لمن يسمعُ صوت الخطيب، وفي القيام في الصلاة، بل يشتغلُ بالقراءة، وفي حالة النعاس، ولا يُكره في الطريق ولا في الحمَّام، والله أعلم[1]، وأما بخصوص الأفضل في مواضع التسبيح فإن الله تعالى فضل بعض البقاع على بعض، فما فضله الله تعالى يكون الذكر والتسبيح فيه أفضل من غيره، وفي هذا الخصوص وردت آيات وأحاديث تبين فضل بيوت الله على غيرها كما في قول الله تعالى: (في بيوت أذن الله أن ترفع ...)، كما ثبت عنه ﷺ أنه كان يتحرى موضعاً بعينه من المسجد يسبح فيه روى مسلم عَنْ سَلَمَةَ بن الْأَكْوَعِ أَنَّهُ كَانَ يَتَحَرَّى مَوْضِعَ مَكَانِ الْمُصْحَفِ يُسَبِّحُ فِيهِ، وَذَكَرَ «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَتَحَرَّى ذَلِكَ الْمَكَانَ، وَكَانَ بَيْنَ الْمِنْبَرِ وَالْقِبْلَةِ قَدْرُ مَمَرِّ الشَّاةِ»[2].

ويستفاد منه: أفضلية هذا المكان الذى كان يسبح فيه النبي ﷺ لكونه بين القبلة والمنبر كما أنه مكان المصحف، وقد فهم ذلك سلمة بن الأكوع رضي الله عنه من فعله ﷺ فكان يتحرى ذلك المكان يسبح فيه، كما هو ظاهر في أفضلية الذكر والتسبيح في المساجد على غيرها، وحول هذا المعنى يقول النووي في الأذكار: ينبغي أن يكون الموضعُ الذي يذكرُ فيه خالياً نظيفاً، فإنه أعظمُ في احترام الذكر المذكور، ولهذا مُدح الذكرُ في المساجد والمواضع الشريفة، وجاء عن الإمام الجليل أبي ميسرة رضي الله عنه قال: (لا يُذكر اللَّهَ تعالى إلاَّ في مكان طيّب) ا.هـ[3].

وكما صح عنه ﷺ فضل تلاوة القرآن ومدارسته في بيوت الله تعالى فقال في الحديث الذي يرويه عنه أبو هريرة رضي الله عنه: "مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ،

---

(1) انظر: الأذكار (ص:١٢).

(2) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب دنو المصلي من السترة (١/٣٦٤ ح٥٠٩).

(3) انظر: الأذكار للنووي (ص:١٢).

وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ"(١).

فقد ذكر النبي ﷺ فضلاً عظيماً لمن يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ وشرط لحصوله "أنهم فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ" وبيوت الله تعالى هي المساجد، فمن ذكر الله تعالى في غير المسجد فهو على خير إن شاء الله لكن لا يحصل على هذا الأجر الخاص إلا بكون الذكر في المساجد.

كما قال ﷺ للأعرابي الذي بال في المسجد: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر إنما هي لذكر الله عز وجل، والصلاة وقراءة القرآن»(٢).

قال البدر العَيْني: فِيهِ دَلِيل على أَن الْمَسَاجِد لَا يجوز فِيهَا إِلاَّ ذكر الله وَالصَّلَاة وَقِرَاءَة الْقُرْآن بقوله: (وَإِنَّمَا هِيَ لذكر الله)، من قصر الْمَوْصُوف على الصّفة، وَلَفظ الذّكر عَام يتَنَاوَل قِرَاءَة الْقُرْآن وَقِرَاءَة الْعلم، وَوعظ النَّاس وَالصَّلَاة أَيْضاً عَام، فَيتَنَاوَل الْمَكْتُوبَة والنافلة، وَلَكِن النَّافِلَة فِي الْمنزل أفضل، ... وَالصَّحِيح أَن الْجُلُوس فِيهِ لعبادة أَو قِرَاءَة علم أَو درس أَو سَمَاع موعظة أَو انْتِظَار صَلَاة أَو نَحْو ذَلِك مُسْتَحبّ، ويثاب على ذَلِك، وَإِن لم يكن لشَيْء من ذَلِك كَانَ مُبَاحاً، وَتَرْكه أَوْلى(٣).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب العلم، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (٤/٢٠٧٤ ح٢٦٩٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، بَابُ تَرْكِ النَّبِيِّ ﷺ وَالنَّاسِ الأَعْرَابِيَّ حَتَّى فَرَغَ مِنْ بَوْلِهِ فِي المَسْجِدِ (١/٥٤ ح٢١٩) وفي مواضع أخرى برقم (٢٢١، ٦٠٢٥)، ومسلم وهذا لفظه، كتاب الطهارة باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، وأن الأرض تطهر بالماء، من غير حاجة إلى حفرها (١/٢٣٦ ح٢٨٥) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٣/ ١٢٦).

المبحث الخامس: تسبيح لا يُحْصَى عَدُّه:

ثبت عنه ﷺ أنه كان يسبح بكلمات قليلة لكن أعدادها لا تتناهى، فمن سبحها مخلصاً لله تعالى كان له من الأجر ما لا يحصيه إلا الله تعالى؛ لأن الله تعالى أعطاه ﷺ جوامع الكلم[1] وهي كلمات قليلة تحمل معانى عظيمة:

روى مسلم عَنْ أم المؤمنين جُوَيْرِيَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا[2]، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ"، وفي رواية «سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللهِ رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ[3]».

وعند أبي داود من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أَنَّهُ دَخَلَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى امْرَأَةٍ وَبَيْنَ يَدَيْهَا نَوًى أَوْ حَصًى تُسَبِّحُ بِهِ، فَقَالَ: «أُخْبِرُكِ بِمَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكِ مِنْ هَذَا – أَوْ أَفْضَلُ –»، فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الْأَرْضِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ بَيْنَ ذَلِكَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا هُوَ خَالِقٌ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ

---

(1) ثبت ذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه وهو حديث متفق على صحته؛ أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ» (٥٤/٤ ح٢٩٧٧) وفي مواضع أخرى برقم (٧٠١٣، ٧٢٧٣)، ومسلم، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ (٣٧١/١ ح٥٢٣) ولفظه "فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ"، وفي رواية "بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ ... الحديث".

(2) أراد بمسجدها: مَوْضِعِ صَلَاتِهَا، انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٤٤/١٧).

(3) أخرجه مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ التَّسْبِيحِ أَوَّلَ النَّهَارِ وَعِنْدَ النَّوْمِ (٢٠٩٠/٤ ح٢٧٢٧).

مِثْلُ ذَلِكَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِثْلُ ذَلِكَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِثْلُ ذَلِكَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ مِثْلُ ذَلِكَ»[1].

وروى الترمذي من طريق هَاشِم بن سَعِيدٍ الكُوفِي قَالَ: حَدَّثَنِي كِنَانَةُ، مَوْلَى صَفِيَّةَ قَالَ: سَمِعْتُ صَفِيَّةَ، تَقُولُ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ يَدَيَّ أَرْبَعَةُ آلَافِ نَوَاةٍ أُسَبِّحُ بِهَا، قَالَ: «لَقَدْ سَبَّحْتِ بِهَذِهِ، أَلَا أُعَلِّمُكِ بِأَكْثَرَ مِمَّا سَبَّحْتِ؟» فَقُلْتُ: بَلَى عَلِّمْنِي. فَقَالَ: " قُولِي: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ خَلْقِهِ[2]".

في الأحاديث فوائد:

الأولى: معنى الذكر الوارد في حديث جويرية (رضي الله عنها).

نقل المباركفوري عن السيوطي قوله "عدد خلقه" أي قدر عدد خلقه "سبحان الله رضي نفسه" أي أسبحه قدر ما يرضاه، "سبحان الله زنة عرشه" أي أسبحه بمقدار وزن عرشه ولا يعلم وزنه إلا الله تبارك وتعالى، "سبحان الله مداد كلماته" بكسر الميم أي مثل عددها وقيل قدر ما يوازيها في الكثرة عيار كيل أو وزن أو عدد أو ما أشبهه من وجوه الحصر والتقدير، وهذا تمثيل يراد به التقريب لأن الكلام لا يدخل في الكيل والوزن وإنما يدخل في العدد[3].

وقال النووي: (مِدَادَ كَلِمَاتِهِ) هُوَ بِكَسْرِ الْمِيمِ قِيلَ مَعْنَاهُ مِثْلُهَا فِي الْعَدَدِ وقيل مثلها في أنها لا تنفد وَقِيلَ فِي الثَّوَابِ، قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَاسْتِعْمَالُهُ هُنَا مَجَازٌ لِأَنَّ كَلِمَاتِ اللَّهِ تَعَالَى لَا تُحْصَرُ بِعَدٍّ وَلَا غَيْرِهِ وَالْمُرَادُ الْمُبَالَغَةُ بِهِ فِي الْكَثْرَةِ لِأَنَّهُ ذَكَرَ أَوَّلًا مَا يَحْصُرُهُ الْعَدُّ الْكَثِيرُ مِنْ

---

(1) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، بَابُ التَّسْبِيحِ بِالْحَصَى (٢/٨٠ ح١٥٠٠)، وقد سبق تخريج الحديث مفصلاً والحكم عليه في المبحث الثالث في كيفية العد في التسبيح.

(2) أخرجه الترمذي، أبواب الدعوات، بابٌ (٥/٥٥٥ ح٣٥٥٤)، وقد سبق تخريج الحديث مفصلاً والحكم عليه في المبحث الثالث في كيفية العد في التسبيح.

(3) تحفة الأحوذي (٩/٣٨١).

عَدَدِ الْخَلْقِ ثُمَّ زِنَةُ الْعَرْشِ ثُمَّ ارْتَقَى إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَعَبَّرَ عَنْهُ بِهَذَا أي ما لايحصيه عَدٌّ كَمَا لَا تُحْصَى[1]).

وقال الصنعاني (رحمه الله): وخلقه شامل لما في السموات والأرض وفي الدنيا والآخرة، ورضاء نفسه أي عدد من رضي الله عنهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ورضاه عنهم لا ينقضي ولا ينقطع، وزِنَة عرشه أي زنة ما لا يعلم قدر وزنه إلا الله، ومداد كلماته (بكسر الميم) وهو ما تمد به الدواة كالحبر والكلمات هي معلومات الله ومقدوراته وهي لا تنحصر وهي لا تتناهى ومدادها هو كل مدة يكتب بها معلوم أو مقدور وذلك لا ينحصر فمتعلقه غير منحصر كما قال تعالى: {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي} الآية[2].

الثانية: فضل هذا الذكر:

حول هذا المعنى يقول الشيخ العز ابن عبد السلام في فتاواه: قد يكون بعض الأذكار أفضل من بعض لعمومها وشمولها واشتمالها على جميع الأوصاف السلبية والذاتية والفعلية فيكون القليل من هذا النوع أفضل من الكثير من غيره كما جاء في قوله ﷺ سبحان الله عدد خلقه[3].

الثالثة: إشكال وجواب:

يقول السندي: فَإِنْ قُلْت: كَيْف يَصِحّ تَقْيِيد التَّسْبِيح بِالْعَدَدِ الْمَذْكُور وَنَحْوه مَعَ أَنَّ التَّسْبِيح هُوَ التَّنْزِيه عَنْ جَمِيع مَا لَا يَلِيق بِجَنَابِهِ الْأَقْدَس وَهُوَ أَمْر وَاحِد فِي ذَاته لَا يَقْبَل التَّعَدُّد، وَبِاعْتِبَارِ صُدُوره عَنْ الْمُتَكَلِّم لَا يُمْكِن اِعْتِبَار هَذَا الْعَدَد فِيهِ لِأَنَّ الْمُتَكَلِّم لَا يَقْدِر عَلَيْهِ وَلَوْ فُرِضَ قُدْرَته عَلَيْهِ أَيْضًا لَمَا صَحَّ تَعَلُّق هَذَا الْعَدَد بِالتَّسْبِيحِ إِلَّا بَعْد أَنْ صَدَرَ مِنْهُ

(1) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/٤٤).

(2) سبل السلام (٤/٢١٧).

(3) شرح السيوطي على سنن النسائي (٣/٧٨).

بِهَذَا الْعَدَد أَوْ عَزَمَ عَلَى ذَلِكَ وَإِمَّا بِمُجَرَّدِ ذَاته فَإِنَّ قولهُ مَرَّة سُبْحَان الله لَا يَحْصُل مِنْهُ هَذَا الْعَدَد فَكَيْف يَقُول سُبْحَان الله هَذَا الْعَدَد؟ قُلْت: لَعَلَّ التَّقْيِيد بِمُلَاحَظَةِ اِسْتِحْقَاق ذَاته الْأَقْدَس الْأَظْهَر إِذَا صَدَرَ مِنْ الْمُتَكَلِّم التَّسْبِيح بِهَذَا الْعَدَد فَالْحَاصِل أَنَّ الْعَدَد ثَابِت لِقَوْلِ الْمُتَكَلِّم لَكِنْ لَا بِالنَّظَرِ إِلَى أَنَّهُ تَحَقَّقَ مِنْهُ التَّسْبِيح بِهَذَا الْعَدَد بَلْ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ تَعَالَى حَقِيقٌ بِأَنْ يَقُول الْمُتَكَلِّم التَّسْبِيح فِي حَقّه بِهَذَا الْعَدَد وَاللَّهُ أَعْلَم[1].

الرابعة: قال الشوكاني رحمه الله (في الحديثين الآخرين) فائدة جليلة وهي أن الذكر يتضاعف ويتعدد بعدد ما أحال الذاكر على عدده وإن لم يتكرر الذكر في نفسه فيحصل مثلاً على مقتضى هذين الحديثين لمن قال مرة واحدة سبحان الله عدد كل شيء من التسبيح ما لا يحصل لمن كرر التسبيح ليالي وأياماً بدون الإحالة على عدد وهذا مما يشكل على القائلين أن الثواب على قدر المشقة المنكرين للتفضيل الثابت بصرائح الأدلة، وقد أجابوا عن هذين الحديثين وما شابههما من نحو قوله ﷺ «من فطر صائماً كان له مثل أجره[2]، ومن عزى مصاباً كان له مثل أجره[3]»،

([1]) انظر: حاشية السندي على ابن ماجه (٧/ ١٩٨).

([2]) أخرجه ابن حبان، كتاب الصوم، باب ذكر تفضل الله جل وعلا بإعطاء المفطر مسلماً مثل أجره (٨/٢١٦ ح ٣٤٢٩) عن زيد بن خالد الجهني ﷺ بإسناد صحيح.

([3]) أخرجه الترمذي، أبواب الجنائز باب ما جاء في أجر من عزى مصاباً (٢/٣٧٦ح ١٠٧٣)، وابن ماجه، كتاب الجنائز، بَابُ مَا جَاءَ فِي ثَوَابِ مَنْ عَزَّى مُصَابًا (١/٥١١ح ١٦٠٢)، والبزار (٥/٦٤ ح١٦٣٢) ثلاثتهم [الترمذي وابن ماجه والبزار] من طريق عَلِي بن عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَاللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ سُوقَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ الأَسْوَدِ، عَنْ عَبْدِاللَّهِ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ عَزَّى مُصَابًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ»، وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مَرْفُوعًا إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ عَاصِمٍ»، وَرَوَى بَعْضُهُمْ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُوقَةَ بِهَذَا الإِسْنَادِ مِثْلَهُ مَوْقُوفًا، وَلَمْ يَرْفَعْهُ، " وَيُقَالُ: أَكْثَرُ مَا ابْتُلِيَ بِهِ عَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ بِهَذَا الحَدِيثِ نَقَمُوا عَلَيْهِ ا.ه، وقال البزار: هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مَوْقُوفًا، وَأَسْنَدَهُ عَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ، وَعَبْدُ الْحَكِيمِ=

بأجوبة متعسفة متكلفة[1].

والحديث دليل على فضل هذه الكلمات وأن قائلها يدرك فضيلة تكرار القول بالعدد المذكور ولا يتجه أن يقال إن مشقة من قال هكذا أخف من مشقة من كرر لفظ الذكر حتى يبلغ إلى مثل ذلك العدد، فإن هذا باب منحه رسول الله ﷺ لعباد الله وأرشدهم ودلهم عليه تخفيفاً لهم وتكثيراً لأجورهم من دون تعب ولا نصب فلله الحمد[2].

=**قلت**: علي بن عاصم بن صهيب الواسطي التيمي مولاهم قال الحافظ في التقريب (ص: ٤٠٣): صدوق يخطيء ويصر ورمي بالتشيع ا.ه، وبعلي بن عاصم هذا أعل العقيلي الحديث في الضعفاء الكبير (٣٨٢٤٦) فذكره في ترجمة على بن عاصم مرفوعاً، وقال: لَمْ يُتَابِعْهُ عَلَيْهِ ثِقَةٌ، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى مرفوعاً، كتاب الجنائز، بَابُ مَا يُسْتَحَبُّ مِنْ تَعْزِيَةِ أَهْلِ الْمَيِّتِ رَجَاءَ الْأَجْرِ فِي تَعْزِيَتِهِمْ (٤/٩٨ ح٧٠٨٨) وقال: تَفَرَّدَ بِهِ عَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ، وَهُوَ أَحَدُ مَا أُنْكِرَ عَلَيْهِ ، وَقَدْ رُوِيَ أَيْضًا عَنْ غَيْرِهِ وَاللهُ أَعْلَمُ.

قلت: عبد الحكيم الذي تابع علي بن عاصم كما أشار إليه البزار آنفاً هو عبد الحكيم بن منصور أخرج روايته ابن الأعرابي في المعجم (١/٢٠٩ ح٢٤٦٠)، وعبد الحكيم بن منصور هو الخزاعي أبو سهل أو أبو سفيان الواسطي، قال الحافظ في التقريب (ص: ٣٣٢): متروك كذبه ابن معين.

وقال ابن الجوزي في التحقيق في مسائل الخلاف (٢/٢٢): قَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ طُرُقٍ لَا تَثْبُتُ، وقال في الموضوعات (٣/٢٢٣): عَلِي بْن عَاصِم، قَدْ تفرد بِهِ عَنْ مُحَمَّد بْن سوقة، وَقَدْ كذبه شُعْبَة وَيزِيد بْن هَارُون وَيَحْيَى ابْن معِين.

(١) نيل الأوطار (٢/٣٦٦).

(٢) تحفة الأحوذي (٩/٣٨١).

المبحث السادس: مناسبات التسبيح:

كان النبي ﷺ دائم الذكر والتسبيح في سائر أوقاته وفى جميع أحواله وأموره، وحول هذا المعنى يقول صاحب الإفصاح: لم يكن ﷺ ليغفل عن ربه في حال سفره، ولا في حال قدومه، ولا مقامه ولا ظعَنِه؛ ولا ليله ولا نهاره، وكان في كل حال من حاله له ذكر يخصه، وهكذا ينبغي لكل مسلم(١).

وفى هذا الجانب تُظْهر الأحاديث النبوية كثيراً من مناسبات التسبيح ومنها وفى طليعتها تسبيح الله تعالى نفسه تنزيها وتعظيماً، والتسبيح في الصلاة، والتسبيح في دبر الصلوات، والتسبيح في أثناء التلاوة، والتسبيح في أثناء الصلاة للأمر العارض، والتسبيح بين يدى الدعاء وعند الكرب،

والتسبيح عند التعجب، والتسبيح في دعاء السفر، والتسبيح عند الصعود والهبوط، والتسبيح قبل النوم والتسبيح في خاتمة المجالس.

أولاً: تسبيح الله تعالى نفسه تنزيهاً وتعظيماً:

إن أعلى وأكمل وأروع ما ورد في الأحاديث من التسبيحات هو تنزيه الله تعالى نفسه بقوله "فسبحانى" فياله من تسبيح مشعر بالهيْبة والجلال والكبرياء والعظمة.

روى البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ اللَّهُ: «كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَزَعَمَ أَنِّي لاَ أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ لِي وَلَدٌ، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا»(٢).

في الحديث فوائد:

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح (٤/٢٨٤).

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، بَابُ {وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ} [البقرة: ١١٦] (٦/١٩ ح٤٤٨٢)، وفي مواضع أخرى برقم (٤٩٧٤، ٤٩٧٥).

الأولى: قَوْله (فسبحاني):قال البدر العيْني: لفظ "سُبْحَانَ"، مُضَاف إِلَى يَاء الْمُتَكَلّم يَعْنِي: أنزه نَفسِي[1].

وقال ابن الجوزي: أَي تنزهتُ عَمَّا يُعَاب[2].

وقال المظهِري: أي: تنزيهًا وتطهيرًا وتعظيمًا لي عن صفات المخلوقات. ... والتقدير في (سبحاني): أنزَّه وأُبْعِدُ نفسي عن صفات المخلوقات، ومعنى التنزيه: الإبعاد والتطهير[3].

الثانية: هذا التسبيح المذكور في الحديث في تنزيه الله تعالى نفسه عن الصاحبة والشريك والولد موافق لما جاء في القران الكريم في قول الله تعالى ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾[4]،

وقوله تعالى ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[5].

الثالثة: قال المظهِري: فإن قيل: هذه الأحاديثُ وغيرها مما حكاه النبي (عليه السلام) عن الله تعالى ينبغي أن يكون كلامَ الله، وإذا كان كلام الله فأيُّ فرق بينه وبين القرآن؟، قلنا: القرآن هو اللفظ الذي أنزله جبريل (عليه السلام) عن الله تعالى إلى نبيّنا (عليه السلام)،

---

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٩٢/١٨).

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢/ ٣٨٨).

(٤) مرقاة المفاتيح في شرح المصابيح (١/ ١٠٥).

(٤) سورة الانعام (الآيتان (١٠٠، ١٠١).

(٥) سورة المؤمنون، الآية (٩١).

وأمره أن يقرأه على هذا اللفظ ويَحْفَظَ ويعلِّمَ أمته، فقال تعالى: {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} [القيامة: ١٨] ...والقرآن هو الذي يُعجز جميع المخلوقات عن أن يأتوا بشيء مثله، فقال تعالى: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء: ٨٨]، وأما الأحاديث التي حكاها النبي (عليه السلام) عن الله تعالى فليست بألفاظٍ أَمَر الله تعالى نبيه أن يحفظها ويقرأها، بل يحتمل أن يخبره الله تعالى بهذه المعاني ليلةَ المعراج، أو في المنام، أو بطريق الإلهام وغير ذلك، فأخبر النبيُّ (عليه السلام) أمته بهذه المعاني بعبارةِ نفسه وألفاظه (عليه السلام)، ألا ترى أن حكم ألفاظ هذه الأحاديث ليست بمعجزةٍ، بل تشبه ألفاظُها ألفاظَ سائر أحاديث النبي (عليه السلام)، فإذا كان كذلك فحكمُ هذه الأحاديث حكمُ سائر الأحاديث لرسول الله (عليه السلام).

فإن قيل: إذا كانت هذه الأحاديثَ أيضًا أحاديث رسول الله عليه السلام، وكلُّ أحاديثه عليه السلام من قِبَلِ الله تعالى وإلهامِه، فقد قال الله تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى} [النجم: ٣] يعني لم يتلفَّظ بلفظٍ من القرآن أو الحديث من تلقاء نفسه بل من عنده تعالى، فإذا كان كذلك فِبمَ يُعرف الفرقُ بين الأحاديث التي يرويها عن الله تعالى وبين غيرها من أحاديثه؟، قلنا: أما الأحاديث التي أضافها إلى الله تعالى مثلَ قوله: "قال الله تعالى: كذبني ابن آدم"، وقوله: "قال الله: يؤذيني ابن آدم"، وما أشبهَ ذلك، فهي الأحاديث التي رواها عن الله تعالى، وأما الأحاديث التي لم يُضفها إلى الله تعالى كسائر أحاديثه، فليس يرويه عن الله تعالى، وإن كان من عند الله تعالى وحُكْمَ الله تعالى[1].

(1) مرقاة المفاتيح في شرح المصابيح (١/١٠٥).

ثانياً: التسبيح في الصلاة:

من مهمات الصلاة التسبيح والتكبير وتلاوة القرآن وهذا ما أخبر عنه المعصوم ﷺ في قوله عن الصلاة: (إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن)[1]، وحول هذا المعنى يقول ابن رجب: سمى الله الصلاة تسبيحاً، كما سماها قرآناً، فدل على أن الصلاة لا تخلو عن القرآن والتسبيح[2]. ومواضع التسبيح في الصلاة متعددة، منها:

١- التسبيح في دعاء الافتتاح.

روى مسلم بسنده عن الأوزاعي، عَنْ عَبْدَةَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ يَجْهَرُ بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ يَقُولُ: «سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، تَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ» وَعَنْ قَتَادَةَ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَيْهِ يُخْبِرُهُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، ... [3]».

وعَنْ إِبْرَاهِيمَ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ أَتَوْا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ لَمْ يَأْتُوهُ إِلَّا لِيَسْأَلُوهُ عَنِ افْتِتَاحِ الصَّلَاةِ قَالَ: فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ فَافْتَتَحَ الصَّلَاةَ، وَهُمْ خَلْفَهُ ثُمَّ جَهَرَ، فَقَالَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»[4].

وعن الأسود قَالَ: كَانَ عُمَرُ، إِذَا افْتَتَحَ الصَّلَاةَ رَفَعَ صَوْتَهُ يُسْمِعُنَا: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»[5].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَابُ تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ، وَنَسْخِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ (١/٣٨١ ح٥٣٧) وهو جزء من حديث معاوية بن الحكم السلمي ﷺ.

(٢) فتح الباري لابن رجب (٧/ ١٨٢).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، بَابُ حُجَّةِ مَنْ قَالَ لَا يُجْهَرُ بِالْبَسْمَلَةِ (١/٢٩٩ ح٣٩٩)،

(٤) أخرجه محمد بن الحسن في الآثار (١/١٢٢ ح٧٢)، وهذا إسناد منقطع؛ قَالَ أَبُو زُرْعَةَ: إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ عَنْ عُمَرَ مُرْسَلٌ، انظر: المراسيل لابن أبي حاتم (ص: ١٠)، ولكن الأثر في دعاء عمر ﷺ صحيح كما تظهره الدراسة في هذا المبحث.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١/٢١٠ ح٢٤٠٤) وإسناده صحيح.

وكذلك رواه الدارقطني وقال في آخره : "يُسْمِعُنَا ذَلِكَ وَيُعَلِّمُنَا"[1] وقد اشتهر هذا الدعاء عن عمر ﷺ ورواه عنه جمع كثير كما سيأتي في فوائد الحديث.

وفى حديث عائشة قالت: كان رسولُ الله ﷺ إذا استفتَحَ الصلاةَ قال: "سُبحانك اللهم وبحمدِكَ، وتبارك اسمُك، وتعالى جَدك، ولا إله غيرُك"[2].

---

(1) أخرجه الدارقطني في السنن، كتاب الصلاة، بَابُ دُعَاءِ الِاسْتِفْتَاحِ بَعْدَ التَّكْبِيرِ (٦١/٢ ح١١٤٣) وقال: هَذَا صَحِيحٌ عَنْ عُمَرَ قوله، ورواه الدارقطني أيضاً برقم (١١٤٢) من طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُمَرَ بْنِ شَيْبَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، عَنْ عُمَرَ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَبَّرَ لِلصَّلَاةِ ، قَالَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ» ، وَإِذَا تَعَوَّذَ قَالَ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ هَمْزِ الشَّيْطَانِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ». رَفَعَهُ هَذَا الشَّيْخُ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، عَنْ عُمَرَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمَحْفُوظُ عَنْ عُمَرَ مِنْ قَوْلِهِ ، كَذَلِكَ رَوَاهُ إِبْرَاهِيمُ ، عَنْ عَلْقَمَةَ ، وَالْأَسْوَدِ ، عَنْ عُمَرَ ، وَكَذَلِكَ رَوَاهُ يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ شَيْبَةَ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، عَنْ عُمَرَ مِنْ قَوْلِهِ ، وَهُوَ الصَّوَابُ، وقال الحاكم في المستدرك (٣٦١/١ ح٨٦٠): «وَقَدْ أُسْنِدَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ عُمَرَ وَلَا يَصِحُّ».

(2) أخرجه أبو داود، أبواب تفريع استفتاح الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك (٢/ ٨٣) رقم (٧٧٦) وإسناد هذا الحديث قد تكلم فيه بالضعف أبو داود والدارقطني والبغوي وابن حجر، ينظر: التلخيص الحبير (٥٥٩/١)، والحديث قد حسنه الطيبي وغيره؛ قال الطيبي: "... وهذا الحديث نجده في كتاب المصابيح، وقد رماه المؤلف بالضعف، وليس الأمر علي ما توهمه، إذ هو حديث حسن مشهور أخذ به من الخلفاء الراشدين عمر ﷺ، والحديث مخرج في كتاب مسلم عن عمر ﷺ، وقد أخذ به عبد الله بن مسعود وغيره من فقهاء الصحابة، ولم يكن هؤلاء السادة ليأخذوا بذلك من غير أسوة، ولهذا ذهب إليه كثير من علماء التابعين، واختاره أبو حنيفة وغيره من العلماء (رحمهم الله) لاستفتاح الصلاة، وأني يُنْسب هذا الحديث إلي الضعف! وقد ذهب إليه الأجلة من علماء الحديث كسفيان الثوري، وأحمد بن حنبل، وإسحق بن راهوية وغيرهم" ...، وأحمد قد انتهي إليه حديث عائشة رضي الله عنها بإسناد موثوق به، فأخذ به كما ذكرنا عن مذهبه ... وهذا الحديث رواه الأعلام من أئمة الحديث، وأخذوا به ... وقال: وهذا إسناد حسن، رجاله مرضيون، فعلمنا أن أبا عيسى لم يرم هذا

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة بالليل كبر، ثم يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك، ثم يقول: الله أكبر كبيراً، ثم يقول: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه[1].

الحديث بالضعف علي الإطلاق، وإنما تكلم في الإسناد الذي أورده، ثم إني لم أشبع القول في بيان ذلك إلا حذراً من أن يتسارع إليه طالب علم بالطعن إلي هذا الحديث من غير روية وبصيرة، اتكالاً علي ما يجده في كتاب المصابيح، فيتأثم به، وأعوذ بالله أن أنصر عصبية، أو أدعو إلي عصبية، والله حسبي علي ذلك"، انظر: شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٣/٩٩٣)=

=وتعقب المظهري تضعيف البغوي للحديث بقوله: وهذا ضعيفٌ عند قليل من أصحاب الحديث، ولكنه حديثٌ حسنٌ عالي الإسناد قويٌّ عند أكثرهم، انظر: المفاتيح في شرح المصابيح (٢/١٢٣).

قلت : والأمر كما رآه الطيبي والمظهري من تحسين الحديث؛ فإنه روي مرفوعاً من حديث أنس وعائشة وأبي سعيد وغيرهم (رضي الله عنهم) وأسانيدها فيها ضعف لكن يشد بعضها بعضاً، وقد ثبت مثله عن عمر ﷺ موقوفاً عليه وله حكم الرفع؛ لأن عمر ﷺ لا يقول هذا في الصلاة في مقام التعليم من عند نفسه، وكما عمل بمقتضاه أكثر علماء الأمة، كما سأبينه في موضعه قريباً.

[1] أخرجه أبو داود، أَبْوَابُ تَفْرِيعِ اسْتِفْتَاحِ الصَّلَاةِ، بَابُ مَنْ رَأَى الِاسْتِفْتَاحَ بِسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ (١/٢٠٦ ح٧٧٥)، وقَالَ : وَهَذَا الْحَدِيثُ يَقُولُونَ هُوَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَلِيٍّ، عَنِ الْحَسَنِ مُرْسَلًا الْوَهْمُ مِنْ جَعْفَرٍ، والترمذي، كتاب الصلاة عن رسول الله ﷺ، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة (١/ ٣٢٣) واللفظ له، قال أبو عيسى: وفي الباب عن علي، وعائشة، وعبد الله بن مسعود، وجابر، وجبير بن مطعم، وابن عمر. وحديث أبي سعيد أشهر حديث في هذا الباب ...، وقد تُكُلم في إسناد حديث أبي سعيد، كان يحيى بن سعيد يتكلم في علي بن علي الرفاعي، وقال أحمد: لا يصح هذا الحديث.

في الأحاديث فوائد:

الأولى: الحديث الذى رواه مسلمٌ منقطعٌ بين عبْدة وعمر؛ قال النووي: قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْغَسَّانِيُّ: هَكَذَا وَقَعَ عَنْ عَبْدَةَ أَنَّ عُمَرَ وَهُوَ مرسل، يعني أن عبدة وهو ابن أَبِي لُبَابَةَ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ عُمَرَ، قَالَ: وَقَوْلُهُ بَعْدَهُ عَنْ قَتَادَةَ يَعْنِي الْأَوْزَاعِيَّ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ، هَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْبَابِ وَهُوَ حَدِيثٌ مُتَّصِلٌ هَذَا كَلَامُ الْغَسَّانِيِّ والمقصود أنه عَطْفَ قَوْلِهِ وَعَنْ قَتَادَةَ عَلَى قَوْلِهِ عَنْ عَبْدَةَ وَإِنَّمَا فَعَلَ مُسْلِمٌ هَذَا لِأَنَّهُ سَمِعَهُ هَكَذَا فَأَدَّاهُ كَمَا سَمِعَهُ، وَمَقْصُودُهُ الثَّانِي الْمُتَّصِلُ دُونَ الْأَوَّلِ الْمُرْسَلِ وَلِهَذَا نَظَائِرُ كَثِيرَةٌ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ وَلَا إِنْكَارَ فِي هَذَا كُلِّهِ ا.هـ(١).

وقال ابن خزيمة في صحيحه (٢٣٧/١): أَمَّا مَا يَفْتَتِحُ بِهِ الْعَامَّةُ صَلَاتَهُمْ بِخُرَاسَانَ مِنْ قَوْلِهِمْ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ تَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ، فَلَا نَعْلَمُ فِي هَذَا خَبَرًا ثَابِتًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِالْحَدِيثِ، وَأَحْسَنُ إِسْنَادٍ نَعْلَمُهُ رُوِيَ فِي هَذَا خَبَرُ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، ثم قال: وَهَذَا الْخَبَرُ لَمْ يُسْمَعْ فِي الدُّعَاءِ لَا فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ وَلَا فِي حَدِيثِهِ، اسْتُعْمِلَ هَذَا الْخَبَرُ عَلَى وَجْهِهِ،

وَلَا حُكِيَ لَنَا عَنْ مَنْ لَمْ نُشَاهِدْهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ كَانَ يُكَبِّرُ لِافْتِتَاحِ الصَّلَاةِ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ إِلَى قَوْلِهِ: وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ، ثُمَّ يُهَلِّلُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ يُكَبِّرُ ثَلَاثًا.

قلت: إسناده حسن إن شاء الله؛ علي بن علي: لا بأس به كما قال الحافظ في تقريب التهذيب (ص: ٤٠٤)، وإنما تكلم فيه يحيى بن سعيد ويحيى بن معين والعقيلي لأنه كان يقول بالقدر [المغني في الضعفاء (٢/ ٤٥٢) ميزان الاعتدال (٣/ ١٤٧)] ولحديثه غير شاهد قد سبق ذكره. على أن من قال بضعف هذه الأحاديث فإن كلامهم يشير إلى ضعف يسير، ومثل هذا الضعف يتقوى بكثرة الطرق، لاسيما إذا انضم إليها الأثر الصحيح الموقوف على عمر في دعاء الافتتاح فإن له حكم الرفع كما بينته، وخاصة أنه كان يجهر به بمحضر من الصحابة ولم ينكره عليه أحد منهم مما يدل على أن له أصلاً عن النبي ﷺ.

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١١١/٤ وما بعدها).

وَقال ابن حجر: ذَكَرَهُ (أي مسلم) فِي مَوْضِعٍ غَيْرِ مَظِنَّتِهِ اسْتِطْرَادًا وَفِي إِسْنَادِهِ انْقِطَاع[١].
والحديث قد وصله الأئمة من طرق صحيحة عن عمر، وكذلك صححه الدارقطني[٢] والحاكم[٣] كما أسلفته قريباً.

الثانية: من روى حديث عمر ﷺ من التابعين:

اشتهر حديث عمر في دعاء الافتتاح وانتشر في الآفاق فقد رواه عنه جمع من التابعين منهم: عبدة، والأسود وإبراهيم النخعيان وقد سلفت رواياتهم، كما رواه عنه عمرو بن ميمون[٤]، وعلقمة[٥]، وعِكْرِمَةُ بْنُ خَالِد[٦]، وقَتَادَةَ[٧]، وحَكِيم بْنِ جَابِرٍ[٨]،وأبو وائل[٩].

الثالثة: هذا الحديث وإن كان موقوفاً على عمر ﷺ لكن له حكم الرفع؛ ففي الْهَدْيِ النَّبَوِيِّ: إِنَّهُ قَدْ صَحَّ عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ يَسْتَفْتِحُ بِهِ فِي مَقَامِ النَّبِيِّ ﷺ وَيَجْهَرُ بِهِ، وَيُعَلِّمُهُ النَّاسَ، وَهُوَ بِهَذَا الْوَجْهِ فِي حُكْمِ الْمَرْفُوعِ[١٠]، كما أشار الطيبي إلى رفعه فقال في تعليقه على حديث عائشة (رضي الله عنها): ... هو حديث حسن مشهور أخذ به من الخلفاء الراشدين عمر ﷺ، والحديث مخرج في كتاب مسلم عن عمر ﷺ، وقد أخذ به عبد الله بن مسعود وغيره من فقهاء الصحابة، ولم يكن هؤلاء السادة ليأخذوا بذلك من غير أسوة، ولهذا

---

(٢) التلخيص الحبير (١/ ٥٦١).
(٣) سنن الدارقطني، كتاب الصلاة، بَابُ دُعَاءِ الِاسْتِفْتَاحِ بَعْدَ التَّكْبِيرِ (٢/٦١ ح١١٤٣).
(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم (١/ ٣٦٠ح ٨٥٩).
(٥) شرح معاني الآثار (١/ ١٩٨ح ١١٧٥).
(٦) المصدر السابق (١/ ٢٥٦ ح١٥٢٨).
(٧) مصنف عبد الرزاق (٢/ ٧٥ ح٢٥٥٥).
(٨) المصدر السابق (ح ٢٥٥٦).
(٩) مصنف ابن أبي شيبة (١/ ٢٠٩ح ٢٣٩٤).
(١٠) المصدر السابق (١/ ٢٠٩ح ٢٣٩٢).
(١) سبل السلام (١/ ٢٤٧) نقلاً عن كتاب زاد المعاد لابن القيم.

ذهب إليه كثير من علماء التابعين، واختاره أبو حنيفة وغيره من العلماء رحمهم الله لاستفتاح الصلاة[١].

واختار الإمام أحمد العمل بدعاء عمر في الاستفتاح فقال: أَمَّا أَنَا فَأَذْهَبُ إِلَى مَا رُوِيَ عَنْ عُمَرَ وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا اسْتَفْتَحَ بِبَعْضِ مَا رُوِيَ لَكَانَ حَسَنًا، قال ابن قدامة: وإنما اختاره أحمد، لأن عائشة، وأبا سعيد، قالا: كان رسول الله ﷺ إذا استفتح الصلاة، قال ذلك، وعمل به عمر بمحضر من الصحابة، فكان أولى من غيره[٢]. وكذلك قدمه ابن تيمية على على غيره من أدعية الاستفتاح فقال: أَفْضَلُ أَنْوَاعِ الِاسْتِفْتَاحِ مَا كَانَ ثَنَاءً مَحْضًا مِثْلَ: {سُبْحَانَك اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِك وَتَبَارَكَ اسْمُك وَتَعَالَى جَدُّك، وَلَا إلَهَ غَيْرُك} وَقَوْلُهُ: {اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا}، وَلَكِنَّ ذَاكَ فِيهِ مِنْ الثَّنَاءِ مَا لَيْسَ فِي هَذَا فَإِنَّهُ تَضَمَّنَ ذِكْرَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ " الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ الْكَلَامِ بَعْدَ الْقُرْآنِ وَتَضَمَّنَ قَوْلُهُ: " تَبَارَكَ اسْمُك وَتَعَالَى جَدُّك ". وَهُمَا مِنْ الْقُرْآنِ أَيْضًا. وَلِهَذَا كَانَ أَكْثَرُ السَّلَفِ يَسْتَفْتِحُونَ بِهِ وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَجْهَرُ بِهِ يُعَلِّمُهُ النَّاسَ[٣].

وقَالَ مُحَمَّدٌ بن الحسن في إثر حديث عمر ﷺ: وَبِهَذَا نَأْخُذُ فِي افْتِتَاحِ الصَّلَاةِ، وَلَكِنَّا لَا نَرَى أَنْ يَجْهَرَ بِذَلِكَ الْإِمَامُ وَلَا مَنْ خَلْفَهُ، وَإِنَّمَا جَهَرَ بِذَلِكَ عُمَرُ ﷺ لِيُعَلِّمَهُمْ مَا سَأَلُوهُ عَنْهُ،

وَكَذَلِكَ بَلَغَنَا عَنْ إِبْرَاهِيمَ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ ﷺ[٤] وبه قال الثوري، وأحمد، والأوزاعي، والأوزاعي، وإسحاق، وروي عن أبي يوسف أنه قال: يقول معه: وجهت وجهي[١].

(٢) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٣/٩٩٢).
(٣) الكافي (١/٢٤٤).
(٤) مجموع الفتاوى (٢٢/٣٩٤).
(١) الآثار لمحمد بن الحسن (١/١٢٢ ح٧٢).

وقال الترمذي : وأما أكثر أهل العلم، فقالوا: إنما يروى عن النبي ﷺ أنه كان يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك"، وهكذا روي عن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من التابعين وغيرهم(٢).

(٢) الشافي في شرح مسند الشافعي (١/ ٥٣٧).

(٣) سنن الترمذي، أبواب الصلاة عن رسول الله ﷺ، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة (٣٢٣/١) عن أبي سعيد الخدري، قال: "كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة بالليل كبر، ثم يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك، ثم يقول: الله أكبر كبيراً، ثم يقول: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه". وقال أبو عيسى: حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ أَشْهَرُ حَدِيثٍ فِي هَذَا البَابِ، وَقَدْ أَخَذَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ بِهَذَا الحَدِيثِ، وَأَمَّا أَكْثَرُ أَهْلِ العِلْمِ، فَقَالُوا: إِنَّمَا يُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلاَ إِلَهَ غَيْرُكَ "وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَالعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ العِلْمِ مِنَ التَّابِعِينَ، وَغَيْرِهِمْ، وَقَدْ تُكُلِّمَ فِي إِسْنَادِ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ، كَانَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ يَتَكَلَّمُ فِي عَلِيِّ بْنِ عَلِيٍّ الرِّفَاعِيِّ، وقَالَ أَحْمَدُ: لاَ يَصِحُّ هَذَا الحَدِيثُ.

قلت: علي بن علي الرفاعي هو علي بن علي بن نَجَاد (بنون وجيم خفيفة) الرفاعي (بفاء) اليشكري (بتحتانية مفتوحة ومعجمة ساكنة)، أبو إسماعيل البصري، قال وكيع وأبو زرعة: ثقة، وقال أحمد: لم يكن به بأس إلا أنه رفع أحاديث، وقال النسائي: لا بأس به، قال أبو حاتم: كان حسن الصوت بالقرآن، ليس به بأس، ولا يحتج به، وقال ابن المديني، عن يحيى بن سعيد: كان يرى القدر، وتكلم فيه ابن معين لقوله بالقدر، وذكره العقيلي لقوله بالقدر، وقال البزار: ليس به بأس، وقال الذهبي: وَثَّقَهُ أَبُو زرْعَة وَتكلم فِيهِ ابْن معِين لقَوْله بِالْقدرِ، وقال الحافظ: لا بأس به، رمي بالقدر، وكان عابداً، ويقال: كان يشبه النبي ﷺ، وانظر: ميزان الاعتدال (١٤٧/٣)، المغني في الضعفاء (٤٥٢/٢)، تهذيب التهذيب (٣٦٦/٧)، التقريب(ص: ٤٠٤)، والحديث صحيح؛ له شواهد كثيرة كما قال الترمذي، وينظر: صحيح سنن أبي داود (٣٦١/٣ وما بعدها).

الرابعة: ما الدافع وراء رحلة البصريين إلى عمر ﷺ لسؤاله عن هذا الدعاء؟

فيما أراه والعلم عند الله أن هؤلاء البصريين كانوا على علم ومعرفة بالأدعية النبوية في افتتاح الصلاة ولم يكن من بينها دعاء عمر ﷺ، الأمر الذى حملهم على الارتحال إليه ليستيقنوا منه ويتثبتوا بأنفسهم؛ لأن الأمر دين فلما أتوه وسألوه أجابهم وأكد لهم ذلك بفعله فكان يصلى بهم ويجهر به.

الخامسة: مناسبة هذا الدعاء لافتتاح الصلاة:

قال ابن القيم: وها هنا عجيبة من عجائب الأسماء والصفات تحصل لمن تفقه قلبه في معاني القرآن وخالط بشاشة الإيمان بها قلبه بحيث يرى لكل اسم وصفة موضعاً من صلاته ومحلاً منها؛ فإنه إذا انتصب قائماً بين يدي الرب تبارك وتعالى شاهد بقلبه قيُّوميته، وإذا قال الله أكبر شاهد كبرياءه، وإذا قال: "سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك" شاهد بقلبه ربَّاً منزهاً عن كل عيْب سالماً من كل نقص محموداً بكل حمد، فحمْده يتضمن وصفه بكل كمال، وذلك يستلزم براءته من كل نقص، تبارك اسمه فلا يُذكر على قليل إلا كثره ولا على خير إلا أنماه وبارك فيه ولا على آفة إلا أذهبها ولا على شيطان إلا رده خاسئاً داحراً، وكمال الاسم من كمال مسماه، فإذا كان شأن اسمه الذي لا يضر معه شيء في الأرض ولا في السماء فشأن المسمى أعلى وأجل، وتعالى جده أي ارتفعت عظمته وجلت فوق كل عظمة، وعَلَا شأنه على كل شأن وقهر سلطانه على كل سلطان، فتعالى جده أن يكون معه شريك في ملكه وربوبيته أو في ألوهيته أو في أفعاله أو في صفاته كما قال مؤمن الجن: {وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً}،

فكم في هذه الكلمات من تجل لحقائق الأسماء والصفات على قلب العارف بها غير المعطل لحقائقها[١].

٢- التسبيح في الركوع:

يقول الإمام النووي: "وَإِنَّمَا وَظِيفَةُ الرُّكُوعِ التَّسْبِيحُ"[٢] ويقول ابن عبد البر: وَأَجْمَعُوا أَنَّ الرُّكُوعَ مَوْضِعٌ لِتَعْظِيمِ اللَّهِ بِالتَّسْبِيحِ وَأَنْوَاعِ الذِّكْرِ[٣]،

وفي هذا الجانب تُظهِر الأحاديث أن هناك أنواعاً متعددة من التسبيح في الركوع ومنها:

أ- قوله ﷺ :"سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ"، وهو أشهر الأنواع، وبه وردت الأحاديث من قوله وفعله ﷺ فمن ذلك:

حديث ابْنِ عَبَّاسٍ، عن النبي ﷺ ... أَلَا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ[٤] أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»[٥].

وحديث حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، .... ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ،... الحديث[١]».

---

(١) الصلاة وأحكام تاركها (ص: ١٤٢).

(٢) شرح النووي على مسلم (٤/ ١٩٧).

(٣) الاستذكار (١/ ٤٣١)

(١) فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ: يُقَالُ: قَمِنٌ، وَخَلِيقٌ، وَجَدِيرٌ، وَحَرِيٌّ: أَيْ قَرِيبٌ. انظر: غريب الحديث لإبراهيم الحربي (٢/٤٥٩).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، بَابُ النَّهْيِ عَنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ (١/ ٣٤٨ ح٢٠٧).

وحديث عقبة بْن عَامِرٍ الْجُهَنِيَّ ﷺ قال: لَمَّا نَزَلَتْ {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الواقعة: ٧٤]، قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ» ، فَلَمَّا نَزَلَتْ {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: ١] قَالَ: «اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ[٢]».

وحديث ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "إِذَا رَكَعَ أَحَدُكُمْ فَقَالَ فِي رُكُوعِهِ: سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيمِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَدْ تَمَّ رُكُوعُهُ، وَذَلِكَ أَدْنَاهُ، وَإِذَا سَجَدَ، فَقَالَ فِي سُجُودِهِ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَدْ تَمَّ سُجُودُهُ، وَذَلِكَ أَدْنَاهُ "[٣].

---

(١) أخرجه مسلم، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ اسْتِحْبَابِ تَطْوِيلِ الْقِرَاءَةِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ (١/٥٣٦ ح٧٧٢).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، بَابُ مَا يَقُولُ الرَّجُلُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ (١/٢٣٠ ح٨٦٩)، وابن خزيمة، كتاب الصلاة، بَابُ الْأَمْرِ بِتَعْظِيمِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ فِي الرُّكُوعِ (١/٣٠٣ ح٦٠٠) مختصراً، وابن حبان، كتاب الصلاة، باب ذِكْرِ الْمَرْءِ بِالتَّسْبِيحِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ لِلْمُصَلِّي فِي صَلَاتِهِ (٥/٢٢٥ ح١٨٩٨)، والحاكم، كتاب الطهارة (١/٣٤٧ ح٨١٨) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حِجَازِيٌّ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَقَدِ اتَّفَقَا عَلَى الِاحْتِجَاجِ بِرُوَاتِهِ غَيْرِ إِيَاسِ بْنِ عَامِرٍ، وَهُوَ عَمّ مُوسَى بْنِ أَيُّوبَ الْقَاضِي، وَمُسْتَقِيمُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ بِهَذِهِ السِّيَاقَةِ، وخالفه الذهبي فقال: إياس ليس بالمعروف، وأخرجه أيضاً في كتاب التفسير، باب تفسير سورة الواقعة (٢/٥١٩ ح٣٧٨٣) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وقال الذهبي: الحديث صحيح.

قلت: إسناده حسن؛ فيه إِيَاسُ بْنُ عَامِرٍ الْغَافِقِيُّ، قال الحافظ في التقريب (ص: ١١٦): صدوق، وانظر: تهذيب التهذيب (١/٣٨٩).

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، بَابُ مِقْدَارِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ (١/٢٣٤ ح٨٨٦) وقال: «هَذَا مُرْسَلٌ، عَوْنٌ لَمْ يُدْرِكْ عَبْدَ اللَّهِ»، والترمذي، أبواب الصلاة، بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّسْبِيحِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ (٢/٤٦ ح٢٦١) واللفظ له، قال الترمذي: وَفِي البَابِ عَنْ حُذَيْفَةَ، وَعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ. حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ لَيْسَ إِسْنَادُهُ بِمُتَّصِلٍ، عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ لَمْ يَلْقَ ابْنَ مَسْعُودٍ، وَالعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ: يَسْتَحِبُّونَ أَنْ لَا يَنْقُصَ الرَّجُلُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ مِنْ ثَلَاثِ تَسْبِيحَاتٍ. وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ المُبَارَكِ أَنَّهُ قَالَ: «أَسْتَحِبُّ لِلإِمَامِ أَنْ يُسَبِّحَ خَمْسَ تَسْبِيحَاتٍ لِكَيْ يُدْرِكَ مَنْ خَلْفَهُ ثَلَاثَ تَسْبِيحَاتٍ» وَهَكَذَا قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ (ابن راهوية)، **قلت**: والحديث

في الأحاديث فوائد:

الأولى: مناسبة التعظيم للركوع:

إن هيئة الركوع تعكس مدى ما عليه العبد من الخضوع والاستسلام والانكسار لله سبحانه وتعالى، وينبغي ألا يكون ذلك إلا لله فهو سبحانه صاحب العظمة والكبرياء، فناسب الركوع التسبيح بالعظمة، وحول هذا المعنى يقول صاحب كتاب الإفصاح: ثم ركع ليعبد الله عز وجل راكعًا كما عبده قائمًا، فيخضع بالركوع لعظمة ربه، ويمد عنقه بين يديه، ثم يُعِيد بعد ذلك ذكر التكبير مجددًا تعظيم ربه سبحانه عند ابتدائه بهذه الحالة؛ حيث انتقل فيها من صورة إلى صورة، فإذا اطمأن راكعًا قال حينئذ بعد طمأنينته؛ لئلا تختلط عليه أذكاره: سبحان ربي العظيم،

فنزه ربه بالتسبيح وشهد له بالعظمة ثم كرر ذلك تكرير أدنى الكمال منه أقل الجمع، ثم عاد انتصابه ليشعر أنه إنما ركع خضوعًا ليميز ذلك عن هُوِيه للسجود، فيكون عائدًا لله بركوعه، وعائدًا لله بسجوده[1].

الثانية: عدد التسبيح في الركوع:

مع ضعفه لكن قول الترمذي: وَالعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ يعطي الحديث قوة، وقد أشار الترمذي إلى أن له شواهد منها حديث حذيفة ﷺ وقد أخرجه ابن ماجه، كتاب الصلاة، بَابُ التَّسْبِيحِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ (١/٢٨٧ ح٨٨٨) أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا رَكَعَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَإِذَا سَجَدَ قَالَ «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ"، لكن في إسناده عبد الله بن لهيعة، وهو صدوق خلط بعد احتراق كتبه كما في التقريب (ص:٣١٩)، وللحديث شواهد صحيحة في تعظيم الله تعالى في الركوع عن ابن عباس وحذيفة كما مر، وما ورد في الحديث من العدد في التسبيح هو الذي عليه العمل عند أهل العلم مع ضعف الحديث، كما سأبينه في فوائده إن شاء الله تعالى.

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (٦/٣٨١).

ذهب جمهور أهل العلم إلى أن أقل ذلك ثلاث تسبيحات، منهم: سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيُّ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَأَبُو ثَوْرٍ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَإِسْحَاقُ: يَقُولُ الْمُصَلِّي فِي رُكُوعِهِ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ ثَلَاثًا وَفِي السُّجُودِ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى ثَلَاثًا وَهُوَ أَقَلُّ التَّمَامِ وَالْكَمَالِ فِي ذَلِكَ[1].

وقال الترمذي: وَالعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ: يَسْتَحِبُّونَ أَنْ لَا يَنْقُصَ الرَّجُلُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ مِنْ ثَلَاثِ تَسْبِيحَاتٍ وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ المُبَارَكِ أَنَّهُ قَالَ: «أَسْتَحِبُّ لِلإِمَامِ أَنْ يُسَبِّحَ خَمْسَ تَسْبِيحَاتٍ لِكَيْ يُدْرِكَ مَنْ خَلْفَهُ ثَلَاثَ تَسْبِيحَاتٍ» وَهَكَذَا قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ (ابن راهوية)[2].

وقال ابن رجب: وأما الجمهور، فأدنى الكمال عندهم ثلاث تسبيحات، وتجزئ واحدة[3].

ب- نوع ثان من التسبيح في الركوع:

قوله ﷺ: "سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ، وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ" لا سيما في قيام الليل، فقد روى أبو داود عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قُمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً، فَقَامَ فَقَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، لَا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ فَسَأَلَ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ فَتَعَوَّذَ، قَالَ: ثُمَّ رَكَعَ بِقَدْرِ قِيَامِهِ، يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ»، ثُمَّ سَجَدَ بِقَدْرِ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ فِي سُجُودِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَامَ فَقَرَأَ بِآلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ قَرَأَ سُورَةً سُورَةً"[4].

([1]) الاستذكار (١/٤٣٢).

(٣) سنن الترمذي، أبواب الصلاة، بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّسْبِيحِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ (٢/٤٦ ح٢٦١).

(٤) فتح الباري لابن رجب (٧/١٧٨).

([4]) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، بَابُ مَا يَقُولُ الرَّجُلُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ (١/٢٣٠ ح٨٧٣) واللفظ له، وأحمد (٣٩/٤٠٥ ح٢٣٩٨٠)، والنسائي، كتاب التطبيق، نَوْعٌ آخَرُ مِنَ الذِّكْرِ فِي

قوله: "ذي الجبروت" الجبروت فعلوت من الجبر والقهر، وكذلك الملكوت فعلوت من الملك. ويقال: إن زيادة الواو والتاء لأجل المبالغة في التعظيم، والكبرياء عبارة عن كمال الذات، وكمال الوجود، ولا يوصف بها إلا الله. ويقال: الكبرياء العظمة والملك. فعلى هذا قوله: "والعظمة" وقع تفسيراً لقوله: "والكبرياء"(١).

ج- نوع ثالث من التسبيح في الركوع:

قوله ﷺ: "سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ" روى مسلم عن عائشة (رضي الله عنها) أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ(٢)».

قال النووي: "قَوْلُهُ (سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ) هُمَا بِضَمِّ السِّينِ وَالْقَافِ وَبِفَتْحِهِمَا وَالضَّمُّ أَفْصَحُ وَأَكْثَرُ، والْمُرَادُ بِالسُّبُّوحِ الْقُدُّوسُ الْمُسَبَّحُ الْمُقَدَّسُ فَكَأَنَّهُ قَالَ مُسَبَّحٌ مُقَدَّسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ والروح، ومعنى سبوح: المبرأ من النقائص وَالشَّرِيكِ وَكُلُّ مَا لَا يَلِيقُ بِالْإِلَهِيَّةِ، وَقُدُّوسٌ الْمُطَهَّرُ مِنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِالْخَالِقِ، وَقَالَ الْهَرَوِيُّ: قِيلَ الْقُدُّوسُ الْمُبَارَكُ قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ وَقِيلَ فِيهِ سُبُّوحًا قُدُّوسًا عَلَى تَقْدِيرِ أُسَبِّحُ سُبُّوحًا أَوْ أَذْكُرُ أَوْ أُعَظِّمُ أَوْ أَعْبُدُ وَقَوْلُهُ "رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ" قِيلَ الرُّوحُ مَلَكٌ عَظِيمٌ وَقِيلَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقِيلَ خَلْقٌ لَا تَرَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ كَمَا لَا نَرَى نَحْنُ الْمَلَائِكَةَ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ"(٣).

الرُّكُوعِ (١٩١/٢ ح١٠٤٩)، وفي كتاب التطبيق أيضاً، بَابُ الدُّعَاءِ فِي السُّجُودِ (٢٢٣/٢ ح١١٣٢) والحديث إسناده صحيح.

(١) ينظر: شرح أبي داود للعيني (٨٠/٤).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، بَابُ مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ (٣٥٣/١ ح٤٨٧).

(٣) ينظر: شرح النووي لصحيح مسلم (٢٠٤/٤).

د- نوع رابع من التسبيح في الركوع:

قوله ﷺ: "سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي" روى البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: مَا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ صَلاَةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالفَتْحُ} [النصر: ١] إِلَّا يَقُولُ فِيهَا: «سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» [(١)]".

وعَنْها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي" يَتَأَوَّلُ القُرْآن[(٢)].

وروى مسلم عَنْها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ: «سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَرَاكَ أَحْدَثْتَهَا تَقُولُهَا؟ قَالَ: «جُعِلَتْ لِي عَلَامَةٌ فِي أُمَّتِي إِذَا رَأَيْتُهَا قُلْتُهَا» {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ} [النصر: ١] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ[(٣)].

في الأحاديث فوائد:

الأولى: مواظبته ﷺ على هذا التسبيح داخل الصلاة وخارجها:

قال الحافظ ابن حجر: قِيلَ اخْتَارَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ لِهَذَا الْقَوْلِ لِأَنَّ حَالَهَا أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهَا، وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَقُولُ ذَلِكَ خَارِجَ الصَّلَاةِ أَيْضًا بَلْ فِي بَعْضِ طُرُقِهِ

---

(١) أخرجه البخاري، في التفسير بَابُ {وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة: ٨] (٦/ ١٧٨ح٤٩٦٧) وفي بَاب التَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ فِي السُّجُودِ (١/١٦٣ ح٨١٧)، ومسلم، كتاب الصلاة، بَابُ مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ (١/٣٥٠ ح٤٨٤).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، بَابُ التَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ فِي السُّجُود (١/ ١٦٣ ح٨١٧) وبرقم (٤٩٦٨)، ومسلم، كتاب الصلاة، بَابُ مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ (١/٣٥٠ ح٤٨٤).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، بَابُ مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُود (١/٣٥١ ح٤٨٤).

عِنْدَ مُسْلِمٍ مَا يُشْعِرُ بِأَنَّهُ ﷺ كَانَ يُوَاظِبُ عَلَى ذَلِكَ دَاخِلَ الصَّلَاةِ وَخَارِجَهَا[1]، وَفِي رِوَايَةِ مَنْصُورٍ بَيَانُ الْمَحَلِّ الَّذِي كَانَ ﷺ يَقُولُ فِيهِ مِنَ الصَّلَاةِ وَهُوَ الرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ[2].

الثانية: قَوْلُهُ يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ: أَيْ يَفْعَلُ مَا أُمِرَ بِهِ فِيهِ وَقَدْ تَبَيَّنَ مِنْ رِوَايَةِ الْأَعْمَشِ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْقُرْآنِ بَعْضُهُ وَهُوَ السُّورَةُ الْمَذْكُورَةُ وَالذِّكْرُ الْمَذْكُور ... [3].

وقال الحافظ أيضاً: مَعْنَى قَوْلِهِ "يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ" يَجْعَلُ مَا أُمِرَ بِهِ مِنَ التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالِاسْتِغْفَارِ فِي أشرف الْأَوْقَات وَالْأَحْوَال، ...وَقَالَ ابن الْقَيِّمِ فِي الْهَدْيِ (يعني زاد المعاد في هدي خير العباد ﷺ): كَأَنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى "وَاسْتَغْفِرْهُ" لِأَنَّهُ كَانَ يَجْعَلُ الِاسْتِغْفَارَ فِي خَوَاتِمِ الْأُمُورِ،

فَيَقُولُ إِذَا سَلَّمَ مِنَ الصَّلَاةِ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ثَلَاثًا وَإِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلَاءِ قَالَ: غُفْرَانَكَ، وَوَرَدَ الْأَمْرُ بِالِاسْتِغْفَارِ عِنْدَ انْقِضَاءِ الْمَنَاسِكِ "ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا الله الْآيَةَ[4]".

الثالثة: قَالَ ابن دَقِيقِ الْعِيدِ: يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ إِبَاحَةُ الدُّعَاءِ فِي الرُّكُوعِ وَإِبَاحَةُ التَّسْبِيحِ فِي السُّجُودِ وَلَا يُعَارِضُهُ قَوْلُهُ ﷺ "أَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِيهِ مِنَ الدُّعَاءِ" قَالَ وَيُمْكِنُ أَنْ يُحْمَلَ حَدِيثُ الْبَابِ عَلَى الْجَوَازِ وَذَلِكَ عَلَى الْأَوْلَوِيَّةِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَمَرَ فِي السُّجُودِ بِتَكْثِيرِ الدُّعَاءِ لِإِشَارَةِ قَوْلِهِ فَاجْتَهِدُوا، وَالَّذِي

---

(٣) هذا هو معنى قول أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) في ثالث الأحاديث السالفة الذكر "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ: «سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ».

(٢) انظر: فتح الباري (٢/٢٨١)، (٢/٢٩٩ وما بعدها)، (٨/٧٣٤) وينظر رواية منصور في ثاني الأحاديث السالفة الذكر.

(٣) انظر: فتح الباري (٢/٢٨١)، (٢/٢٩٩ وما بعدها)، (٨/٧٣٤) وينظر رواية الأعمش في أول الأحاديث السالفة الذكر.

(٤) انظر: فتح الباري (٢/٢٨١)، (٢/٢٩٩ وما بعدها)، (٨/٧٣٤).

وَقَعَ فِي الرُّكُوعِ مِنْ قَوْلِهِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي لَيْسَ كَثِيرًا فَلَا يُعَارِضُ مَا أَمَرَ بِهِ فِي السُّجُودِ انْتَهَى[1].

هـ- نوع خامس من التسبيح في الركوع:

قوله ﷺ: "سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ"، روى مسلم عَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ: افْتَقَدْتُ النَّبِيَّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَتَحَسَّسْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ، فَإِذَا هُوَ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ يَقُولُ: «سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، إِنِّي لَفِي شَأْنٍ وَإِنَّكَ لَفِي آخَرَ[2].

وظاهر الأحاديث التنوع في أذكار الركوع، وأنه لا يختص بتسبيح بعينه، قال ابن عبد البر: وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ أَنْوَاعًا مِنَ الذِّكْرِ ... وَهَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنْ لَا تحديد فيما يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ مِنَ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ الْفُقَهَاءِ فِي صَلَاةِ الْفَرِيضَةِ عَلَى التَّسْبِيحِ بِسَبِّحِ اسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ثَلَاثًا فِي الرُّكُوعِ، وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ثَلَاثًا فِي السُّجُودِ وَحَمَلُوا سَائِرَ الْأَحَادِيثِ عَلَى النَّافِلَةِ[3].

٣- التسبيح في السجود:

من مهمات الصلاة أيضاً التسبيح في السجود، يقول الإمام النووي: "وَإِنَّمَا وَظِيفَةُ الرُّكُوعِ التَّسْبِيحُ وَوَظِيفَةُ السُّجُودِ التَّسْبِيحُ وَالدُّعَاءُ"[4].

وقد ورد عنه ﷺ أنواع من الذكر في سجوده، منها قوله: "سبحان ربي الأعلى" كما سبق في حديث حذيفة وعقبة بن عامر وعبد الله بن مسعود "رضي الله عنهم"، كما ورد عنه ﷺ أنواع

---

(1) انظر: فتح الباري (٢/٢٨١)، (٢/٢٩٩ وما بعدها)، (٨/٧٣٤).

(2) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، بَابُ مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ (١/٣٥١ ح٤٨٥).

(3) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٦/١٢٠).

(4) شرح النووي على مسلم (٤/١٩٧).

أخرى من الذكر تقال في السجود كما تقال في الركوع، منها قوله ﷺ «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ»، وقوله ﷺ: "سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ" وقوله ﷺ "سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي"، وتنظر هذه الأنواع من الذكر في الأحاديث السالفة عن عوف بن مالك وعائشة "رضي الله عنهما".

ثالثاً: التسبيح في دبر الصلوات:

قد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بأن يسبحه خلف الصلوات، قال تعالى "فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾"[1] وفي تفسير الآية يقول مجاهد: قال ابْنُ عَبَّاسٍ: «أَمَرَهُ أَنْ يُسَبِّحَ، فِي أَدْبَارِ الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا»، يَعْنِي قَوْلَهُ: (وَإِدْبَارَ السُّجُودِ)[2].

وامتثالاً لأمر ربه عز وجل ورد عنه ﷺ الأمر بالتسبيح في دبر الصلوات في كثير من الأحاديث، منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (من سبح الله دبر[3] كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين وكبر الله ثلاثاً وثلاثين تلك تسع وتسعون،

ثم قال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفرت له خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر[4].

وعن كعب بن عجرة عن رسول الله ﷺ قال: (معقبات لا يخيب قائلهن أو فاعلهن دبر كل صلاة مكتوبة ثلاثاً وثلاثين تسبيحة، وثلاثاً وثلاثين تحميد وأربعاً وثلاثين تكبيرة)[5].

---

(1) سورة ق، الآيتان (٣٩، ٤٠).

(٣) صحيح البخاري (١٣٩/٦).

(4) قال الجوهري: دُبُرُ الأَمْرِ ودُبْرُهُ: آخره . انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٦٥٣/٢).

(١) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان سببه (٤١٨/١ ح٥٩٧).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان سببه (٤١٨/١ ح٥٩٦).

وعن سُمَي عن أبي صالح عن أبي هريرة: أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور بالدرجات العلا والنعيم المقيم قال: وما ذاك؟ قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق، فقال رسول الله ﷺ (أفلا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم، وتسبقون من بعدكم، ولا يكون أحد أفضل منكم، إلا من صنع مثل ما صنعتم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (تسبحون الله وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة) فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله، فقال رسول الله ﷺ: (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) قال سمي: فحدثت بعض أهلي بهذا الحديث، فقال: وهمت، إنما قال لك تسبح ثلاثاً وثلاثين، وتحمد ثلاثاً وثلاثين، وتكبر أربعاً وثلاثين. فرجعت إلى أبي صالح فقلت له ذلك، فأخذ بيدي فقال: الله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، الله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، حتى يبلغ من جميعهن ثلاثاً وثلاثين)[1].

ومن الصيغ ما روى بسند صحيح عن زَيْد بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ: أُمِرُوا أَنْ يُسَبِّحُوا دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَيَحْمَدُوا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَيُكَبِّرُوا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَأُتِيَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي مَنَامِهِ، فَقِيلَ لَهُ: أَمَرَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تُسَبِّحُوا دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدُوا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ،

وَتُكَبِّرُوا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاجْعَلُوهَا خَمْسًا وَعِشْرِينَ، وَاجْعَلُوا فِيهَا التَّهْلِيلَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «اجْعَلُوهَا كَذَلِكَ[2]».

---

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة (١٦٨/١ ح٨٤٣)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان سببه (٤١٦/١ ح٥٩٥)، واللفظ له.

(١) أخرجه الترمذي، أبواب الدعوات، بابٌ منه (٣٥٢/٥ ح ٣٤١٣)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي، كتاب السهو، باب نَوْع آخَرُ مِنْ عَدَدِ التَّسْبِيحِ (٧٦/٣ ح١٣٥٠)

وعَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى، ... وفيه يَقُولُ سُهَيْلٌ: إِحْدَى عَشْرَةَ، إِحْدَى عَشْرَةَ، فَجَمِيعُ ذَلِكَ كُلِّهِ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ(١).

وعن عبد الله بن عمرو قال، قال رسول الله ﷺ (خصلتان، أو خلتان لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة، هما يسير، ومن يعمل بهما قليل، يسبح في دبر كل صلاة عشراً، ويحمد عشراً، ويكبر عشراً، فذلك خمسون ومائة باللسان، وألف وخمس مائة في الميزان، ويكبر أربعاً وثلاثين إذا أخذ مضجعه، ويحمد ثلاثاً وثلاثين، ويسبح ثلاثاً وثلاثين، فذلك مائة باللسان، وألف في الميزان» فلقد رأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيده، قالوا: يا رسول الله كيف هما يسير ومن يعمل بهما قليل؟ قال: «يأتي أحدكم – يعني الشيطان – في منامه فينومه قبل أن يقوله، ويأتيه في صلاته فيذكره حاجة قبل أن يقولها)(٢).

واللفظ له، وأحمد (٤٧٩/٣٥ ح٢١٦٠٠)، وابن خزيمة، كتاب الصلاة، بَابُ اسْتِحْبَابِ زِيَادَةِ التَّهْلِيلِ مَعَ التَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ تَمَامَ الْمِائَةِ وَأَنْ نَجْعَلَ كُلَّ وَاحِدٍ خَمْسًا وَعِشْرِينَ تَكْمِلَةَ الْمِائَةِ (٣٧٠/١ ح٧٥٢)، وابن حبان، كتاب الصلاة، باب ذِكْرِ اسْتِحْبَابِ زِيَادَةِ التَّهْلِيلِ مَعَ التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّكْبِيرِ، لِيَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا خَمْسًا وَعِشْرِينَ (٣٦٠/٥ ح٢٠١٧)، والحاكم، كتاب الطهارة (٣٨٣/١ ح٩٢٨) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ بِهَذَا اللَّفْظِ، وقال الذهبي: صحيح.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان سببه (٤١٧/١ ح٥٩٥).

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في التسبيح عند النوم (٣١٦/٤ ح٥٠٦٥)، والترمذي، أبواب الدعوات، بَاب مَا جَاءَ فِي التَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ عِنْدَ الْمَنَامِ (٣٥٠/٥ ح٣٤١٠) واللفظ له، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وَقَدْ رَوَى شُعْبَةُ، وَالثَّوْرِيُّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، هَذَا الحَدِيثَ، وَرَوَى الأَعْمَشُ، هَذَا الحَدِيثَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ مُخْتَصَرًا وَفِي البَابِ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَأَنَسٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ،=

وعن علي لما جاء هو وفاطمة – رضي الله عنهما– يطلبان خادما يخفف عنهما بعض العمل، فأبى عليهما النبي ﷺ ثم قال لهما: (.....أَلَا أُخْبِرُكُمَا بِخَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَانِي؟ " قَالَا: بَلَى. فَقَالَ: "كَلِمَاتٌ عَلَّمَنِيهِنَّ جِبْرِيلُ "، فَقَالَ: " تُسَبِّحَانِ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَتَحْمَدَانِ عَشْرًا، وَتُكَبِّرَانِ عَشْرًا، وَإِذَا أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا فَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ "،

قَالَ: "فَوَ اللهِ مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ " قَالَ: فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْكَوَّاءِ: وَلَا لَيْلَةَ صِفِّينَ؟ فَقَالَ: " قَاتَلَكُمِ اللهُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، نَعَمْ، وَلَا لَيْلَةَ صِفِّينَ)[1].

=وابن حبان، كتاب الصلاة، باب ذِكْر الْبَيَانِ بِأَنَّ مَا وَصَفْنَا مِنَ التَّسْبِيحِ، وَالتَّحْمِيدِ، وَالتَّكْبِيرِ، إِنَّمَا أُمِرَ بِاسْتِعْمَالِهِ فِي عَقِبِ الصَّلَاةِ لَا فِي الصَّلَاةِ نَفْسِهَا (٥/٣٥٤ ح٢٠١٢).

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٢٠٣ حديث ٨٣٨) من طريق حماد عن عطاء بن السائب عن أبيه عن علي، واللفظ له، وهذا إسناد حسن، وحماد– هو ابن أبي سلمة– روى عن عطاء بن السائب قبل الاختلاط وبعده، وقد تابعه محمد بن فضيل على هذا اللفظ كما عند البزار في المسند (٣/٧ ح٧٥٧)، وقال البزار: وهذا الحديث قد روي عن علي من غير وجه بألفاظ مختلفة، ولا نعلم يروى بهذا اللفظ إلا عن عطاء بن السائب عن أبيه، عن علي.

وأصل الحديث في الصحيحين عن علي ﷺ أَنَّ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلاَمُ) شَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحَا، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ سَبْيٌ، فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ، فَوَجَدَتْ عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْتُ لِأَقُومَ، فَقَالَ: «عَلَى مَكَانِكُمَا»، فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، وَقَالَ: «أَلاَ أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِي، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا تُكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، وَتُسَبِّحَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَتَحْمَدَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ»، وفي رواية للبخاري "... فَكَبِّرَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَسَبِّحَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، فَهَذَا خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ، وفي بعض الروايات قِيلَ لَهُ: وَلَا لَيْلَةَ صِفِّينَ؟ قَالَ: وَلَا لَيْلَةَ صِفِّينَ» أخرجه البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ، بَابُ مَنَاقِبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ القُرَشِيِّ الهَاشِمِيِّ أَبِي الحَسَنِ ﷺ (٥/١٩ ح٣٧٠٥)، وفي كتاب الدعوات، بَابُ

ومنه حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: "مَنْ سَبَّحَ فِي دُبُرِ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، وَهَلَّلَ مِائَةَ تَهْلِيلَةٍ، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ"(١).

وجميع ما تقدم من الأحاديث؛ إنما هو في التسبيح عقب الصلاة المكتوبة.

أما تسبيحه ﷺ بعد النافلة، فقد جاء بعد الفراغ من الوتر أنه يسن أن يقول المصلي «سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ»، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يُطِيلُ فِي آخِرِهِنَّ، فعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُوتِرُ بِثَلَاثِ رَكَعَاتٍ، كَانَ يَقْرَأُ فِي الْأُولَى بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَفِي الثَّانِيَةِ بِقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وَفِي الثَّالِثَةِ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَيَقْنُتُ قَبْلَ الرُّكُوعِ، فَإِذَا فَرَغَ قَالَ عِنْدَ فَرَاغِهِ «سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ»، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يُطِيلُ فِي آخِرِهِنَّ، هذا لفظ النسائي، وفي رواية للدارقطني "وَإِذَا سَلَّمَ قَالَ: «سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ» ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَمُدُّ بِهَا صَوْتَهُ فِي الْأَخِيرَةِ يَقُولُ: «رَبِّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»(٢).

في الأحاديث فوائد:

التَّكْبِيرِ وَالتَّسْبِيحِ عِنْدَ المَنَامِ (٨/٧٠ ح٦٣١٨)، ومسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ التَّسْبِيحِ أَوَّلَ النَّهَارِ وَعِنْدَ النَّوْمِ (٤/٢٠٩١ ح٢٧٢٧).

(١) أخرجه النسائي، كِتَابُ السَّهْو، نَوْعٌ آخَرُ (٣/ ٧٩ ح١٣٥٤)، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة،بَابٌ فِي الدُّعَاءِ بَعْدَ الْوِتْرِ (٢/٦٥ ح١٤٣٠)، والنسائي، كتاب الصلاة، باب ذِكْر مَا يُسْتَحَبُّ لِلْمَرْءِ أَنْ يُسَبِّحَ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنْ وِتْرِهِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ (٣/٢٣٥ ح١٦٩٩)، وابن الجارود، كتاب الصلاة، بَابُ الصَّلَاةِ عَلَى الرَّاحِلَةِ (ص: ٧٨ ح٢٧١)، وابن حبان، كتاب الصلاة، باب ذِكْر مَا يُسْتَحَبُّ لِلْمَرْءِ أَنْ يُسَبِّحَ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنْ وِتْرِهِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ (٦/٢٠٢ ح٢٤٥٠)، والدارقطني، كتاب الصلاة، كتاب الوتر،مَا يَقْرَأُ فِي رَكَعَاتِ الْوِتْرِ وَالْقُنُوتُ فِيهِ (٢/٣٥٥ ح١٦٦٠)، والحاكم، كتاب التفسير، باب مِنْ كِتَابِ قِرَاءَاتِ النَّبِيِّ ﷺ مِمَّا لَمْ يُخَرِّجَاهُ وَقَدْ صَحَّ سَنَدُهُ (٢/٢٨٢ ح٣٠١٦) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وصححه ابن القطان. ينظر: بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام (٥/ ٣٥٢، ٦١٥).

الأولى: قوله "من سبح الله في دبر كل صلاة" أي: بعد الانتهاء من الصلاة والفراغ منها، وهو موافق لقوله في الرواية: "خلف كل صلاة"[١]، وهو موافق أيضاً لقوله في رواية الفريابي عن أبي ذر:" إثر كل صلاة"[٢]، وحول هذا المعنى يقول ابن حجر: وَمُقْتَضَى الْحَدِيثِ أَنَّ الذِّكْرَ الْمَذْكُورَ يُقَالُ عِنْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الصَّلَاةِ فَلَوْ تَأَخَّرَ ذَلِكَ عَنِ الْفَرَاغِ، فَإِنْ كَانَ يَسِيرًا بِحَيْثُ لَا يُعَدُّ مُعْرِضًا أَوْ كَانَ نَاسِيًا أَوْ مُتَشَاغِلًا بِمَا وَرَدَ أَيْضًا بَعْدَ الصَّلَاةِ كَآيَةِ الْكُرْسِيِّ فَلَا يَضُرُّ ... وَعَلَى هَذَا هَلْ يَكُونُ التَّشَاغُلُ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ بِالرَّاتِبَةِ بَعْدَهَا فَاصِلًا بَيْنَ الْمَكْتُوبَةِ وَالذِّكْرِ أَوْ لَا مَحَلُّ النَّظَرِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ[٣].

الثانية: الجمع بين الروايات المختلفة في عدد التسبيح.

تُظهر الأحاديث الاختلاف في عدد التسبيح بعد الصلاة، وقد جَمَعَ الْبَغَوِيُّ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ بَيْنَهَا: بِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ صَدَرَ فِي أَوْقَات مُتعَدِّدَة، أَولَهَا عَشْرًا عَشْرًا، ثُمَّ إِحْدَى عَشْرَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ، ثُمَّ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ التَّخْيِيرِ أَوْ يَفْتَرِقَ بِافْتِرَاقِ الْأَحْوَالِ[٤].

وقال النووي: قَوْلُ سُهَيْلٍ إِحْدَى عشرة إِحْدَى عَشْرَةَ لَا يُنَافِي رِوَايَةَ الْأَكْثَرِينَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ بَلْ مَعَهُمْ زِيَادَةٌ يَجِبُ قَبُولُهَا وقال: وَفِي رِوَايَةٍ تَمَامُ الْمِائَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَفِي رِوَايَةٍ إِنَّ التَّكْبِيرَاتِ أَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ، وَكُلُّهَا زِيَادَاتٌ مِنَ الثِّقَاتِ يَجِبُ قَبُولُهَا فَيَنْبَغِي أَنْ يَحْتَاطَ الْإِنْسَانُ فَيَأْتِيَ بِثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ تَسْبِيحَةً

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة (١/١٦٨ ح٨٤٣).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٢/٣٢٨).

(١) المصدر السابق (٢/٣٢٨).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٢/٣٢٩) نقلاً عن البغوي.

وَمِثْلُهَا تَحْمِيدَاتٌ وَأَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ تَكْبِيرَةً وَيَقُولُ مَعَهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ إِلَى آخِرِهَا لِيَجْمَعَ بَيْنَ الرِّوَايَاتِ(١).

وَقَالَ غَيْرُهُ: بَلْ يُجْمَعُ بِأَنْ يَخْتِمَ مَرَّةً بِزِيَادَةِ تَكْبِيرَةٍ وَمَرَّةً بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَلَى وَفْقِ مَا وَرَدَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ(٢).

الفائدة الثالثة: الأفضل في ترتيب هذا الذكر:

اختلفت الروايات في ترتيب الذكر ففي بعضها سبحان الله ثم الحمد لله ثم الله أكبر وعلى هذا أكثر الروايات، وفي بعضها تقديم التكبير على التحميد خاصة وفي بعضها البدء بالتكبير وغير ذلك،

قال ابن حجر: وَهَذَا الِاخْتِلَافُ دَالٌّ عَلَى أَنْ لَا تَرْتِيبَ فِيهَا وَيُسْتَأْنَسُ لِذَلِكَ بِقَوْلِهِ فِي حَدِيثِ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ: لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ(٣) لَكِنْ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ الْأَوْلَى الْبَدَاءَةُ بِالتَّسْبِيحِ لِأَنَّهُ يتَضَمَّن نفى النقائص عَنِ الْبَارِي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ثُمَّ التَّحْمِيدُ لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ إِثْبَاتَ الْكَمَالِ لَهُ إِذْ لَا يَلْزَمُ من نفى النقائص إِثْبَاتُ الْكَمَالِ ثُمَّ التَّكْبِيرُ إِذْ لَا يَلْزَمُ من نفى النقائص وَإِثْبَات الْكَمَال أَن يكون هُنَاكَ كَبِيرٌ آخَرُ ثُمَّ يَخْتِمُ بِالتَّهْلِيلِ الدَّالِّ عَلَى انْفِرَادِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِجَمِيعِ ذَلِكَ(٤).

---

(٣) شرح النووي على مسلم (٥/ ٩٤)، والأحاديث المشار إليها في كلام النووي سبق ذكرها وتخريجها في أول هذا المبحث.

(٤) فتح الباري لابن حجر (٣٢٩/٢).

) ١) الحديث أخرجه مسلم ، كتاب الآداب، باب كراهة التسمية بالأسماء القبيحة وبنافع ونحوه (١٦٨٥/٣ ح٢١٣٧) عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ. لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ"... الحديث.

)٢) فتح الباري لابن حجر (٣٢٨/٢).

الرابعة: مذاهب العلماء في الجمع والتفريق بين التسبيح:

اختلفت الروايات في كيفية التسبيح من حيث الجمع والتفريق، فقد وردت بعض الروايات بالجمع بأن يقول: سبحان الله والحمد الله والله أكبر، فتلك واحدة، ويفعل ذلك حتى يبلغ ثلاثاً وثلاثين مرة، وروايات أخرى تدل على التفريق بأن يسبح ثلاثاً وثلاثين مستقلة، ويحمد كذلك، ويكبر كذلك؛ وقد اختلف العلماء في أيهما أفضل، فرجح بعضهم الجمع بالإتيان بواو العطف كنظيره من التشهد[١]، قلت: وبهذا فسره أبو صالح كما سلف ذكره في حديث أبي هريرة في أول المبحث، واختار القاضي عياض القول بالتفريق وقال: وهذا أولى من تأويل أبي صالح: أن ثلاثاً وثلاثين من جميعهن، إذ قد فسر ذلك أبو هريرة في هذا الحديث[٢].

وقال ابن الملقن بالتفريق، وقال: وهو ظاهر جميع روايات الحديث[٣].

قال ابن حجر: وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ كُلًّا مِنَ الْأَمْرَيْنِ حَسَنٌ إِلَّا أَنَّ الْإِفْرَادَ يَتَمَيَّزُ بِأَمْرٍ آخَرَ وَهُوَ أَنَّ الذَّاكِرَ يَحْتَاجُ إِلَى الْعَدَدِ وَلَهُ عَلَى كُلِّ حَرَكَةٍ لِذَلِكَ سَوَاءٌ كَانَ بِأَصَابِعِهِ أَوْ بِغَيْرِهَا ثَوَابٌ لَا يَحْصُلُ لِصَاحِبِ الْجَمْعِ مِنْهُ إِلَّا الثُّلُثُ[٤].

الخامسة: حكم الزيادة على المأمور به من التسبيح:

تُظهر الأحاديث الاختلاف في عدد التسبيح بعد الصلاة، فبأيها أخذ المصلي ينبغي ألا يزيد عليها ولا ينقص منها، وقد استدل الحافظ ابن حجر لذلك بحديث زيد بن ثابت ﷺ قال: أمرنا أن نسبح دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، ونحمده ثلاثاً وثلاثين، ونكبره أربعاً

(٣) ينظر الإعلام بفوائد عمدة الأحكام (٤٨/٤).

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٥٤٧/٢)، وحديث أبي هريرة المشار إليه سبق ذكره وتخريجه في أول أحاديث هذا المبحث.

(٥) الإعلام بفوائد عمدة الأحكام (٥١/٤).

(١) فتح الباري لابن حجر (٣٢٩/٢).

وثلاثين، قال: فرأى رجل من الأنصار في المنام، فقال: أمركم رسول الله ﷺ أن تسبحوا في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وتحمدوا الله ثلاثاً وثلاثين، وتكبروا أربعاً وثلاثين؟ قال: نعم، قال: فاجعلوا خمساً وعشرين، واجعلوا التهليل معهن، فغدا على النبي ﷺ فحدثه، فقال: افعلوا.

قال الحافظ ابن حجر: وَاسْتُنْبِطَ مِنْ هَذَا أَنَّ مُرَاعَاةَ الْعَدَدِ الْمَخْصُوصِ فِي الْأَذْكَارِ مُعْتَبَرَةٌ وَإِلَّا لَكَانَ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ لَهُمْ أَضِيفُوا لَهَا التَّهْلِيلَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَقَدْ كَانَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ يَقُولُ إِنَّ الْأَعْدَادَ الْوَارِدَةَ كَالذِّكْرِ عَقِبَ الصَّلَوَاتِ إِذَا رُتِّبَ عَلَيْهَا ثَوَابٌ مَخْصُوصٌ فَزَادَ الْآتِي بِهَا عَلَى الْعَدَدِ الْمَذْكُورِ لَا يَحْصُلُ لَهُ ذَلِكَ الثَّوَابُ الْمَخْصُوصُ لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ لِتِلْكَ الْأَعْدَادِ حِكْمَةٌ وَخَاصِّيَّةٌ تَفُوتُ بِمُجَاوَزَةِ ذَلِكَ الْعَدَدِ، قَالَ شَيْخُنَا الْحَافِظُ أَبُو الْفَضْلِ فِي شَرْحِ التِّرْمِذِيِّ : وَفِيهِ نَظَرٌ لِأَنَّهُ أَتَى بِالْمِقْدَارِ الَّذِي رُتِّبَ الثَّوَابُ عَلَى الْإِتْيَانِ بِهِ فَحَصَلَ لَهُ الثَّوَابُ بِذَلِكَ فَإِذَا زَادَ عَلَيْهِ مِنْ جِنْسِهِ كَيْفَ تَكُونُ الزِّيَادَةُ مُزِيلَةً لِذَلِكَ الثَّوَابِ بَعْدَ حُصُولِهِ اهـ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَفْتَرِقَ الْحَالُ فِيهِ بِالنِّيَّةِ فَإِنْ نَوَى عِنْدَ الِانْتِهَاءِ إِلَيْهِ امْتِثَالَ الْأَمْرِ الْوَارِدِ ثُمَّ أَتَى بِالزِّيَادَةِ فَالْأَمْرُ كَمَا قَالَ شَيْخُنَا لَا مَحَالَةَ، وَإِنْ زَادَ بِغَيْرِ نِيَّةٍ بِأَنْ يَكُونَ الثَّوَابُ رُتِّبَ عَلَى عَشَرَةٍ مَثَلًا فَرَتَّبَهُ هُوَ عَلَى مِائَةٍ فَيَتَّجِهُ الْقَوْلُ الْمَاضِي، وَقَدْ بَالَغَ الْقَرَافِيُّ فِي الْقَوَاعِدِ فَقَالَ: مِنَ الْبِدَعِ الْمَكْرُوهَةِ الزِّيَادَةُ فِي الْمَنْدُوبَاتِ الْمَحْدُودَةِ شَرْعًا لِأَنَّ شَأْنَ الْعُظَمَاءِ إِذَا حَدُّوا شَيْئًا أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ وَيُعَدَّ الْخَارِجُ عَنْهُ مُسِيئًا لِلْأَدَبِ اهـ، وَقَدْ مَثَّلَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِالدَّوَاءِ يَكُونُ مَثَلًا فِيهِ أُوقِيَّةُ سُكَّرٍ فَلَوْ زِيدَ فِيهِ أُوقِيَّةٌ أُخْرَى لَتَخَلَّفَ الِانْتِفَاعُ بِهِ فَلَوِ اقْتَصَرَ عَلَى الْأُوقِيَّةِ فِي الدَّوَاءِ ثُمَّ اسْتَعْمَلَ مِنَ السُّكَّرِ بَعْدَ ذَلِكَ مَا شَاءَ لَمْ يَتَخَلَّفْ الِانْتِفَاعُ،

وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ أَنَّ الْأَذْكَارَ الْمُتَغَايِرَةَ إِذَا وَرَدَ لِكُلٍّ مِنْهَا عَدَدٌ مَخْصُوصٌ مَعَ طَلَبِ الْإِتْيَانِ بِجَمِيعِهَا مُتَوَالِيَةً لَمْ تَحْسُنِ الزِّيَادَةُ عَلَى الْعَدَدِ الْمَخْصُوصِ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ قَطْعِ الْمُوَالَاةِ لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ لِلْمُوَالَاةِ فِي ذَلِكَ حِكْمَةٌ خَاصَّةٌ تَفُوتُ بِفَوَاتِهَا وَاللَّهُ أَعْلَم(١).

قلت: والأولى الاقتداء بهديه ﷺ لاسيما أنه سن في التسبيح بعد الصلاة العدد القليل والكثير، مراعياً بذلك افتراق أحوال الناس من النشاط والإقبال والفراغ ليأخذ كل واحد ما يناسبه.

السادسة: هل التسبيح المذكور خاص بالصلوات المكتوبة؟

قال ابن حجر: قَوْله كُلّ صَلَاةٍ يَشْمَلُ الْفَرْضَ وَالنَّفْلَ لَكِنْ حَمَلَهُ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ عَلَى الْفَرْضِ، وَقَدْ وَقَعَ فِي حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ التَّقْيِيدُ بِالْمَكْتُوبَةِ وَكَأَنَّهُمْ حَمَلُوا الْمُطْلَقَاتِ عَلَيْهَا(٢).

السابعة: فضل التسبيح على غيره من الأعمال:

قد يقال: كيف يتساوى ذلك العمل اليسير من الذكر والتسبيح مع غيره من الأعمال البالغة المشقة كالجهاد في سبيل الله والتصدق بالمال الذي هو شقيق الروح وعصب الحياة، وأجيب بِأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ الثَّوَابُ عَلَى قَدْرِ الْمَشَقَّةِ فِي كُلِّ حَالَةٍ وَاسْتُدِلَّ لِذَلِكَ بِفَضْلِ كَلِمَةِ الشَّهَادَةِ مَعَ سُهُولَتِهَا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْعِبَادَات الشاقة، كما أن إدراك صحبة رسول الله ﷺ لحظة خير وفضيلة لا يوازيها عمل ولا تنال درجتها بشيء ثم إن نيتهم أنهم لو كانوا أغنياء لعملوا مثل عملهم وزيادة، ونية المؤمن خير من عمله فلهم ثواب النية وهذه الأذكار، كما أن الإخلاص في أداء هذه الكلمات سيما الحمد في حال الفقر من أعظم

(١) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٣٣٠)، وحديث زيد بن ثابت ﷺ سبق ذكره وتخريجه في أول هذا المبحث.

)٢) المصدر السابق (٢/ ٣٢٨)، وحديث كعب بن عُجرة ﷺ المذكور سبق ذكره وتخريجه في أول هذا المبحث.

الأعمال وأشقها [ينظر الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٥/ ١٩١) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٣٢٨)].

الثامنة: وفي الأحاديث فضل الذكر عقب الصلوات وأنها أوقات فاضلة يرتجى فيها إجابة الدعاء[١].

التاسعة: فضل التسبيح بعد صلاة الصبح خاصة وامتيازه بأجر إضافي على غيره من التسبيح في أدبار الصلوات،

وحول هذا المعنى يقول المناوي شارحاً حديث: «مَنْ سَبَّحَ فِي دُبُرِ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، وَهَلَّلَ مِائَةَ تَهْلِيلَةٍ، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»: أي عقب فراغه من الصبح، وظاهر التقييد بها أن ذلك من خواصها فلا يحصل الموعود به على قول ما يأتي بقوله عقب غيرها ويحتمل أنه قيد اتفاقي (مائة تسبيحة) بأن قال سبحان الله ثلاثة وثلاثين والحمد لله ثلاثة وثلاثين والله أكبر كذلك ولا إله إلا الله مرة فيكون المجموع مائة مرة وعبر عنه بالتسبيح أوله من تسمية الكل باسم جزئه (وهلل) أي قال لا إله إلا الله (مائة تهليلة غفر له ذنوبه) بهذا الشرط وهو من سبح والظاهر أن المراد الصغائر كما مر نظائره غير مرة (ولو كانت) في الكثرة (مثل زبد البحر) وهو ما يعلو على وجهه عند هيجانه واختصاص هذه الألفاظ بالذكر واعتبار الأعداد المعينة بحكمة تخصها لا يطلع عليها إلا من خصه الله بمعرفة أسرار الحروف التي تركب منها هذا الذكر ومراتب قولها...[٢].

(تنبيه) قال الغزالي: لا تظن أن ما في التهليل والتقديس والتحميد والتسبيح من الحسنات بإزاء تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير حصول معانيها في القلب، فسبحان الله كلمة تدل على التقديس، ولا إله إلا الله كلمة تدل على التوحيد، والحمد لله تدل على معرفة

(٣) المصدر السابق (٢/ ٣٣١) بتصرف يسير.

(١) فيض القدير (٦/ ١٩١).

النعمة من الواحد الحق فيما وعد به من الحسنات والمغفرة ونحو ذلك بإزاء هذه المعارف وإنما هو من أبواب الإيمان واليقين.

رابعاً: التسبيح في أثناء التلاوة:

ثبت عنه ﷺ أنه كان إذا مَر بآية فيها تسبيح في أثناء التلاوة سبح، فعن حذيفة ﷺ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ. قَالَ: وَفِي حَدِيثِ جَرِيرٍ مِنَ الزِّيَادَةِ، فَقَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ»(١).

وعن ابن عباس: أن النبيَّ ﷺ كان إذا قرأ {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} قال: "سُبحان ربي الأعلى"(٢).

---

(٢) أخرجه مسلم كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ اسْتِحْبَابِ تَطْوِيلِ الْقِرَاءَةِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ (١/٥٦٣ ح٧٧٢).

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء في الصلاة (١/٢٣٣ ح٨٨٣)، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «خُولِفَ وَكِيعٌ فِي هَذَا الْحَدِيثِ»، وَرَوَاهُ أَبُو وَكِيعٍ، وَشُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَوْقُوفًا، وأخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الصلاة(١/ ٣٩٥رقم ٩٧٠) وقال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» ووافقه الذهبي.

قلت: قول أبي داود السابق أن وكيعاً خولف في رفعه ... إلخ، الظاهر أن وكيعاً ليس هو العلة كما هو ظاهر كلام أبي داود بل العلة هو شيخ شيخ وكيع وهو أبو إسحاق السبيعي فإنه ثقة لكنه اختلط بأخرة كما في التقريب (ص: ٤٢٣)، ومن وقفه كشعبة سمع منه قبل الاختلاط؛ بخلاف إسرائيل الذي رفعه وهو ابن ابنه يونس؛ فإنه سمع منه بعد الاختلاط كما في ترجمة

إسرائيل فقد قال أحمد: إسرائيل عن أبي إسحاق فيه لين سمع منه بآخرة، وقال ابن معين: زكريا وزهير وإسرائيل حديثهم في أبي إسحاق قريب من السواء إنما أصحاب أبي إسحاق سفيان (يعني الثوري) وشعبة، انظر: تهذيب التهذيب (٢٦١/١)، فالصواب في هذا الإسناد الوقف كما أشار إليه أبو داود آنفاً، وأما الرواية الموقوفة على ابن عباس ﷺ فأخرجه عبد الرزاق في المصنف، كتاب الصلاة، بَابُ الرَّجُلِ يَدْعُو وَيُسَمِّي فِي دُعَائِهِ (٤٥١/٢ ح٤٠٥١) عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَرَأَ: {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى} [القيامة: ٤٠] قَالَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ بَلَى»، وَإِذَا قَرَأَ: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى قَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»، وإسناده صحيح. وقد وقع عند ابن الضريس في فضائل القرآن بإسناد صحيح تصريح أبي إسحاق بسماعه من سعيد بن جبير (ص: ٣١ ح١٣)، ورواية ابن الضريس هذه عن شيخه عمرو بن مرزوق عن شعبة عن أبي إسحاق السبيعي قال: سمعت سعيد بن جبير عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: " إِذَا قَرَأْتَ: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: ١] وَإِذَا قَرَأْتَ: {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى} [القيامة: ٤٠] فَقُلْ: سُبْحَانَكَ، وَبَلَى"، وفي سير أعلام النبلاء (٤١٩/١٠): وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: كَانَ ثِقَةً، مِنَ العُبَّادِ، لَمْ نَجِدْ أَحَداً مِنْ أَصْحَابِ شُعْبَةَ كَانَ أَحْسَنَ حَدِيْثاً مِنْهُ، على أن رواية أبي إسحاق السبيعي عن سعيد بن جبير في السنن الأربعة كما في تهذيب الكمال (١٠١/٢٢)، وقد صحح حديثه عن سعيد بن جبير الترمذي كما في الحديث (٣١٥٠، ٣٣٢٤، ٣٣٨٥)، بل قد روى عن عدد من الصحابة وعمن هو أكبر من سعيد بن جبير؛ فروى عن علي وابن عباس وابن الزبير وغيرهما من الصحابة كما في ترجمته من تهذيب الكمال (١٠٢/٢٢ وما بعدها)، وأما قول البُخَارِيّ كما في تحفة التحصيل (ص: ٢٤٥): لَا أعرف لأبي إِسْحَاق سَمَاعاً من سعيد بن جُبَير ا.ه، فلا يدل على أنه لم يسمع منه بل يدل على عدم معرفته أنه سمع منه، وقد تقدم أن روايته عنه في السنن الأربعة وصحح بعض حديثه الترمذي وهذا يدل على صحة سماعه منه عنده،=

=ومن علم حجة على من لم يعلم، وفي سير أعلام النبلاء (٣٩٢/٥ وما بعدها): قَالَ أبو إسحاق السبيعي: وُلِدْتُ لِسَنَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْ خِلاَفَةِ عُثْمَانَ، وَرَأَيْتُ عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ يَخطُبُ، وقال الذهبي: طَلَبَ العِلْمَ فِي حَيَاةِ عَائِشَةَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَقِيْلَ لِشُعْبَةَ: أَسَمِعَ أَبُو إِسْحَاقَ مِنْ مُجَاهِدٍ؟ قَالَ: وَمَا كَانَ يَصْنَعُ بِهِ، هُوَ أَحْسَنُ حَدِيْثاً مِنْ مُجَاهِدٍ، وَمِنَ الحَسَنِ، وَابْنِ سِيْرِيْنَ، وفي تحفى التحصيل (ص: ٢٤٥): قَالَ الْعجلِيّ: سمع أبو إِسْحَاق من ثَمَانِيَة وَثَلَاثِينَ صحابياً.

وعَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي عَائِشَةَ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يُصَلِّي فَوْقَ بَيْتِهِ، وَكَانَ إِذَا قَرَأَ: {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى} [القيامة: ٤٠]، قَالَ: «سُبْحَانَكَ»، فَبَكَى، فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ [«سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: " قَالَ أَحْمَدُ: يُعْجِبُنِي فِي الْفَرِيضَةِ أَنْ يَدْعُوَ بِمَا فِي الْقُرْآنِ"[(١)].

وعَنْ عُمَيْرِ بْنِ سَعِيدٍ، أَنَّ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ" قَرَأَ فِي الْجُمُعَةِ "سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى"، فَقَالَ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى، وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ"[(٢)].

ويشهد له في قطع التلاوة بالتسبيح حديث حذيفة ﷺ السابق الذي أخرجه مسلم، وله شاهد آخر عن علي ﷺ موقوفاً، أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢/٤٤٠ ح٣٦٩٤) بإسناد حسن، عَنْ عَبْدِ خَيْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا، يَقْرَأُ {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: ١] فَقَالَ: " سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى"، وشاهد ثالث إسناده صحيح، عن أبي موسى ﷺ موقوفاً، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/٢٤٧ ح٨٦٣٩)، وهناك شواهد أخرى كثيرة عن السلف من الصحابة وغيرهم أنهم كانوا يُسَبحون عند قراءة هذه الآية "سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى" انظرها في الدر المنثور للسيوطي (٨/٤٨٢).

(١) أخرجه عبد الرزاق في التفسير (٣/٣٧٠ ح٣٤١٩)، وأبو داود، كتاب الصلاة، بَابُ الدُّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ (١/٢٣٣ ح٨٨٤) وإسناده صحيح وجهالة الصحابي لا تضر، قال الحافظ ابن كثير في التفسير (٨/٢٨٤): تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو دَاوُدَ وَلَمْ يُسَمِّ هَذَا الصَّحَابِيَّ، وَلَا يُضَرُّ ذَلِكَ ا.ه، قلت: موسى بن أبي عائشة هو الهمداني (بسكون الميم) مولاهم، أبو الحسن الكوفي، قال الحافظ في التقريب (ص:٥٥٢): ثقة عابد، وكان يرسل ا.ه، وقال الحافظ عبدالْغَنِيّ بن سعيد المصري كما في تحفة التحصيل (ص: ٣٢٠): لَقِي عَمْرو بن حُرَيْث ا.ه، قلت: هو عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ﷺ، قال الحافظ: صحابي صغير، مات سنة خمس وثمانين، انظر: التقريب (ص: ٤٢٠).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب الصلاة، باب الرَّجُلِ يَدْعُو وَيُسَمِّي فِي دُعَائِهِ (٢/٤٥١ح٤٠٥٠)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢/٢٤٧ ح٨٦٣٩)، وإسناده صحيح.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَرَأَ: {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى} [القيامة: ٤٠] قَالَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ بَلَى» ، وَإِذَا قَرَأَ: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى قَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»[1].

فائدة: هَل يجوز لِلْمُصَلِّي إِذا مرت بِهِ آيَة رَحْمَة أَن يسْأَلهَا، أَو آيَة عَذَاب أَن يستعيذ مِنْهُ أو آية تسبيح أن يسبح؟.

للإجابة عن هذا السؤال يقول صاحب الإفصاح: وفيه من الفقه أنه إذا كان في صلاة فمرت به آية رحمة فشاء أن يسألها الله تعالى مغتنمًا ما في القرآن من مناسبة الطلب سألها فإن القرآن وحي مجدد، وإذا مر بآية فيها تسبيح الله تعالى فإنه يسبح الله بما روي في الأخبار، وليعلم أنه في مقام كريم لا يلائمه المطالب الدنيا، وإذا مر بآية عذاب للكافرين استعاذ بالله تعالى من مثل أن يقرأ قوله: {واستغفر لذنبك} فيقول الحديث المروي وهو: (اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم)[2]، ومثل أن يأتي قوله عز وجل: {ما لكم لا ترجون لله وقارًا} فيقول ها هنا: (اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك)[3]، وفي مثل قوله سبحانه في ذكر تسبيحه سبحانه وتعالى: {يسبحون الليل والنهار لا يفترون} وقد سبق أن معنى قولنا: (سبحان الله) أنه تنزيه له عز وجل عن كل مالا يجوز عليه، ثم يقول: (وبحمده) أي وبحمده سبحته، ولذلك يقول: (سبحان الله العظيم)، وهذا

---

(1) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب الصلاة باب الرَّجُلِ يَدْعُو وَيُسَمِّي فِي دُعَائِهِ (٢/٤٥١ح٤٠٥١)، وقد سبق تخريجه آنفاً وبينت أن الصحيح أنه موقوف على ابن عباس ﷺ، وذكرت له شواهد صحيحة من فعل الصحابة (رضي الله عنهم).

(2) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء في الصلاة (٨/٧٢ ح٦٣٢٦) من حديث أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ.

(3) أخرجه الترمذي، أبواب الدعوات، بابٌ (٥/٥٢٨ ح٥٣٧) جزء من حديث ابن عمر ﷺ، وقال الترمذي: حسن غريب.

فلا أراه إلا في النافلة، فأما الفريضة فيقصرها على أذكارها مع التفكر في كل ذكر من أذكارها، فإنها حاوية شاملة جامعة، وليكن في إنجازه بها مبادرًا الوسواس[1].

وقال البغوي وذكر حديث حذيفة ﷺ السابق في قيامه مع النبي ﷺ بالليل: الْمُسْتَحَبُّ لِلْقَارِئِ فِي الصَّلاةِ وَغَيْرِ الصَّلاةِ هَذَا، إِذَا قَرَأَ آيَةَ رَحْمَةٍ أَنْ يَسْأَلَ، أَوْ آيَةَ عَذَابٍ أَنْ يَتَعَوَّذَ، أَوْ آيَةَ تَسْبِيحٍ أَنْ يُسَبِّحَ[2].

وقال ابن الجوزي: وَقَوله: إِذا مر بسؤال سَأَلَ. اخْتلفت الرِّوَايَة عَن أَحْمد رَحْمَة الله عَلَيْهِ: هَل يجوز للْمُصَلِّي فِي صَلَاة الْفَرْض إِذا مرت بِهِ آيَة رَحْمَة أَن يسْأَلهَا، أَو آيَة عَذَاب أَن يستعيذ مِنْهُ، فَرُوِيَ عَنهُ جَوَاز ذَلِك، وَهُوَ قَول الشَّافِعِي، وَرُوِيَ عَنهُ أَنه جَائِز فِي التَّطَوُّع دون الْفَرِيضَة، وَهُوَ قَول أبي حنيفَة. وَكَانَ شَيخنَا أَبُو بكر الدينَوَرِي يتَأَوَّل الحَدِيث فَيَقُول: معنى يسْأَل ويستعيذ: أَنه يسْأَل بِإِعَادَة الْآيَة، مثل أَن يقْرَأ: {رَبنَا فَاغْفِر لنا} [آل عمرَان: ١٩٣] فيردد ذَلِك، لَا أَنه يتَكَلَّم بِكَلَام من عِنْده، وَهَذَا الْأَشْبَه بأصولنا، وَقد قَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: "إِن صَلَاتنَا هَذِه لَا يصلح فِيهَا شَيْء من كَلَام الْآدَمِيّين[3]". [4].

وقال النووي: قَوْلُهُ يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ فِيهِ اسْتِحْبَابُ هَذِهِ الْأُمُورِ لِكُلِّ قَارِئٍ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا وَمَذْهَبُنَا اسْتِحْبَابُهُ لِلْإِمَامِ وَالْمَأْمُومِ وَالْمُنْفَرِدِ[5].

---

(1) الإفصاح عن معاني الصحاح (٢/٢٣٧).

(2) شرح السنة (٣/١٠٤).

(3) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته (١/٣٨١ ح٥٣٧) من حديث مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ ﷺ.

(4) كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/٣٩٤-٣٩٥).

(5) شرح صحيح مسلم للنووي (٦/٦٢).

وقال ابن قدامة: يُسْتَحَبُّ لِلْمُصَلِّي نَافِلَةً إذَا مَرَّتْ بِهِ آيَةُ رَحْمَةٍ أَنْ يَسْأَلَهَا، أَوْ آيَةُ عَذَابٍ أَنْ يَسْتَعِيذَ مِنْهَا ثم ذكر حديثي حذيفة وعوف بن مالك (رضي الله عنهما) في قيامهما مع النبي ﷺ بالليل ...

ثم قال: وَلَا يُسْتَحَبُّ ذَلِكَ فِي الْفَرِيضَةِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي فَرِيضَةٍ، مَعَ كَثْرَةِ مَنْ وَصَفَ قِرَاءَتَهُ فِيهَا[1].

وقال ابن الملقن: وهو محتمل للفرض والنفل[2].

وقال العراقي: فِيهِ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ لِتَالِي الْقُرْآنِ وَمُسْتَمِعِهِ إذَا مَرَّ بِآيَةِ عَذَابٍ أَنْ يَسْتَعِيذَ مِنْهُ وَقَدْ صَرَّحَ بِذَلِكَ أَصْحَابُنَا وَغَيْرُهُمْ وَقَالُوا لَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ تَكُونَ الْقِرَاءَةُ فِي الصَّلَاةِ وَخَارِجِهَا وَالصَّحِيحُ عِنْدَ أَصْحَابِنَا أَنَّ الْمَأْمُومَ يَفْعَلُ ذَلِكَ لِقِرَاءَةِ الْإِمَامِ[3].

وقال المناوي: وأخذ من ذلك أن القارئ أو السامع كلما مر بآية تنزيه أن ينزه الله تعالى أو تحميد أن يحمده أو تكبير أن يكبره وقيس عليه[4].

ونقل أيضاً عن الحليمي قوله: فينبغي للمؤمنين سواء أن يكونوا كذلك بل هم أولى به منه إذا كان الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهم من أمرهم على خطر[5] قلت: ليس هناك أحد من الخلق أولى من النبي ﷺ بفعل الطاعات والتقرب إلى الله تعالى، أما ترى هؤلاء النفر الذين تقالوا عبادة النبي ﷺ عندما أخبروا بها فرأوا أن يشددوا على أنفسهم في الطاعة والعبادة وقالوا: أين نحن من رسول الله وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما

---

(1) المغني (١/٣٩٤).

(2) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٧/٦٢٢).

(3) طرح التثريب في شرح التقريب (٣/١١٢).

(4) فيض القدير (٥/١٥٦).

(5) فيض القدير (٥/١٦٠).

تأخَّر فأنكر النبي ﷺ عليهم ذلك وأعلمهم أنه أتقاهم لله وأخشاهم له وبين أنه لهم الأسوة والقدوة فقال: فمن رغب عن سنتي فليس مني[1].

قلت: ظاهر الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ أن هذا يكون في النافلة لا سيما في قيام الليل، وهو رأي أبي حنيفة ورواية عن أحمد كما سبق من كلام ابن الجوزي، وهو ما اختاره ابن قدامة معللاً ذلك بقوله: لِأَنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي فَرِيضَةٍ، مَعَ كَثْرَةِ مَنْ وَصَفَ قِرَاءَتَهُ فِيهَا كما سبق، وهو كما قال (رحمه الله تعالى).

خامساً: التسبيح في الصلاة للأمر العارض:

كان من تعليم النبي ﷺ لأصحابه أن من نابه شيء في الصلاة فاحتاج أن يُنَبه غيره، فليقل "سبحان الله" وهذا الحُكم للرجال دون النساء، ففي الحديث المتفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «التَّسْبِيحُ لِلرِّجَالِ، وَالتَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ»[2].

وأخرج الشيخان عنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَهَبَ إِلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمْ، فَحَانَتِ الصَّلاَةُ، فَجَاءَ المؤَذِّنُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: أَتُصَلِّي لِلنَّاسِ فَأُقِيمَ؟ قَالَ: نَعَمْ فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالنَّاسُ فِي الصَّلاَةِ، فَتَخَلَّصَ حَتَّى وَقَفَ فِي الصَّفِّ، فَصَفَّقَ النَّاسُ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ لاَ يَلْتَفِتُ فِي صَلاَتِهِ، فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ التَّصْفِيقَ التَفَتَ، فَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنِ امْكُثْ مَكَانَكَ»، فَرَفَعَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يَدَيْهِ، فَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى مَا أَمَرَهُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى اسْتَوَى فِي الصَّفِّ، وَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «يَا

---

(1) أخرج هذا المعنى البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (٢/٧ ح ٥٠٣)، ومسلم، كتاب النكاح، بَابُ اسْتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ، وَوَجَدَ مُؤَنَهُ، وَاشْتِغَالِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الْمُؤَنِ بِالصَّوْمِ (١٠٢٠١٤٠١/٢) من حديث أَنَس بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه.

(2) أخرجه البخاري، كتاب العَمَلِ فِي الصَّلاَةِ، بَابُ التصفيق للنساء (٢/ ٦٣ح ١٢٠٣)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب تسبيح الرجل وتصفيق المرأة إذا نابهما شيء في الصلاة (٣١٨/١ح ٤٢٢).

أَبَا بَكْرٍ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَثْبُتَ إِذْ أَمَرْتُكَ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا كَانَ لِابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يُصَلِّيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لِي رَأَيْتُكُمْ أَكْثَرْتُمُ التَّصْفِيقَ، مَنْ رَابَهُ شَيْءٌ فِي صَلاَتِهِ فَلْيُسَبِّحْ فَإِنَّهُ إِذَا سَبَّحَ التُفِتَ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا التَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ"، وفي رواية "مَنْ نَابَهُ شَيْءٌ فِي صَلاَتِهِ فَلْيَقُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ"(١).

قال النووي: وَفِيهِ أَنَّ السُّنَّةَ لِمَنْ نَابَهُ شَيْءٌ فِي صَلَاتِهِ كَإِعْلَامِ مَنْ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِ وَتَنْبِيهِ الْإِمَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ أَنْ يُسَبِّحَ إِنْ كَانَ رَجُلًا فَيَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ،

وَأَنْ تُصَفِّقَ وَهُوَ التَّصْفِيحُ إِنْ كَانَ امْرَأَةً فَتَضْرِبُ بَطْنَ كَفِّهَا الْأَيْمَنِ عَلَى ظَهْرِ كَفِّهَا الْأَيْسَرِ وَلَا تَضْرِبُ بَطْنَ كَفٍّ عَلَى بَطْنِ كَفٍّ عَلَى وَجْهِ اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ فَإِنْ فَعَلَتْ هَكَذَا عَلَى جِهَةِ اللَّعِبِ بَطَلَتْ صَلَاتُهَا لِمُنَافَاتِهِ الصَّلَاةَ(٢).

سادساً: التسبيح والذكر بين يدى الدعاء وعند الكَرْب:

ورد عنه ﷺ كثير من الأحاديث تبين فضل الثناء على الله والذكر والتسبيح والحمد بين يدى الدعاء وعند الكَرْب ومنها:

حديث عُبَادَة بْن الصَّامِتِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلاَتُهُ"(٣).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، بَابُ مَنْ دَخَلَ لِيَؤُمَّ النَّاسَ، فَجَاءَ الإِمَامُ الأَوَّلُ، فَتَأَخَّرَ الأَوَّلُ أَوْ لَمْ يَتَأَخَّرْ، جَازَتْ صَلاَتُهُ (١/١٣٧ ح٦٨٤) وفي مواضع أخرى برقم (١٢١٨، ١٢٣٤، ٢٦٩٠) واللفظ له، ومسلم، كتاب الصلاة، بَابُ تَقْدِيمِ الْجَمَاعَةِ مَنْ يُصَلِّي بِهِمْ إِذَا تَأَخَّرَ الْإِمَامُ وَلَمْ يَخَافُوا مَفْسَدَةً بِالتَّقْدِيمِ (١/٣١٦ ح٤٢١).

(٢) شرح النووي على مسلم (٤/١٤٥).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التهجد، بَابُ فَضْلِ مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى (٢/ ٥٤ ح١١٥٤).

وحَدَّيثَ سَعْدٍ بن أبي وقاص، قَالَ: مَرَرْتُ بِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ فِي الْمَسْجِدِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَمَلأ عَيْنَيْهِ مِنِّي ثُمَّ لَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ السَّلامَ، فَأَتَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَلْ حَدَثَ فِي الْإِسْلامِ شَيْءٌ؟ مَرَّتَيْنِ قَالَ: لَا. وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا. إِلا أَنِّي مَرَرْتُ بِعُثْمَانَ آنِفًا فِي الْمَسْجِدِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَمَلأ عَيْنَيْهِ مِنِّي، ثُمَّ لَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ السَّلامَ. قَالَ: فَأَرْسَلَ عُمَرُ إِلَى عُثْمَانَ فَدَعَاهُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تَكُونَ رَدَدْتَ عَلَى أَخِيكَ السَّلامَ؟ قَالَ عُثْمَانُ: مَا فَعَلْتُ قَالَ سَعْدٌ: قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: حَتَّى حَلَفَ وَحَلَفْتُ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّ عُثْمَانَ ذَكَرَ، فَقَالَ: بَلَى، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ إِنَّكَ مَرَرْتَ بِي آنِفًا، وَأَنَا أُحَدِّثُ نَفْسِي بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا وَاللهِ مَا ذَكَرْتُهَا قَطُّ إِلا تَغَشَّى بَصَرِي وَقَلْبِي غِشَاوَةٌ، قَالَ: قَالَ سَعْدٌ: فَأَنَا أُنْبِئُكَ بِهَا: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ لَنَا أَوَّلَ دَعْوَةٍ، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَشَغَلَهُ حَتَّى قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاتَّبَعْتُهُ فَلَمَّا أَشْفَقْتُ أَنْ يَسْبِقَنِي إِلَى مَنْزِلِهِ، ضَرَبْتُ بِقَدَمِي الْأَرْضَ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: " مَنْ هَذَا أَبُو إِسْحَاقَ؟ " قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: " فَمَهْ ". قَالَ: قُلْتُ: لَا وَاللهِ، إِلا أَنَّكَ ذَكَرْتَ لَنَا أَوَّلَ دَعْوَةٍ ثُمَّ جَاءَ هَذَا الْأَعْرَابِيُّ فَشَغَلَكَ،

قَالَ: "نَعَمْ دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ هُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: {لَا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأنبياء: ٨٧] فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ رَبَّهُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلا اسْتَجَابَ لَهُ "[1].

([1]) أخرجه أحمد (٣/ ٦٥ح١٤٦٢) وإسناده حسن؛ فيه يونس بن أبي إسحاق السبيعي، قال فيه الحافظ في التقريب (ص:٦١٣): صدوق يهم قليلاً، والترمذي، أبواب الدعوات، بابٌ (٥/٥٢٩ ح٣٥٠٥)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ذِكْر دَعْوَةِ ذِي النُّونِ (٩/٢٤٣ ح١٠٤١٦، ١٠٤١٧) كلاهما مختصراً، والبزار (٤/١٤)، وأبو يعلى في المعجم (ص:٢١٧)، والحاكم، كتاب التفسير، باب تَفْسِير سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ (٢/٤١٤ ح٣٤٤٤) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وقال الذهبي: صحيح، وأخرجه في مواضع أخرى برقم (١٨٦٢، ١٨٦٣، ٤١٢١)، وقال الضياء في الأحاديث المختارة (٣/٢٣٤، ٢٣٥ ح ١٠٤١،

وحَديثَ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، قَالَ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا نَزَلَ بِي كَرْبٌ أَنْ أَقُولَ: " لَا إِلَهَ إِلا اللهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللهِ، وَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين[1].

في حديث عبادة ﷺ فوائد:

١٠٤٢): إسناده صحيح، وقال الهيثمي في المجمع (٦٨/٧): رَوَى التِّرْمِذِيُّ طَرَفًا مِنْ آخِرِهِ، رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ، غَيْرَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَهُوَ ثِقَةٌ، وقال في نفس المصدر (٥٩/١٠): رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو يَعْلَى، وَالْبَزَّارُ، وَرِجَالُ أَحْمَدَ وَأَبِي يَعْلَى وَأَحَدُ إِسْنَادَيِ الْبَزَّارِ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَهُوَ ثِقَةٌ.

(١) أخرجه أحمد (١٠٩/٢ ح٧٠١)، (٢/ ١٣٠ ح ٧٢٦) بإسناد جيد؛ فيه أسامة بن زيد الليثي مولاهم، أبو زيد المدني (صدوق يهم) كما في التقريب (ص: ٩٨)، وقد تابعه محمد بن عجلان كما في الرواية الأخرى عن أحمد وهو (صدوق، اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة ﷺ) كما في التقريب (ص: ٤٩٦)، وأخرجه ابن حبان، كتاب الرقائق، باب ذِكْر الْأَمْرِ بِالتَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا مَعَ التَّحْمِيدِ لِمَنْ أَصَابَتْهُ شِدَّةٌ أَوْ كَرْبٌ (١٤٧/٣ ح٨٦٥) وبرقم (٦٩٢٨)، والحاكم، كِتَابُ الدُّعَاءِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّسْبِيحِ وَالذِّكْرِ (٦٨٨/١ ح١٨٧٣، ١٨٧٤) وبرقم (٤٦٧٠) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ لِاخْتِلَافٍ فِيهِ عَلَى النَّاقِلِينَ " وَهَكَذَا أَقَامَ إِسْنَادَهُ: مُحَمَّدُ بْنُ عَجْلَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، وقال مرة: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم، وصححه ابن جرير كما في كنز العمال (٢/ ٦٥٤ح ٤٩٩٢)، وعزاه ابن الملقن في التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٩/ ٢٧٢) لأحمد وقال: إسناده جيد، وكذا صححه الحافظ كما في الفتوحات الربانية لابن علاّن (٧/٤) كما قال الشيخ شعيب في تحقيق المسند، وأصل الحديث في دعاء الكرب متفق عليه من حديث عبد الله بن عباس ﷺ، أخرجه البخاري، كِتَابُ الدَّعَوَاتِ، بَابُ الدُّعَاءِ عِنْدَ الكَرْبِ (٨/ ٧٥ ح٦٣٤٥، ٦٣٤٦)،=

=ومسلم في كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ دُعَاءِ الْكَرْبِ (٢٠٩٢/٤ ح٢٧٣٠) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الكَرْبِ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ».

الأولى: هل يُوَفق كل أحد لقول هذا الذكر؟

حول هذا المعنى يقول القسطلاني: وهذا إنما يتفق لمن تعوّد الذكر واستأنس به، وغلب عليه، حتى صار الذكر له حديث نفسه في نومه ويقظته، فأُكْرم من اتصف بذلك بإجابة دعوته، وقبول صلاته[1].

وكذلك قال السيوطي: إن ذلك الذكر لا يتحقق إلا لمن تعود الذّكر حَتَّى صَار حَدِيث نَفسه فِي نَومه ويقظته[2].

وإلى هذا يشير قول ابن رجب: ... وَمَنْ كَانَ حَالُهُ عَلَى مَا ذَكَرْنَا لَمْ يَزَلْ لِسَانُهُ رَطْبًا بِذِكْرِ اللَّهِ، فَيَسْتَصْحِبُ الذِّكْرُ فِي يَقَظَتِهِ حَتَّى يَنَامَ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَبْدَأُ بِهِ عِنْدَ اسْتِيقَاظِهِ، وَذَلِكَ مِنْ دَلَائِلِ صِدْقِ الْمَحَبَّةِ، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ:

وَآخِرُ شَيْءٍ أَنْتَ فِي كُلِّ هَجْعَةٍ ... وَأَوَّلُ شَيْءٍ أَنْتَ وَقْتَ هُبُوبِي[3]

قلت: لا يمتنع من أن يقول هذا الذكر آحاد الناس إذا أراد الله له التوفيق، وإن لم يكن من أهل المواظبة على الذكر، وأما كلام القسطلاني والسيوطي مِن أن ذلك إنما يتفق لأهل الذكر دون غيرهم فلا شك أن كلامهم محمول على الأغلب الأعم وأنه لا يختص به قوم دون قوم، وهو ظاهر كلام ابن بطال حيث يقول:

فَيَنْبَغِي لِمَنْ بَلَغَهُ هَذَا الْحَدِيثُ أَنْ يَغْتَنِمَ الْعَمَلَ بِهِ وَيُخْلِصَ نِيَّتَهُ لِرَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[4].

الثانية: هل يستجاب لقائل هذا الذكر؟

جزم ابن بطال وغيره أن من قال هذا الذكر استجيب له يقول ابن بطال: إذ قد وعد الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه أَنَّ مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ لَهِجًا لِسَانُهُ بِتَوْحِيدِ رَبِّهِ وَالْإِذْعَانِ

---

(1) شرح القسطلاني على صحيح البخاري (٢/ ٣٢٩).

(2) شرح سنن ابن ماجه للسيوطي وغيره (ص: ٢٧٦).

(3) جامع العلوم والحكم (٢/ ٥٢٨).

(4) فتح الباري لابن حجر (٤١/٣)، وينظر شرح ابن بطال (١٨٤/٣).

لَهُ بِالْمُلْكِ وَالِاعْتِرَافِ بِنِعَمَهِ يَحْمَدُهُ عَلَيْهَا وَيُنَزِّهُهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ بتَسْبِيحِهِ وَالْخُضُوعِ لَهُ بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّسْلِيمِ لَهُ بِالْعَجْزِ عَنِ الْقُدْرَةِ إِلَّا بِعَوْنِهِ أَنَّهُ إِذَا دَعَاهُ أَجَابَهُ وَإِذَا صَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ ... فَيَنْبَغِي لِمَنْ بَلَغَهُ هَذَا الْحَدِيثُ أَنْ يَغْتَنِمَ الْعَمَلَ بِهِ وَيُخْلِصَ نِيَّتَهُ لِرَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[1].

ويقول القاري: اسْتُجِيبَ لَهُ مَا دَعَاهُ مِنْ خُصُوصِ الْمَغْفِرَةِ أَوْ مِنْ عُمُومِ الْمَسْأَلَةِ، قَالَ ابْنُ الْمَلَكِ: الْمُرَادُ بِهَا الِاسْتِجَابَةُ الْيَقِينِيَّةُ[2].

وخالف في ذلك بعض العلماء، قال القاضي عياض: قال بعض المتكلمين على المعاني: هذه الفضائل التي جاءت في هذه الأذكار إنما هي لأهل الشرف في الدين والطهارة من الكبائر، دون المصِرين وغيرهم. قال القاضي: وفيما قاله نظر، والأحاديث عامة، ولو قال: لمن قالها معظمًا لربه مخلصًا من قلبه نيته صادقة مطابقة لقوله، كان أولى[3]، وأيده النووي بقوله: قُلْتُ: الصَّحِيحُ أَنَّهَا لاتختص- أي بأهل الشرف في الدين، وَاَللَّهُ أَعْلَمُ[4].

الثالثة: هل يتعين هذا الذكر لاستجابة الدعاء؟

قال العراقي: لا يتعين لِتَحْصِيلِ هَذَا الْمَقْصُودِ ذِكْرٌ لَكِنَّ الْأَذْكَارَ الْمَأْثُورَةَ فِيهِ أَفْضَلُ[5].

وهو اختيار الحافظ ابن حجر والبدر العيني، ولكن الأولى عندهما هذا الذكر الوارد في حديث عُبادة (رضي الله عنه)[6].

---

(1) فتح الباري لابن حجر (٤١/٣)، وينظر شرح ابن بطال (١٨٤/٣).

(2) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩١٨/٣).

(3) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٢٢٦/٨).

(4) شرح النووي على مسلم (٤٨/١٧).

(5) طرح التثريب في شرح التقريب (٨٤/٣).

(6) فتح الباري لابن حجر (٢٨/٣)، وعمدة القاري للعيني (١٩٤/٧).

هذا وقد توسع الحافظ ابن حجر فذكر أنه يلتحق بالذكر تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ وَقِرَاءَةُ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ وَالِاشْتِغَالُ بِالْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ[1].

وفي حديث علي ﷺ فوائد:

الأولى: هذا الذكر يعرف بدعاء الكرب وقد وقع في تراجم صحيح مسلم، باب دعاء الكرب وذكر فيه حديث ابن عباس، أن نبي الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم»[2].

قال النووي: وَهُوَ حَدِيثٌ جَلِيلٌ يَنْبَغِي الِاعْتِنَاءُ بِهِ وَالْإِكْثَارُ مِنْهُ عِنْدَ الْكُرَبِ وَالْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ، قَالَ الطَّبَرِيُّ: كَانَ السَّلَفُ يَدْعُونَ بِهِ وَيُسَمُّونَهُ دُعَاءَ الْكَرْبِ[3].

الثانية: قال الطبري: كان السلف يدعون بهذا الدعاء، ويسمونه دعاء الكرب.

فإن قيل: فليس في هذا الدعاء إلا ذكر؛ من تسبيح وتهليل، قيل: يحتمل تسميته دعاء لمعنيين.

أحدهما: أنّ هذا الذكر به يستفتح الدعاء، ثم يدعو من بعده ما شاء، وقد جاء مثل هذا مفسرًا كذلك في بعض الطرق: "ثم يدعو[4] "[5].

والمعنى الثاني: قال ابن عيينة: هُوَ ذِكْرٌ وَلَيْسَ فِيهِ دُعَاءٌ وَلَكِنْ قَالَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ[1]"،

---

(1) فتح الباري لابن حجر (٣/٢٨).

(2) أخرجه البخاري ومسلم كما سبق قريباً.

(3) شرح النووي على مسلم (١٧/٤٧).

(4) أخرجه أحمد (٤/٢٣٤ ح٢٤١١) بإسناد صحيح.

(5) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/٢٢٥).

(١) روي من حديث عمر بن الخطاب وأبي سعيد الخدري وحذيفة (رضي الله عنهم)، أما حديث عمر ﷺ:

فقد أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد، باب قِرَاءَة الْفَاتِحَةِ خَلْفَ الْإِمَامِ فِي الصَّلَاةِ بِالْجَهْرِ (ص: ١٠٩) قال حدثنا ضِرَارٌ، ثنا صَفْوَانُ بْنُ أَبِي الصَّهْبَاءِ، عَنْ بُكَيْرِ بْنِ عَتِيقٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ"، وكذا أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١١٥/٢) عن ضرار، قلت: إسناد البخاري في خلق أفعال العباد ضعيف؛ فيه شيخ البخاري واسمه ضرار بن صُرَد الطحان، قال البخاري والنسائي: متروك الحديث،=

=وقال النسائي مرة: ليس بثقة، وقال يحيى بن معين: كذابان بالكوفة: هذا وأبو نعيم النخعي، وقال أبو حاتم: صدوق صاحب قرآن وفرائض يكتب حديثه ولا يحتج به، روى حديثاً عن معتمر عن أبيه عن الحسن عن أنس عن النبي ﷺ في فضيلة بعض الصحابة ينكرها أهل المعرفة بالحديث، وقال الحاكم أبو أحمد: ليس بالقوي عندهم، وقال الدارقطني: ضعيف، وقال ابن عدي: هو من المعروفين بالكوفة وله أحاديث كثيرة وهو من جملة من ينسب إلى التشيع بالكوفة، وقال الساجي: عنده مناكير، وقال ابن قانع: ضعيف يتشيع، وقال ابن حبان: كان فقيهاً، عالما بالفرائض إلا أنه يروي المقلوبات عن الثقات حتى إذا سمعها السامع شهد عليه بالجرح والوهن، وقال الحافظ في لسان الميزان: ضعفوه، وقال في التقريب: صدوق له أوهام وخطأ، ورمي بالتشيع، وكان عارفاً بالفرائض، انظر: ميزان الاعتدال (٣٢٧/٢)، الكاشف (٣١٢/١)، تهذيب التهذيب (٤٥٦/٤)، لسان الميزان (٣٢٩/٩)، التقريب (ص: ٢٨٠).

وفي الإسناد أيضاً شيخ ضرار بن صُرَد وهو صفوان بن أبي الصهباء التيمي الكوفي، قال الحافظ: ذكره ابن حبان في الثقات، وأعاده في الضعفاء فقال: منكر الحديث يروي عن الأثبات ما لا أصل له، لا يجوز الاحتجاج به إلا فيما وافق الثقات من الروايات، وقال الحافظ: مقبول، من السابعة، اختلف فيه قول ابن حبان، وقال مغلطاي: في كتاب ابن خلفون لما ذكره في «الثقات» عن ابن حبان: منكر الحديث جداً، قال ابن خلفون: وأرجو أن يكون صدوقاً في الحديث، ذكره ابن الأعرابي وغيره عن عباس بن محمد الدوري عن يحيى بن معين أنه قال: صفوان بن أبي الصهباء ثقة ا.ه، قلت: وقد ذكر ابن حبان حديث الباب في ترجمة ابن أبي الصهباء هذا وقال: هَذَا مَوْضُوعٌ مَا رَوَاهُ إِلَّا هَذَا الشَّيْخُ بِهَذَا الإِسْنَادِ وَعَطِيَّةُ عَنْ بن سعيد، انظر:

الثقات (٣٢١/٨)، المجروحين (٣٧٦/١)، إكمال تهذيب الكمال (٣٨٣/٦)، تهذيب التهذيب (٤٢٧/٤)، التقريب (ص:٢٧٧).

قلت: لكن ضرار بن صرد تابعه عثمان بن زفر بن مزاحم ويَحْيَى بن عبد الحميد الْحِمَّانِيُّ كما عند البزار (٢٤٧/١ ح١٣٧) والطبراني في الدعاء (٥١٩/١ ح١٨٥٠) والترغيب في فضائل الأعمال لابن شاهين (ص:٥٦ ح١٥٤) والبيهقي في الشعب (٩٣/٢ ح٥٦٧، ٣٧٨٦) وأبو نعيم في المعرفة (٥٦/١ ح٢١٦) وعثمان هذا صدوق كما قال الحافظ في التقريب (ص: ٣٨٣)، ولعل هذا هو الذي جعل العراقي لم يُعل الحديث إلا بابن الصهباء فقال في تخريج أحاديث الإحياء (ص: ٣٥٠): أخرجه البُخَارِيّ فِي التَّارِيخ وَالْبَزَّار فِي الْمسند وَالْبَيْهَقِيّ فِي الشّعب من حَدِيث عمر بن الْخطاب وَفِيه صَفْوَان بن أبي الصَّهباء، ذكره ابْن حبَان فِي الضُّعَفَاء وَفِي الثِّقَات أَيْضاً.

وروي من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ:

أخرجه الترمذي، أبواب فضائل القرآن، بَابٌ (١٨٤/٥ ح٢٩٢٦) بلفظ "يَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ عَنْ ذِكْرِي وَمَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ، وَفَضْلُ كَلَامِ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الكَلَامِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ "، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.=

=وأخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١٤٩/١ ح١٢٨)، والدارمي في الرد على الجهمية (ص: ١٥٩، ١٨٦، ح٢٨٦، ٣٣٩)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٤٨/٤) في ترجمة مُحَمَّد بن الْحَسَنِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ الْهَمْدَانِي، وقال: وَلَا يُتَابَعُ عَلَيْهِ، والطبراني في الدعاء (ص: ٥١٩ ح١٨٥١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥٨١/١ ح٥٠٧) وقال: قُلْتُ: تَابَعَهُ الْحَكَمُ بْنُ بَشِيرٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ.

كلهم من طرق عن مُحَمَّد بن الْحَسَنِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ الْهَمْدَانِي، عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ، عَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ... الحديث، ولفظ العقيلي «مَنْ شَغَلَهُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ عَنْ دُعَائِي وَسَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ ثَوَابِ الشَّاكِرِينَ»، ولفظ الطبراني «مَنْ شَغَلَهُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ وَذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ».

قلت: قول الترمذي حسن غير حسن؛ فإن فيه مُحَمَّد بن الحَسَنِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ الهَمْدَانِي، قال أحمد ويعقوب بن سفيان وابن حبان: ضعيف، وقال أحمد مرة: ما أراه يسوى شيئاً، وقال الآجري عن أبي داود: ضعيف بلغني عن أحمد أنه قال: لم يسمع حديثاً، وثب على كتب أبيه،

وقال أبو داود في موضع آخر: كذاب وثب على كتب أبيه، وقال ابن معين: ليس بثقة، وقال مرة: يكذب، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، وقال النسائي: متروك، وقال الدارقطني: لا شيء، وقال ابن عدي: مع ضعفه يكتب حديثه، وذكره العقيلي في الضعفاء وأعل حديث الباب به، وقال الذهبي: حسَّن الترمذي حديثه فلم يُحْسن، وقال مرة: ضعفه جمَاعَة وَقَالَ النَّسَائِيّ مَتْرُوك الحَدِيث وَكذبه ابْن مِعِين، وقال مرة: واه جداً، وقال الحافظ: ضعيف، انظر: الكامل لابن عدي (٣٧٤/٧)، ميزان الاعتدال (٥١٥/٣)، المغني (٥٦٨/٢)، السير (٣٠٤/٩)، تهذيب التهذيب (١٢٠/٩)، التقريب (ص: ٤٧٤).

وفي الإسناد أيضاً عطية وهو العوفي (قال الذهبي: ضعفوه، وقال مرة: مجمع على ضعفه، وقال الحافظ: صدوق يخطىء كثيراً وكان شيعياً مدلساً)، انظر: الكاشف (٢٧/٢)،المغني (٤٣٦/٢)، تهذيب التهذيب (٢٢٤/٧)، التقريب (ص:٣٩٣).

وقال أبو حاتم في العلل (٦٩٠/٤) وسئل عن حديث أبي سعيد ﷺ: هَذَا حديثٌ مُنكَرٌ، ومحمدُ بْنُ الْحَسَنِ لَيْسَ بالقَوِيّ ا.ه.

وروي من حديث حذيفة ﷺ:

أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣١٣/٧) وقال: غَرِيبٌ، تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو مُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، وابن عساكر في فضيلة ذكر الله تعالى (ص:٢٦ ح٥) وقال: هذا حديث غريب تفرد به أبو مسلم الواقدي عن ابن عيينة هكذا.

قلت: هو عبد الرحمن بن واقد بن مسلم البغدادي، أبو مسلم الواقدي، أصله بصري، قال ابن الجنيد: سمعت ابن معين يقول: عبد الرحمن بن واقد أحفظ لكتاب عباس بن الفضل في القراءات من أبي موسى الهروي، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن عدي: حدث بالمناكير عن الثقات وسرق الحديث،=

=وقال الذهبي: وثّقه ابن حِبّان وغيره، وقال الحافظ: صدوق يغلط، انظر: الثقات (٨٣/٧)، تاريخ الإسلام (١١٦٩/٥)، تهذيب التهذيب (٢٩٢/٦)، التقريب (ص:٣٥٢).

والخلاصة: أن طرق الحديث كلها ضعيفة وبمجموعها يكون للحديث أصلاً ولعله يكون حسناً إن شاء الله تعالى، على أن معناه غير مستنكر؛ ففي قول الله تعالى في سور الأنفال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ ما

يشير إلى أن الذكر في أحلك الظروف وهو قتال الأعداء سبب للنصر وحصول المطلوب قال الحافظ ابن كثير عند تفسير هذه الآية (٦٣/٤): فَأَمَرَ تَعَالَى بِالثَّبَاتِ عِنْدَ قِتَالِ الْأَعْدَاءِ وَالصَّبْرِ عَلَى مُبَارَزَتِهِمْ، فَلَا يَفِرُّوا وَلَا يَنْكُلُوا وَلَا يَجْبُنُوا، وَأَنْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِي تِلْكَ الْحَالِ ولا ينسوه، بل يستعينوا به ويتوكلوا عَلَيْهِ وَيَسْأَلُوهُ النَّصْرَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ ا.ه، وكذا يدل لهذا المعني الحديث السابق المتفق عليه من حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) في دعاء الكرب، وقد تقدم قريباً، وقد فصل ابن القيم في هذا المعني في تفسيره (ص: ٢٥٨) وبين أن الدعاء قسمان: دعاء طلب ومسألة ودعاء ثناء، وبين أن نفس الحمد والثناء متضمن لأعظم الطلب وهو طلب المحب، فهو دعاء حقيقة، بل أحق أن يسمى دعاء من غيره من أنواع الطلب الذي هو دونه، ثم قال: والمقصود أن كل واحد من الدعاء والذكر يتضمن الآخر ويدخل فيه، وكذا الطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير (٨٥/١٢) فقال عند تفسير قوله تعالى في سورة هود "وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ": الِاقْتِصَارُ عَلَى هَذِهِ الْجُمَلِ الثَّلَاثِ فِي مَقَامِ الدُّعَاءِ تَعْرِيضٌ بِالْمَطْلُوبِ لِأَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْهُ، وَذَلِكَ ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوبِ التَّأَدُّبِ وَالتَّرَدُّدِ فِي الْإِقْدَامِ عَلَى الْمَسْئُولِ اسْتِغْنَاءً بِعِلْمِ الْمَسْئُولِ كَأَنَّهُ يَقُولُ: أَسْأَلُكَ أَمْ أَتْرُكُ، كَقَوْلِ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ:

أَأَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي ... حَيَاؤُكَ أَنَّ شِيمَتَكَ الْحَيَاءُ

وَمَعْنَى أَحْكَمُ الْحاكِمِينَ أَشَدُّهُمْ حُكْمًا، وَاسْمُ التَّفْضِيلِ يَتَعَلَّقُ بِمَاهِيَّةِ الْفِعْلِ، فَيُفِيدُ أَنَّ حكمه لَا يجور وَأَنَّهُ لَا يُبْطِلُهُ أَحَدٌ ا.ه، قلت: وينظر كلام المفسرين في تفسير قوله تعالى "دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" لا سيما تفسير ابن كثير (٢١٨/٤ وما بعدها)، فتأمل كيف أنه سبحانه جعل دعاءهم وسؤالهم هو قولهم "سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ"، ثم ختمه بقوله عنهم "وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"، وهذا ثناء محض على الله جل وعلا، وقد قال أبو العباس ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٦٣/١٠، ٢٦٤): جِنْسَ الدُّعَاءِ الَّذِي هُوَ ثَنَاءٌ وَعِبَادَةٌ أَفْضَلُ مِنْ جِنْسِ الدُّعَاءِ الَّذِي هُوَ سُؤَالٌ وَطَلَبٌ، وَإِنْ كَانَ الْمَفْضُولُ قَدْ يَفْضُلُ عَلَى الْفَاضِلِ فِي مَوْضِعِهِ الْخَاصِّ، بِسَبَبٍ وَبِأَشْيَاءَ أُخَرَ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ أَفْضَلُ مِنْ الْقِرَاءَةِ، وَالْقِرَاءَةَ أَفْضَلُ مِنْ الذِّكْرِ الَّذِي هُوَ ثَنَاءٌ، وَالذِّكْرَ أَفْضَلُ مِنْ الدُّعَاءِ الَّذِي هُوَ سُؤَالٌ، وَمَعَ هَذَا فَالْمَفْضُولُ لَهُ أَمْكِنَةٌ وَأَزْمِنَةٌ وَأَحْوَالٌ يَكُونُ فِيهَا أَفْضَلَ مِنْ الْفَاضِلِ، لَكِنَّ أَوَّلَ الدِّينِ وَآخِرَهُ وَظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ هُوَ التَّوْحِيدُ، وَإِخْلَاصُ الدِّينِ كُلِّهِ لِلَّهِ هُوَ تَحْقِيقُ قَوْلِ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ.

قَالَ: وَقَالَ أُمَيَّةُ بن أَبِي الصَّلْتِ فِي مَدْحِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ:

أَأَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي ... حَيَاؤُكَ إِنَّ شِيمَتَكَ الْحَيَاءُ

إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا ... كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِكَ الثَّنَاءُ

قَالَ سُفْيَانُ: فَهَذَا مَخْلُوقٌ حِينَ نُسِبَ إِلَى الْكَرَمِ اكْتَفَى بِالثَّنَاءِ عَنِ السُّؤَالِ فَكَيْفَ بِالْخَالِقِ[1].

الثالثة: مناسبة التهليل والثناء على الله في استجابة الدعاء بتفريج الكرب.

قال الطيبي: صدر هذا الثناء بذكر الرب ليناسب كشف الكرب لأنه مقتضى التربية، وفيه التهليل المشتمل على التوحيد، وهو أصل التنزيهات الجلالية والعظمة التي تدل على تمام القدرة والحلم الذي يدل على العلم إذ الجاهل لا يتصور منه حلم ولا كرم، وهما أصل الأوصاف الإكرامية. وقال القسطلاني أخذاً عن ابن القيم: قد صدر هذا الثناء بذكر الرب ليناسب كشف الكرب لأنه مقتضى التربية ووصف الرب تعالى بالعظمة والحلم وهما صفتان مستلزمتان لكمال القدرة والرحمة والإحسان والتجاوز ووصفه بالكمال والربوبية للعالم العلوي والسفلي والعرش الذي هو سقف المخلوقات وأعظمها والربوبية التامة تستلزم توحيده، وإنه الذي لا تنبغي العبادة والحب والخوف والرجاء والإجلال والطاعة إلا له، وعظمته المطلقة تستلزم إثبات كل كمال له، وسلب كل نقص وتمثيل عنه، وحلمه يستلزم كمال رحمته وإحسانه إلى خلقه، فعِلْم القلب ومعرفته بذلك توجب محبته وإجلاله وتوحيده، فيحصل له من الابتهاج واللذة والسرور ما يدفع عنه ألم الكرب والهم والغم، وأنت تجد المريض إذا ورد عليه ما يسره ويفرحه ويقوي نفسه، كيف تقوى الطبيعة على دفع المرض الحسي، فحصول هذا الشفاء للقلب أولى وأحرى، فإذا قابلت بين ضيق الكرب وسعة هذه الأوصاف، التي تضمنها دعاء الكرب المذكور في هذا الحديث،

([1]) فتح الباري (١١/١٤٧).

وجدته في غاية المناسبة لتفريج هذا الضيق، وخروج القلب منه إلى سعة البهجة والسرور، وهذه الأمور إنما يصدق بها من أشرقت فيه أنوارها وباشر قلبه حقائقها – انتهى[1].

الرابعة: مواقف عملية في تفريج الكرب بهذا الدعاء:

ومما ظهر من المبشرات في فضل الذكر والأدعية السالفة الذكر، قال الفربري الرَّاوِي عَنِ الْبُخَارِيّ: أَجْرَيْتُ هَذَا الذِّكْرَ السالف في حديث عبادة ﷺ عَلَى لِسَانِي عِنْدَ انْتِبَاهِي ثُمَّ نِمْتُ،

فَأَتَانِي آتٍ فَقَرَأَ (وَهُدُوا إِلَى الطّيب من القَوْل)الْآيَةَ[2] .، وفي هذا السياق يقول ابن بَطَّالٍ حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ قَالَ كُنْتُ بِأَصْبَهَانَ عِنْدَ أَبِي نُعَيْمٍ أَكْتُبُ الْحَدِيثَ وَهُنَاكَ شَيْخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ مَدَارُ الْفُتْيَا فَسُعِيَ بِهِ عِنْدَ السُّلْطَانِ فَسُجِنَ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ وَجِبْرِيلُ عَنْ يَمِينِهِ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ بالتسبيح لَا يفتر فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: قُلْ لِأَبِي بَكْرِ بْنِ عَلِيٍّ يَدْعُو بِدُعَاءِ الْكَرْبِ الَّذِي فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ حَتَّى يُفَرِّجَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: فَأَصْبَحْتُ فَأَخْبَرْتُهُ فَدَعَا بِهِ فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا قَلِيلاً حَتَّى أُخْرج انْتهى[3].

وأخرج ابن أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ الْفَرَجِ بَعْدَ الشِّدَّةِ لَهُ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: كَتَبَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ حِبَّانَ الْمُرِّيِّ: انْظُرْ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ فَاجْلِدْهُ مِائَةَ جَلْدَةٍ، وَقِفْهُ لِلنَّاسِ يَوْمًا، وَلَا أَرَانِي إِلَّا قَاتِلَهُ، قَالَ: فَبَعَثَ إِلَيْهِ، فَجِيءَ بِهِ وَالْخُصُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ، فَقَالَ: يَا أَخِي، تَكَلَّمْ بِكَلِمَاتِ الْفَرَجِ يُفَرِّجِ اللَّهُ عَنْكَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: فَقَالَهَا، فَانْفَرَجَتْ فُرْجَةٌ مِنَ الْخُصُومِ فَرَآهُ، فَقَالَ: أَرَى وَجْهَ رَجُلٍ قَدْ قُرِفَتْ عَلَيْهِ كَذِبَةٌ، خَلُّوا سَبِيلَهُ، أَنَا كَاتِبٌ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

([1]) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١٦٢/٨).

([2]) فتح الباري لابن حجر (٤١/٣) ،التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٩/ ١٣٣).

([3]) فتح الباري لابن حجر (١٤٧/١١).

بِعُذْرِهِ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبُ[1] وهذه بعض المبشرات التي يظهرها الله تعالى تصديقاً لكلامه تبارك وتعالى وسنة نبيه ﷺ وما أكثرها في سلف الأمة.

سابعاً: التسبيح عند التعجب:

كان من عادة العرب التسبيح عند التعجب والفزع[2]، وَلَفْظَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ لِإِرَادَةِ التَّعَجُّبِ كَثِيرَةٌ فِي الْحَدِيثِ[3]، وهو شيء حسن أن يجري الذكر على لسان الإنسان في أحواله المختلفة فيؤجر عليه بدلاً من تلك الألفاظ التي حلت محل الذكر على ألسنة الناس في واقعنا الذي نعيشه، وقد ورد ذلك من قول النبي ﷺ وصحابته الكرام فمن أمثلته عن النبي ما في الصحيح عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الفِتَنِ، وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الخَزَائِنِ، أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الحُجَرِ، فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ[4]».

([1]) أخرجه ابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة (ص: ٦٦ أثر ٦٤) بإسناد حسن؛ فيه شيخ ابن أبي الدنيا محمد ابن الحسين البرجلانى، قال الذهبي في الميزان (٥٢٢/٣): صاحب كتاب الرقائق. يروي عن حسين الجعفي، وأزهر السمان، وخلق. وعنه ابن أبي الدنيا، وابن مسروق، أرجو أن يكون لا بأس به، ما رأيت فيه توثيقاً ولا تجريحاً، لكن سئل عنه إبراهيم الحربى، فقال: ما علمت إلا خيراً. توفى البرجلانى سنة ثمان وثلاثين ومائتين، وفيه شريك بن عبد الله النخعي الكوفي القاضي بواسط ثم الكوفة، أبو عبد الله، قال الحافظ في التقريب (ص: ٢٦٦): صدوق يخطىء كثيراً تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة وكان عادلاً فاضلاً عابداً شديداً على أهل البدع) فيحسن له مثل هذا، وهو من رجال مسلم، انظر: رجال صحيح مسلم لابن منجويه (٣٠٩/١).

([2]) عون المعبود وحاشية ابن القيم (١٧٥/١).

([3]) شرح صحيح مسلم للنووي (١٠/٣).

([4]) أخرجه البخاري، كتاب العلم، بَابُ العِلْمِ وَالعِظَةِ بِاللَّيْلِ (٣٤/١ ح١١٥)، وفي كتاب الأدب، بَابُ التَّكْبِيرِ وَالتَّسْبِيحِ عِنْدَ التَّعَجُّبِ (٤٨/٨ ح٦٢١٨).

قوله: «سُبْحَانَ اللَّهِ »: [أي قال متعجبًا: سبحان الله، ماذا أنزل الليلة؟ ما استفهامية متضمنة لمعنى التعجب والتعظيم][1] قال ابن حجر: وَفِي الْحَدِيثِ جَوَازُ قَوْلِ سُبْحَانَ اللَّهِ عِنْدَ التَّعَجُّبِ وَنَدْبِيَّةُ ذِكْرِ اللَّهِ بَعْدَ الِاسْتِيقَاظِ[2].

وحديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَقِيَهُ فِي بَعْضِ طَرِيقِ المدِينَةِ وَهُوَ جُنُبٌ، فَانْخَنَسْتُ مِنْهُ، فَذَهَبَ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: «أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ» قَالَ: كُنْتُ جُنُبًا، فَكَرِهْتُ أَنْ أُجَالِسَكَ وَأَنَا عَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، إِنَّ المسْلِمَ لاَ يَنْجُسُ»[3] وَقَوْلُهُ سُبْحَانَ اللَّهِ تَعَجَّبَ مِنِ اعْتِقَادِ أَبِي هُرَيْرَةَ التَّنَجُّسَ بِالْجَنَابَةِ أَيْ كَيْفَ يَخْفَى عَلَيْهِ هَذَا الظَّاهِرُ[4].

وحديث عَائِشَةَ، أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ غُسْلِهَا مِنَ المحِيضِ، فَأَمَرَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ، قَالَ: «خُذِي فِرْصَةً مِنْ مَسْكٍ، فَتَطَهَّرِي بِهَا» قَالَتْ: كَيْفَ أَتَطَهَّرُ؟ قَالَ: «تَطَهَّرِي بِهَا»، قَالَتْ: كَيْفَ؟، قَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، تَطَهَّرِي» فَاجْتَبَذْتُهَا إِلَيَّ، فَقُلْتُ: تَتَبَّعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ[5].

([1]) شرح القسطلاني على صحيح البخاري (٢/٣١٢).

([2]) فتح الباري (١/٢١١).

([3]) أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب الغسل، بَابُ عَرَقِ الجُنُبِ، وَأَنَّ المُسْلِمَ لاَ يَنْجُسُ (١/٦٥ ح٢٨٣)، ومسلم، كتاب الحيض، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَنْجُسُ (١/٢٨٢ ح٣٧١).

([4]) فتح الباري (١/٣٩١).

([5]) أخرجه البخاري واللفظ له، كِتَابُ الحَيْضِ، بَابُ دَلْكِ المَرْأَةِ نَفْسَهَا إِذَا تَطَهَّرَتْ مِنَ المَحِيضِ، وَكَيْفَ تَغْتَسِلُ، وَتَأْخُذُ فِرْصَةً مُمَسَّكَةً، فَتَتَّبِعُ أَثَرَ الدَّمِ (١/٧٠ ح٣١٤)، ومسلم، كتاب الحيض، بَابُ اسْتِحْبَابِ اسْتِعْمَالِ الْمُغْتَسِلَةِ مِنَ الْحَيْضِ فِرْصَةً مِنْ مِسْكٍ فِي مَوْضِعِ الدَّمِ (١/٢٦٠ ح٣٣٢).

قال ابن حجر: وَكِلَاهُمَا مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ يعنى قوله سبحان الله في الحديثين، وقال: وَقَدْ وَرَدَتْ عِدَّةُ أَحَادِيثَ صَحِيحَةٍ فِي قَوْلِ سُبْحَانَ اللَّهِ عِنْدَ التَّعَجُّبِ...[1].

ومن أمثلته في الصحابة حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلاَةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: " بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا، إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ " فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ بَقَرَةٌ تَكَلَّمُ، فَقَالَ: " فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا، أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، - وَمَا هُمَا ثَمَّ - وَبَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ إِذْ عَدَا الذِّئْبُ، فَذَهَبَ مِنْهَا بِشَاةٍ، فَطَلَبَ حَتَّى كَأَنَّهُ اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ،

فَقَالَ لَهُ الذِّئْبُ هَذَا: اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي، فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ، يَوْمَ لاَ رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي " فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ، قَالَ: «فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَمَا هُمَا ثَمَّ»[2].

قوله: (فقال الناس) متعجبين، (سبحان الله)[3] أي من ذلك الفعل والقول الذي يدعو إلى العجب، ولا تكاد العقول تصدقه، ولذلك أخبرهم النبي ﷺ أنه يؤمن بذلك ويصدقه هو وأبو بكر وعمر، ومن هما في الناس؟.

وعَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ، هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللهِ لَقَدْ قَفَّ شَعَرِي لِمَا قُلْتَ." [4] قال النووي: أَمَّا قَوْلُهَا سُبْحَانَ اللَّهِ فَمَعْنَاهُ التَّعَجُّبُ مِنْ جَهْلِ مِثْلِ هَذَا وَكَأَنَّهَا تَقُولُ كَيْفَ يَخْفَى عَلَيْكَ مِثْلُ هَذَا وَلَفْظَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ لِإِرَادَةِ التَّعَجُّبِ كَثِيرَةٌ فِي

---

(1) فتح الباري (١٠/٥٩٩).

(2) أخرجه البخاري، كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، باب حديث الغار (٤/١٧٤ ح٣٤٧١) واللفظ له، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ (٤/١٨٥٨ ح٢٣٨٨).

(3) شرح القسطلاني على صحيح البخاري (٥/٤٣٢).

(4) أخرجه مسلم ،كتاب الإيمان، بَابُ مَعْنَى قَوْلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى} وَهَلْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ (١/١٦٠ ح٢٨٦).

الْحَدِيثِ وَكَلَامِ الْعَرَبِ ... وَمِمَّنْ ذَكَرَ مِنَ النَّحْوِيِّينَ أَنَّهَا مِنْ أَلْفَاظِ التَّعَجُّبِ أَبُو بَكْرِ بْنُ السَّرَّاجِ وَغَيْرُهُ وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ فِي التَّعَجُّبِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ[1].

وكذلك قول عبد الله بن سلام ﷺ في الحديث الذى رواه قَيْسُ بْنُ عُبَادٍ قال: كُنْتُ فِي حَلْقَةٍ فِيهَا سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ وَابْنُ عُمَرَ، فَمَرَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ، فَقَالُوا: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ قَالُوا كَذَا وَكَذَا، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَقُولُوا مَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ ... الحديث[2]، وورود سبحان الله عند التعجب في كلام الصحابة كثير و ذكر ابن حجر أن فِي الصَّحِيحَيْنِ منه عن جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ كَحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ[3].

ثامناً: التسبيح في دعاء السفر:

كان النبي ﷺ دائم الذكر والتسبيح في سائر أوقاته وفي جميع أحواله وأموره، وحول هذا المعنى يقول صاحب الافصاح: لم يكن ﷺ ليغفل عن ربه في حال سفره، ولا في حال قدومه، ولا مقامه ولا ظعنه؛ ولا ليله ولا نهاره، وكان في كل حال من حاله له ذكر يخصه، وهكذا ينبغي لكل مسلم[4]، وفي هذا الجانب ورد عنه ﷺ أنه كان يكبر ويسبح ويحمد الله تعالى عند استوائه على راحلته عند إرادة الخروج للسفر؛

امتثالاً لأمر ربه، في قوله تعالى " **وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ**

---

(1) شرح صحيح مسلم للنووي (١٠/٣).

(2) أخرجه البخاري، كتاب التعبير، بَابُ الخُضَرِ فِي المَنَامِ، وَالرَّوْضَةِ الخَضْرَاءِ (٣٦/٩ ح٧٠١٠)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ ﷺ (١٩٣١/٤ ح٢٤٨٤).

(3) ينظر فتح الباري (٥٩٩/١٠).

(4) الإفصاح عن معاني الصحاح (٢٨٤/٤).

وَتَقُولُواْ سُبۡحَانَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾"[1].

روى مسلم بسنده عن أَبِي الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَلِيًّا الْأَزْدِيَّ، أَخْبَرَهُ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ عَلَّمَهُمْ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ، كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا، وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ»، وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ: «آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»[2].

وعثاء السفر: هي شدته، وكآبة المنظر: سوء الهيئة والانكسار من الحزن، والمنقلب: هو الرجوع[3].

وروى البخاري عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: " صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ مَعَهُ بِالْمَدِينَةِ الظُّهْرَ أَرْبَعًا، وَالعَصْرَ بِذِي الحُلَيْفَةِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ بَاتَ بِهَا حَتَّى أَصْبَحَ، ثُمَّ رَكِبَ حَتَّى اسْتَوَتْ بِهِ عَلَى البَيْدَاءِ، حَمِدَ اللَّهَ وَسَبَّحَ وَكَبَّرَ، ثُمَّ أَهَلَّ بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ، ...."[1].

([1]) سورة الزخرف، الآيات (١٢، ١٣، ١٤).

([2]) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره (٩٧٨/٢ح ١٣٤٢)، وأخرجه البخاري، كتاب الدعوات، بَابُ الدُّعَاءِ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَوْ رَجَعَ (٨٢/٨ ح٦٣٨٥) مختصراً.

([3]) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره (٩٧٨/٢ ح١٣٤٢).

في الحديثين فوائد:

الأولى: تظهر الأحاديث أنه ينبغي لمن كان على سفر أن يُسَلم أمره كله لله وأن يكبر الله ويسبحه ليستذكر أن كل شيء في محيط قدرة الله تعالى وإرادته، وأن يسأله سبحانه أن يكون عمله مَرْضياً مبروراً، وأن يستعيذ بالله من كل شيء مكروه يخافه في سفره، وأن يعلن أنه في مَعِية الله تعالى وأن يستودع الله تبارك وتعالى أهله وماله من ورائه، ويستذكر العود إلى الله وأنه إليه المنقلَب فتهون عليه الدنيا ويرضى بما قسم الله له في سفره.

وحول هذه المعاني والأسرار يقول صاحب الإفصاح: إنه عليه السلام لما كبر ثلاثًا شرع التكبير لكل مسافر عند توجهه إليه ليصدم بقوله: (الله أكبر) ما يتهجسه في سره من هذه المشقة، وحوادث السفر، وأخطاره والبعد عن الوطن وأنهاره، فاستعان على ذلك كله بتكرير التكبير، فإنه إذا قال: (الله أكبر) عندما يتهجسه من مخاوف السفر صَغُر كل ذلك، وكل كثير منها عند قول المؤمن: (الله أكبر)، ولذلك إذا ذكر ما وراءه من الأهل والوطن ورأى أن سفره لله في سبيله، فقال: (الله أكبر مما نزلت وأرى، والله أكبر مما أخاف من بين يدي) فقد تدرع بدرع حصينة في ذلك، فأما تكريره التكبير ثلاثًا: فواحدة لما بين يديه، وواحدة لما وراءه، وواحدة لحاله في نفسه[٢].

الثانية: مناسبة التحميد والتسبيح في دعاء السفر:

إن من أَجَل ما أنعم الله به على عبده أن وضع عنه المشقة في أسفاره فذلل له من الفلك والأنعام وغيرها مما يركبه ويتنقل عليه وهذا يستوجب شكر الله وحمده على إفضاله وإنعامه، كما أن في تسخير الله تعالى تلك الدواب للعبد يقودها ويتحكم فيها بسهولة

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب التَّحْمِيدِ وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ، قَبْلَ الإِهْلاَلِ، عِنْدَ الرُّكُوبِ عَلَى الدَّابَّةِ (١٣٩/٢ ح١٥٥١)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا (٤٨٠/١ ح٦٩٠).

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح (٢٨٤/٤).

ويسر لآية من آيات الله الدالة على قدرته في خلقه، الأمر الذى يوجب تنزيهه وتسبيحه على كل حال، وحول هذا المعنى يقول صاحب الإفصاح:

قوله: {سبحان الذي سخر لنا هذا} أي ذلل لنا هذا المركوب، وذلك أن أول نعم الأسفار أن ذلل الله تعالى حيوانًا ذا أبد[1] يحمل نقل الآدميين ولا يتجاوز أبده إلى الحد الذي يقهر راكبه، فجعل الله عز وجل ما سخر من الدواب بقوة تنفع راكبها ولا تبلغ إلى الحد الذي يقهره عن إذلاله[2].

الثالثة: مناسبة قوله {وإنا إلى ربنا لمنقلبون} في دعاء السفر:

يقول صاحب الإفصاح: إنه لما توجه إلى السفر كان من أعظم الأشياء خطورًا في قلبه ذكر انقلابه إلى أهله في الغالب، فأنزل الله عز وجل ما أنزل في هذه الآية من ذكره، أو يقال: إن المؤمنين إذا ذكروا منقلبهم إلى ربهم كان ذلك متلاشيًا معه ذكر ميلهم إلى أهلهم وأوطانهم في هذه الدنيا، ولذلك فلم يقل الله: فإنا إلى مواطننا في الآخرة منقلبون؛ لأن تلك المواطن مخلوقة أيضًا فأنزل الله سبحانه، وإنما إلى ربنا لمنقلبون أي حالتنا إذ لا مساواة بين الخالق والمخلوق عند المؤمن في حال[3].

الرابعة: استعاذة المسافر مما يتوقعه من المكروه:

يقول صاحب الإفصاح: ألا تراه ﷺ بعدما كرره من التكبير الذي هدم به كل خاطر يعرض من الوسواس فيما بين يدي المسافر وما وراءه، وذكر الإيمان بالمنقلب إلى الآخرة

---

(1) (أَبَدَ) الْهَمْزَةُ وَالْبَاءُ وَالدَّالُ يَدُلُّ بِنَاؤُهَا عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ، وَعَلَى التَّوَحُّشِ. وَتَأَبَّدَ الْبَعِيرُ تَوَحَّشَ. مقاييس اللغة (١/٣٤).

(2) الإفصاح عن معاني الصحاح (٤/٢٨٤).

(3) الإفصاح عن معاني الصحاح (٤/٢٨٤).

بعد شكر الله على ما سخر له من الدواب أتبع ذلك بأن قال (أعوذ بك من وعثاء السفر)، وعثاء السفر: هي شدته[1].

تاسعاً: التكبير في المرتفعات والتسبيح في المنخفضات:

في صحيح البخاري عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: «كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا[2]».

وعن حكمة التكبير في المرتفع والتسبيح في المنخفض يقول ابن الملقن: وتكبيره ﷺ عند إشرافه على الجبال استشعارٌ لكبرياء الله عندما تقع عليه العين من عظيم خلقه أنه أكبر من كل شيء، وأما تسبيحه في بطون الأودية فهو مستنبط من قصة يونس – عليه السلام – وتسبيحه في بطن الحوت. قَالَ تعالى: {فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤)} [الصافات: ١٤٣ – ١٤٤] فنَجَّاه الله تعالى بذلك من الظلمات، فامتثل الشارع هذا التسبيح في بطون الأودية؛ لينجيه الله منها ومن أن يدركه عدو، وقيل: معنى تسبيحه هنا في ذَلِكَ، أنه لما كان التكبير لله تعالى عند رؤية عظيم مخلوقاته وجب أن يكون فيما انخفض من الأرض تسبيح لله تعالى؛ لأن التسبيح في اللغة: تنزيه الله تعالى من النقائص كالولد والشريك والصاحبة ، فسبحان الله: براءته من ذلك"[3].

وازداد المعنى وضوحاً بقول الحافظ ابن حجر: "وَقِيلَ مُنَاسَبَةُ التَّسْبِيحِ فِي الْأَمَاكِنِ الْمُنْخَفِضَةِ مِنْ جِهَةِ أَنَّ التَّسْبِيحَ هُوَ التَّنْزِيهُ فَنَاسَبَ تَنْزِيهَ اللَّهِ عَنْ صِفَاتِ الِانْخِفَاضِ كَمَا نَاسَبَ تَكْبِيرُهُ عِنْدَ الْأَمَاكِنِ الْمُرْتَفِعَةِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِ جِهَتَيِ الْعُلُوِّ وَالسُّفْلِ مُحَالٌ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُوصَفَ بِالْعُلُوِّ لِأَنَّ وَصْفَهُ بِالْعُلُوِّ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى وَالْمُسْتَحِيلُ كَوْنُ ذَلِكَ مِنْ جِهَةِ

(1) الإفصاح عن معاني الصحاح (٤/٢٨٣).

(2) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، بَابُ التَّسْبِيحِ إِذَا هَبَطَ وَادِيًا (٤/٥٧ ح٢٩٩٣).

(3) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٨/١٣٥).

الْحِسِّ وَلِذَلِكَ وَرَدَ فِي صِفَتِهِ الْعَالِي وَالْعَلِيُّ وَالْمُتَعَالِي وَلَمْ يَرِدْ ضِدُّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ علما جلّ وَعز"[1].

عاشراً: التسبيح قبل النوم.

ينبغي للمسلم في نهاية يومه وقبل نومه إذا أَوَى إلى فراشه أن يتقرب إلى الله ﷻ بالذكر والتسبيح ليختم أعمال يومه بطاعة الله تعالى، وفى هذا الجانب ورد عنه ﷺ الأمر بالتسبيح قبل النوم.

ففي الحديث المتفق عليه عن علي ﷺ أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلاَمُ، شَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحَا، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ سَبْيٌ، فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ، فَوَجَدَتْ عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْتُ لِأَقُومَ، فَقَالَ: «عَلَى مَكَانِكُمَا»، فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، وَقَالَ: «أَلاَ أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِي، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا تُكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، وَتُسَبِّحَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَتَحْمَدَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ»، وفي رواية للبخاري "... فَكَبِّرَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَسَبِّحَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، فَهَذَا خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ، وفي بعض الروايات قِيلَ لَهُ: وَلَا لَيْلَةَ صِفِّينَ؟ قَالَ: وَلَا لَيْلَةَ صِفِّينَ[2]».

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أيضاً، أخرجه الترمذي، قَالَ ﷺ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "خَلَّتَانِ لَا يُحْصِيهِمَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ،

---

(1) فتح الباري لابن حجر (٦/١٣٦).

(2) أخرجه البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ، بَابُ مَنَاقِبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ القُرَشِيِّ الهَاشِمِيِّ أَبِي الحَسَنِ ﷺ (٥/١٩ ح٣٧٠٥)، وفي كتاب الدعوات، بَابُ التَّكْبِيرِ وَالتَّسْبِيحِ عِنْدَ المَنَامِ (٨/٧٠ ح٦٣١٨)، ومسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ التَّسْبِيحِ أَوَّلَ النَّهَارِ وَعِنْدَ النَّوْمِ (٤/٢٠٩١ ح٢٧٢٧).

أَلَا وَهُمَا يَسِيرٌ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ: يُسَبِّحُ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَيَحْمَدُهُ عَشْرًا، وَيُكَبِّرُهُ عَشْرًا "، قَالَ: فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَعْقِدُهَا بِيَدِهِ، قَالَ: «فَتِلْكَ خَمْسُونَ، وَمِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةٍ فِي الميزَانِ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ تُسَبِّحُهُ وَتُكَبِّرُهُ وَتَحْمَدُهُ مِائَةً، فَتِلْكَ مِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ فِي الميزَانِ، فَأَيُّكُمْ يَعْمَلُ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَلْفَيْنِ وَخَمْسَمِائَةِ سَيِّئَةٍ»؟ قَالُوا: فَكَيْفَ لَا نُحْصِيهَا؟ قَالَ: "يَأْتِي أَحَدَكُمُ الشَّيْطَانُ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ، فَيَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا، حَتَّى يَنْفَتِلَ، فَلَعَلَّهُ أَلَّا يَفْعَلَ، وَيَأْتِيهِ وَهُوَ فِي مَضْجَعِهِ، فَلَا يَزَالُ يُنَوِّمُهُ حَتَّى يَنَامَ[1]".

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ، فَلْيَأْخُذْ دَاخِلَةَ إِزَارِهِ، فَلْيَنْفُضْ بِهَا فِرَاشَهُ[2]، وَلْيُسَمِّ اللهَ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا خَلَفَهُ بَعْدَهُ عَلَى فِرَاشِهِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَضْطَجِعَ، فَلْيَضْطَجِعْ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، وَلْيَقُلْ: سُبْحَانَكَ اللهُمَّ رَبِّي بِكَ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ"، هذا لفظ مسلم، وفي رواية له وللبخاري "إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ

---

(1) أخرجه الترمذي، أبواب الدعوات، بَاب مَا جَاءَ فِي التَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ عِنْدَ الْمَنَامِ (٥/٣٥٠ ح٣٤١٠) واللفظ له، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وَقَدْ رَوَى شُعْبَةُ، وَالثَّوْرِيُّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، هَذَا الحَدِيثَ، وَرَوَى الأَعْمَشُ، هَذَا الحَدِيثَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ مُخْتَصَرًا وَفِي البَابِ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَأَنَسٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وأخرجه أيضاً ابن حبان، كتاب الصلاة، باب ذِكْر الْبَيَانِ بِأَنَّ مَا وَصَفْنَا مِنَ التَّسْبِيحِ، وَالتَّحْمِيدِ، وَالتَّكْبِيرِ، إِنَّمَا أُمِرَ بِاسْتِعْمَالِهِ فِي عَقِبِ الصَّلَاةِ لَا فِي الصَّلَاةِ نَفْسِهَا (٥/٣٥٤ ح٢٠١٢).

(2) قال النووي: "دَاخِلَةُ الْإِزَارِ" طَرَفُهُ وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ يستحب أَنْ يَنْفُضَ فِرَاشَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ لِئَلَّا يَكُونَ فِيهِ حَيَّةٌ أَوْ عَقْرَبٌ أَوْ غَيْرُهُمَا مِنَ الْمُؤْذِيَاتِ، وَلْيَنْفُضْ وَيَدُهُ مَسْتُورَةٌ بِطَرَفِ إِزَارِهِ لِئَلَّا يَحْصُلَ فِي يَدِهِ مَكْرُوهٌ إِنْ كان هناك، انظر: شرح صحيح مسلم (١٧/٣٧، ٣٨).

فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ، فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ[1]".

وكذلك ورد عنه ﷺ أنواع من الذكر قبل النوم فيها تسبيحه لله تعالى، ومن ذلك ما روى أبو داود عن عليٍّ ﷺ عن رسولِ الله ﷺ أنه كان يقولُ عندَ مَضجَعِه: "اللَّهُمَّ إني أعوذُ بوجْهكَ الكريم، وكلماتِك التامّةِ من شرِّ ما أنتَ آخذٌ بناصيتِه، اللهم أنتَ تَكشِفُ المغْرَمَ والمأثَمَ، اللَّهُمَ لا يُهْزَمُ جُنْدُكَ، ولا يُخلَفُ وعْدُك، ولا يَنفَعُ ذا الجَدِّ منك الجَدُّ، سبحانَك وبحمدِك"[2].

([1]) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، بَابُ التَّعَوُّذِ وَالقِرَاءَةِ عِنْدَ المَنَامِ (٨/٧٠ ح٦٣٢٠)، ومسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخْذِ الْمَضْجَعِ (٤/٢٠٨٤ ح٢٧١٤) واللفظ له.

((٢أخرجه أبو داود، أبواب النوم، باب ما يُقالُ عند النوم (٤/٣١٢ ح٥٠٥٢)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب النعوت، باب قَوْله سُبْحَانَهُ: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهَ} [القصص: ٨٨] (٧/١٥٤ ح٧٦٨٥) كلاهما من طريق الأحوص بن جوَّاب عن عَمَّار بن رُزَيْقٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْحَارِثِ، وَأَبِي مَيْسَرَةَ، عَنْ عَلِيٍّ ﷺ عن النبي ﷺ فذكر الحديث.

قلت: إسناده حسن؛ فيه الأحوص بن جوَّاب (بفتح الجيم وتشديد الواو) الضبي يكنى أبا الجواب الكوفي، قال ابن معين: ثقة، وقال مرة: ليس بذاك القوي، وقال أبو حاتم: صدوق، وقال ابن حبان في الثقات: كان متقناً ربما وهم، وقال الذهبي: صدوق، وقال الحافظ: صدوق ربما وهم ا.ه، قلت: ذكر ابن منجويه أن مسلماً روى له عَن عمار بن رُزَيْق فِي الْإِيمَان والبيوع والأطعمة وَسليمَان بن قرم فِي الْجَامِع، انظر: رجال صحيح مسلم (١/٨٤)، تهذيب التهذيب (١/١٩١)، الكاشف (١/٢٢٩)، التقريب (ص: ٩٦).

وقد تابع الأحوص بن جوَّاب في روايته عن عَمَّار بن رُزَيْقٍ أشعث بن سَوَّار عند أبي عبد الرحمن محمد بن فضيل بن غزوان بن جرير الضبي في كتاب الدعاء له (ص: ٢١٤ ح٤٩) وأشعث هذا قال عنه الحافظ في التقريب (ص: ١١٣): ضعيف، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/٩٧ ح٦٦٤) من طريق حماد بن عبد الرحمن الكلبي عن أبي إسحاق السبيعي عن

في الأحاديث فوائد:

الأولى: أذكار ما قبل النوم.

تظهر الأحاديث السالفة تنوع الذكر قبل النوم، كما أن هناك أنواعاً أخرى من الذكر قبل النوم قد وردت بها الأحاديث منها حديث البَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلاَةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، وَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَهْبَةً وَرَغْبَةً إِلَيْكَ،

لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مُتَّ عَلَى الفِطْرَةِ فَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ " فَقُلْتُ أَسْتَذْكِرُهُنَّ: وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. قَالَ: لاَ، «وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»(١).

وقد روى مسلم في صحيحه جملة من تلك الأحاديث في باب مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخْذِ الْمَضْجَعِ عن عبدالله بن عمر وأبى هريرة وأنس وفاطمة (رضي الله عنهم)(١).

أبيه عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قلت: حَمَّادُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الكلبي قال عنه الحافظ في التقريب (ص: ١٧٨): ضعيف، وعلى هذا فقول الطبراني في المعجم الصغير (١٨٥/٢ ح٩٩٨): لَمْ يَرْوِهِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ إِلَّا عَمَّارُ بْنُ زُرَيْقٍ ا.ه، فيه نظر، ثم قال البيهقي: رُوِّينَا هَذَا فِي بَابِ الْكَلَامِ مِنْ حَدِيثِ عَمَّارِ بْنِ رُزَيْقٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الْحَارِثِ وَأَبِي مَيْسَرَةَ، عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ إِسْنَادٌ صَحِيحٌ، فَأَبُو مَيْسَرَةَ عَمْرُو بْنُ شُرَحْبِيلَ مِنَ الثِّقَاتِ، وَمَنْ دُونَهُ كُلُّهُمْ ثِقَاتٌ. وَكَأَنَّ أَبَا إِسْحَاقَ سَمِعَهُ مِنْهُمَا وَمِنْ أَبِيهِ، إِنْ كَانَ حَمَّادُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَفِظَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ا.ه، والحديث صحح إسناده النووي في الأذكار (ص: ٨٠) .

((١ أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب إذا بات طاهراً وفضله (٨/ ٦٨ ح٦٣١١)، ومسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخْذِ الْمَضْجَعِ (٢٠٨١/٤ ح٢٧١٠).

فهذه أنواع من الذكر مختلفة في وقت واحد، وفي الجمع بينها يقول ابن بطال: قد يمكن أن يكون النبي – عليه السلام – يجمع ذلك كله عند نومه، وقد يمكن أن يقتصر منها على بعضها إعلامًا منه لأمته أن ذلك معناه الحض والندب، لا الوجوب والفرض[٢].

الثانية: فضل العمل للآخرة وإن كان قليلاً على أعمال الدنيا:

يظهر حديث علي ﷺ أن ثواب الأعمال الصالحة وإن قلَّت في الآخرة أفضل من أعظم كسب دنيوي فالتسبيح مع أنه عمل قليل يفضل خادماً يقوم على خدمة مالكه أو سيده ورعاية شؤونه، وفى هذا من التخفيف والترفيه لمالكه ما فيه، فكيف بالصلاة والحج وسائر الأعمال التي تستعمل فيها الأعضاء والبدن كله[٣].

الثالثة: الأوْلى في الذكر الدعاء باللفظ المأثور.

ذهب الْمَازِرِيُّ وَغَيْرُهُ إلى أن الذكر وَالدُّعَاءُ يَنْبَغِي فِيهِ الِاقْتِصَارُ عَلَى اللَّفْظِ الْوَارِدِ بِحُرُوفِهِ فَقَدْ يَتَعَلَّقُ الْجَزَاءُ بِتِلْكَ الْحُرُوفِ وَلَعَلَّهُ أُوحِي إلَيْهِ ﷺ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ فَيَتَعَيَّنُ أَدَاؤُهَا بِحُرُوفِهَا قال النووي: وَهَذَا الْقَوْلُ حَسَنٌ[٤].

وقال ابن حجر: أَلْفَاظ الْأَذْكَارِ تَوْقِيفِيَّةٌ وَلَهَا خَصَائِصُ وَأَسْرَارٌ لَا يَدْخُلُهَا الْقِيَاسُ فَتَجِبُ الْمُحَافَظَةُ عَلَى اللَّفْظِ الَّذِي وَرَدَتْ بِهِ وَهَو اخْتِيَارُ الْمَازِرِيِّ[٥].

الرابعة: الحكمة من الدعاء قبل النوم .

((١ صحيح مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخْذِ الْمَضْجَعِ (٤/٢٠٨١ ح٢٧١٠).

((٢شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/٨٨).

((٣شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥/٢٧٣) بتصرف.

((٤ شرح النووي على مسلم (١٧/٣٣).

((٥ فتح الباري لابن حجر (١١/ ١١٢) بتصرف.

إن من حكمة الدعاء عند إرادة النوم أَنْ تَكُونَ خَاتِمَةَ أَعْمَالِهِ، وَحِكْمَتُهُ إِذَا أَصْبَحَ أَنْ يَكُونَ أَوَّلُ عَمَلِهِ بِذِكْرِ التَّوْحِيدِ وَالْكَلِمِ الطَّيِّبِ[1].ويستفاد منه أن تلك الأذكار تقال قبل نومه بالليل، وبه وردت الأحاديث، ولا يمتنع في حق من كان يستغرق الليل كله في العمل وينام في النهار أن يقول أذكار ما قبل النوم في أول الليل، وأذكار الصباح في أول النهار عملاً بالهدْي النبوي موافقة لما يفعله النائم والمستيقظ في ذلك الوقت، على أنه يجوز لمن كان نومه نهاراً أن يقول هذه الأذكار قبل نومه، ويحمل ظاهر الحديث على أن الغالب من أحوال الناس النوم بالليل، والله أعلم.

حادي عشر: التسبيح في دعاء ختام المجلس.

ورد عنهﷺ أنه كان يدعو عند القيام من مجلسه بذكر مخصوص.

روى أبو داود عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ بِأَخَرَةٍ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلًا مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى، فَقَالَ: «كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ»[2].

وفى مسند أحمد عَنْ عَائِشَةَ (ﷺ) أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا جَلَسَ مَجْلِسًا، أَوْ صَلَّى، تَكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ، فَسَأَلَتْهُ عَائِشَةُ عَنِ الْكَلِمَاتِ، فَقَالَ: " إِنْ تَكَلَّمَ بِخَيْرٍ كَانَ طَابِعًا عَلَيْهِنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ تَكَلَّمَ بِغَيْرِ ذَلِكَ كَانَ كَفَّارَةً: سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ"[3].

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٧/٣٥).

(٢) أخرجه أبو داود، كِتَاب الْأَدَبِ، بَابٌ فِي كَفَّارَةِ الْمَجْلِسِ (٤/ ٢٦٥ ح٤٨٥٩)، وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٤١/ ٣٤ ح٢٤٤٨٦)، وإسناده صحيح.

وعنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ"[1].

أولاً: شرح غريب الحديث.

قوله: "بأخرة": بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالْخَاءِ أَيْ فِي آخِرِ جُلُوسِهِ أَوْ فِي آخِرِ عُمْرِهِ[2] .

وقوله: "سبحانك": أنزهك عن جميع النقائص والمعايب، وأصله من التسبيح؛ وهو التنزيه والتقديس[3].

وقوله : " أستغفرك": السين للطلب[4].

وقوله : " فِيمَا مَضَى": أَيْ مِنْ مُدَّةِ عُمْرِكَ[5].

وقوله : "كَفَّارَةٌ ": أَيْ هَذَا الْقَوْلُ كَفَّارَةٌ[6]، وَ(الكفارة) عِبَارَةٌ عَنِ الفَعْلة والخَصْلة الَّتي مِنْ شَأنها أَنْ تُكَفِّر الخَطيئة: أَيْ تَسْتُرها وَتَمْحُوها، وَهِيَ فَعَّالة للْمبالَغة، كَقَتَّالة وضَرَّابة، وَهِيَ

---

(1) أخرجه أحمد في المسند (١٦/ ٢٦١ ح١٠٤١٥) من طريق ابْنِ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، عَنْ سُهَيْلِ ابْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، والترمذي، أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَاب مَا يَقُولُ إِذَا قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ (٥/٤٩٤)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ، لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ سُهَيْلٍ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ».

والحاكم، كِتَابُ الدُّعَاءِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّسْبِيحِ وَالذِّكْرِ (١/٧٢٠)، وقال: هَذَا الْإِسْنَادُ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ إِلَّا أَنَّ الْبُخَارِيَّ قَدْ عَلَّلَهُ بِحَدِيثِ وُهَيْبٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ مِنْ قَوْلِهِ فَاللَّهُ أَعْلَمُ» وقال: وَلِهَذَا الْحَدِيثِ شَوَاهِدُ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، وَأَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ، وَرَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ.

(2) عون المعبود وحاشية ابن القيم (١٣/١٤٠).

(3) نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار (١٣/٤٨٩).

(4) المصدر السابق.

(5) عون المعبود وحاشية ابن القيم (١٣/١٤١).

(6) المصدر السابق في الموضع السابق.

مِنَ الصِّفات الغالِبَة فِي بَابِ الاسْمِية[1]، وتسمى كفارة المجلس لأنها ماحية لما يقع فيه من اللغط[2].

وقوله: "لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ" أَيْ مِنَ اللَّغْوِ[3].

قوله: "لغطه": اللَّغَطُ: صوتٌ وضَجَّة لَا يُفْهَم مَعْنَاهَا، وَقَدْ تَكَرَّرَ فِي الْحَدِيثِ[4].

ثانياً: الفوائد.

الأولى: كان النبي ﷺ يكثر أن يقول هذا الذكر في آخر عمره، استجابة لما أمره الله به في قوله تعالى: (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً).

يقول الحليمي: "كان ﷺ يكثر أن يقول ذلك بعد نزول سورة الفتح الصغرى عليه وذلك لأن نفسه نعيت إليه بها، فينبغي لكل من ظن أنه لا يعيش مثل ما عاش أو قام من مجلس فظن أنه لا يعود إليه أن يستعمل هذا الذكر[5]. يعنى قوله : «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ».

قلت: روى مسلم من حديث عائشة، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ: «سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَرَاكَ أَحْدَثْتَهَا تَقُولُهَا؟ قَالَ: «جُعِلَتْ لِي عَلَامَةٌ فِي أُمَّتِي إِذَا رَأَيْتُهَا قُلْتُهَا» {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ} [النصر: ١] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ[6].

---

(1) شرح سنن أبي داود للبدر العيني (١٦٢/٢).

(2) فيض القدير (١١٨/٥).

(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم (١٤١/١٣).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٥٧/٤).

(3) فيض القدير (١٨٩/٥).

(6) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، بَابُ مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُود (٣٥١/١ ح٤٨٤).

الثانية: تظهر الأحاديث العناية بالذكر في خواتيم الأعمال، وفي هذا الخصوص وردت آيات قرآنية، منها قول الله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ ﴾[1]، وقول الله تعالى ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾[2]، وقول الله تعالى ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَاسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[3] وقوله تعالى ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٥٥﴾ ﴾[4]، ﴾[4]،

وقوله تعالى ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٢٥﴾ ﴾[5].

وفي جانب الاعتناء بالتسبيح في خواتيم الأعمال ختم البخاري كتابه بحديث "كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ "[1].

([1]) سورة ق، الآية (٤٠).

([2]) سورة طه، الآية (١٣٠).

([3]) سورة البقرة، الآية (٢٠٠).

([4]) سورة غافر، الآية (٥٥).

([5]) سورة الإنسان، الآية (٢٥).

قال الكرماني: لكن ذكر هذا الباب ليس مقصوداً بالذات بل هو لإرادة أن يكون آخر الكلام التسبيح والتحميد[٢].

الثالثة: بحديث الباب ختم الحافظ ابن حجر كتابه فتح الباري فقال في آخره:

ورأيت ختم هذا الفتح بطريق من طرق هذا الحديث مناسبة للختم أسوقها بالسند المتصل العالي بالسماع والإجازة إلى منتهاه ... إلى أن قال عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ إذا جلس مجلساً أو صلى تكلم بكلمات فسألته عن ذلك فقال: إن تكلم بكلام خير كان طابعاً عليه يعني خاتماً عليه إلى يوم القيامة وإن تكلم بغير ذلك كانت كفارة له "سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك" والله أعلم[٣].

الرابعة: الوجه في ترتيب هذا الذكر على النحو المذكور.

قال الصنعاني: "وقدم تنزيه الرب تعالى عن كل نقص ثم الحمد والشهادة بالتوحيد ونفي الشريك ثم طلب الاستغفار تقديماً للوسائل على المطالب"[٤].

على أنه قد ورد هذا الذكر في الصلاة بغير هذا الترتيب المذكور في حديث الكفارة وفى هذا يقول ابن تيمية[٥] : وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ يَقُولُ: {سُبْحَانَك اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِك أَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُك وَأَتُوبُ إلَيْك} وَهَذَا كَفَّارَةُ الْمَجْلِسِ، فَقَدْ شُرِعَ فِي آخِرِ الْمَجْلِسِ وَفِي آخِرِ الْوُضُوءِ، وَكَذَلِكَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْتِمُ الصَّلَاةَ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّهُ {كَانَ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، بَابُ فَضْلِ التَّسْبِيحِ (٨٦/٨ ح٦٤٠٦) وفي مواضع أخرى برقم (٦٦٨٢، ٧٥٦٣)، ومسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ فَضْلِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ (٢٠٧٢/٤ ح٧٥٦٣).

(٢) فتح الباري (٥٤٢/١٣).

(٣) فتح الباري (٥٤٦/١٣).

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير (٥٠٦/٨).

(٥) الفتاوى الكبرى (٢٣٧/٥).

يَقُولُ فِي آخِرِ صَلَاتِهِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْت وَمَا أَخَّرْت وَمَا أَسْرَرْت وَمَا أَعْلَنْت وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إلَهَ إلَّا أَنْتَ} [1] وَهُنَا قَدَّمَ الدُّعَاءَ وَخَتَمَهُ بِالتَّوْحِيدِ؛ لِأَنَّ الدُّعَاءَ مَأْمُورٌ بِهِ فِي آخِرِ الصَّلَاةِ، وَخَتَمَ بِالتَّوْحِيدِ لِيَخْتِمَ الصَّلَاةَ بِأَفْضَلَ الْأَمْرَيْنِ وَهُوَ التَّوْحِيدُ، بِخِلَافِ مَا لَمْ يَقْصِدْ فِيهِ هَذَا فَإِنَّ تَقْدِيمَ التَّوْحِيدِ أَفْضَلُ. فَإِنَّ جِنْسَ الدُّعَاءِ الَّذِي هُوَ ثَنَاءٌ وَعِبَادَةٌ أَفْضَلُ مِنْ جِنْسِ الدُّعَاءِ الَّذِي هُوَ سُؤَالٌ وَطَلَبٌ، وَإِنْ كَانَ الْمَفْضُولُ قَدْ يَفْضُلُ عَلَى الْفَاضِلِ فِي مَوْضِعِهِ الْخَاصِّ، بِسَبَبٍ وَبِأَشْيَاءَ أُخَرَ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ أَفْضَلُ مِنْ الْقِرَاءَةِ، وَالْقِرَاءَةَ أَفْضَلُ مِنْ الذِّكْرِ الَّذِي هُوَ ثَنَاءٌ، وَالذِّكْرَ أَفْضَلُ مِنْ الدُّعَاءِ الَّذِي هُوَ سُؤَالٌ، وَمَعَ هَذَا فَالْمَفْضُولُ لَهُ أَمْكِنَةٌ وَأَزْمِنَةٌ وَأَحْوَالٌ يَكُونُ فِيهَا أَفْضَلَ مِنْ الْفَاضِلِ، لَكِنَّ أَوَّلَ الدِّينِ وَآخِرَهُ وَظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ هُوَ التَّوْحِيدُ، وَإِخْلَاصُ الدِّينِ كُلِّهِ لِلَّهِ هُوَ تَحْقِيقُ قَوْلِ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ.

الخامسة: العمل عند العلماء على استحباب الذكر في ختم المجالس:

قال المناوي: قال الطيبي: فيه ندب الذكر المذكور عند القيام، وأنه لا يقوم حتى يقوله إلا لعذر. قال عياض: وكان السلف يواظبون عليه ويسمى ذلك كفارة المجلس[2].

وقال السندي: "... فَيُسْتَحَب للإنسان ختم الْمجْلس بِهِ أَي مجْلِس كَانَ، وَالله تَعَالَى أعلم "[3].

([1]) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ» (٨/٨٤ ح٦٣٩٨)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه(١/٥٣٤ ح٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب ﷺ.

([2]) فيض القدير (٥/١٨٩).

([3]) حاشية السندي على سنن النسائي (٣/ ٧١).

السادسة: دعاؤه ﷺ بهذا الذكر، مع إخباره ﷺ بأنه: «كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ» فيه إشكال لخلو مجلسه ﷺ من اللغط، ومن هنا وجه المناوي دعاءه ﷺ بأنه كان تعليماً للأمة وتشريعاً لها[1].

قلت: والأمر كما قال المناوي، ولكن – والله أعلم– لا يبعد أن يقع في مجلسه ﷺ رفع الصوت واللغلط عند التنازع والاختلاف بين الخصوم عنده وهذا من طبائع البشر، وقد كان ﷺ في تعامله مع أصحابه يراعى اختلاف طبائعهم، كما يقال إنه ﷺ ندب إلى هذا الذكر في جميع المجالس خيرها وشرها فناسب صدور هذا الذكر منه في مجالس الخير كما تظهره الأحاديث.

السابعة: ظاهر الأحاديث مغفرة جميع الذنوب لقائل هذا الذكر؛ لإخباره ﷺ بأنه «كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ».

وحول هذا المعنى يقول الصنعاني: قال عياض: كان السلف يواظبون عليه ويقولون: ذلك كفارة المجلس، وظاهره أنه يغفر له كل شيء كان فيه حتى الغيبة والنميمة، ويحتمل أنه أريد غير حقوق المخلوقين فإنه قد علم خروجها من إطلاقات الغفران، وغير الكبائر فإنها لا تكفر إلا بالتوبة إلا أن يصحب هذا القول ندم وعزم على عدم العود فهو توبة، وفيه دليل على أن الاستغفار وإن لم يصحبه أجزأ التوبة يؤجر فاعله ويحتمل أنه أريد هنا لا يقولهن تائباً[2].

الثامنة: تظهر الأحاديث أن هذا الذكر لا يختص بمجلس فيه لغو، بل يقال في مجالس الخير أيضاً ويكون كالخاتم عليها إلى يوم القيامة، يقول ابن تيمية: وَخَاتِمَةُ الْمَجْلِسِ:

---

(1) فيض القدير (١٥١/٥).

(2) التنوير شرح الجامع الصغير (٥٠٦/٨).

سُبْحَانَك اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِك أَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُك وَأَتُوبُ إلَيْك " إنْ كَانَ مَجْلِسَ رَحْمَةٍ كَانَتْ كَالطَّابَعِ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ مَجْلِسَ لَغْوٍ كَانَتْ كَفَّارَةً لَهُ[1].

ويقول السندي في تعليقه على حديث عائشة (رضي الله عنها): إن تكلم أَي أحد أَو مُتَكَلم بِخَير قبل هَذَا الذّكر ثمَّ ذكر هَذَا الذّكر عقبه كَانَ هَذَا الذّكر طابَعاً (بِفَتْح الْبَاء، وَكسر الْبَاء لُغَة) أَي خَاتمًا عَلَيْهِنَّ أَي على تِلْكَ الْكَلِمَات الَّتِي هِيَ خير إِذْ الْغَالِب أَن الْخَيْر يكون كَلِمَات مُتعَدّدَة فَلذَلِك جمع الضَّمِير، وَفِيه ترغيب إِلَى تَكْثِير الْخَيْر وتقليل الشَّرّ حَيْثُ اختير فِي جَانِبه الأفراد وإشارة إِلَى أَن جَمِيع الْخيرَات تثبت بِهَذَا الذّكر إِذا كَانَ هَذَا الذّكر عَقبهَا وَلَا تخْتَص هَذِه الْفَائِدَة بِالْخَيرِ الْمُتَّصِل بِهَذَا الذّكر فَقَط، وَالْمرَاد أَنه يكون مثبّتاً لذَلِك الْخَيْر رَافعاً إِلَى دَرَجَة الْقبُول أَمْثَاله عَن حضيض الرَّد كَفَّارَة لَهُ أَي مغْفرَة للذنب الْحَاصِل فَيُسْتَحَب للإنسان ختم الْمجْلس بِهِ أَي مجْلِس كَانَ وَالله تَعَالَى أعلم[2].

التاسعة: من جلس في مجلس لم يعطر بذكر الله تعالى وإن لم يقع فيه لغو، ينبغي له أن يقول هذا الذكر قبل أن يقوم من مقامه حتى لا يكون مجلس غفلة عن ذكر الله تعالى: فقد قال ﷺ: "مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا، فَتَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللهِ، إِلَّا تَفَرَّقُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ ذَلِكَ الْمَجْلِسُ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، هذا لفظ أحمد، وفي رواية الترمذي «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ»، وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ

(1) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/٢٣٦).

(2) حاشية السندي على سنن النسائي (٣/٧١).

وَجْهٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: تِرَةً: يَعْنِي حَسْرَةً وَنَدَامَةً. وقَالَ بَعْضُ أَهْلِ المَعْرِفَةِ بِالعَرَبِيَّةِ: التِّرَةُ هُوَ الثَّأْرُ [1].

قال الصنعاني: ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا منه عن مثل جيفة حمار) أي قيام من كان على جيفة حمار في نتن مجلسهم ذلك وقبحة، "وكان ذلك المجلس عليهم حسرة يوم القيامة" حيث أضاعوه عن ذكر الله وظاهره ولو لم يجر فيه حديث آخر من أحاديث اللغو؛

وذلك أنه لا ربح في الدنيا إلا في ذكر الله، فمن فاته فقد خسر وكذلك إذا كان وحده خالياً وإنما خص القوم لأنهم مظنة الأحاديث فأحسنها ذكر الله وأقله كفارة المجلس[2].

العاشرة: ويلتحق بهذا الذكر وينوب عنه في ختم المجالس: قراءة القرآن والذكر بأنواعه والثناء على الله تعالى والصلاة على النبي ﷺ فهذا كله تحصل به كفارة المجلس، وفي هذا المعنى يقول أبو هريرة رضي الله عنه: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: «أَيُّمَا قَوْمٍ جَلَسُوا فَأَطَالُوا الْجُلُوسَ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا قَبْلَ أَنْ يَذْكُرُوا اللَّهَ، وَيُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ إِلَّا كَانَتْ عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ»

---

(1) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله عز وجل(٧/٢٢١ ح٤٨٥٥)، والترمذي، أبواب الدعوات، بَابٌ فِي الْقَوْمِ يَجْلِسُونَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ (٥/٤٦١ ح٣٣٨٠)، وأحمد (١٦/٤٠٠ ح١٠٦٨٠، ١٠٨٢٥)، وابن حبان، كتاب البر والإحسان، باب ذِكْرِ الْبَيَانِ بِأَنَّ تَفَرُّقَ الْقَوْمِ عَنِ الْمَجْلِسِ عَنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَكُونُ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ فِي الْقِيَامَةِ (٢/٣٥١ ح٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢) وبرقم (٨٥٣)، والحاكم، كِتَابُ الدُّعَاءِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّسْبِيحِ وَالذِّكْرِ (١/٦٦٨ ح١٨٠٨، ١٨١٠، ١٨١١) وبرقم (١٨٢٦، ٢٠١٧)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

قلت: إسناد الحديث صحيح.

(2) التنوير شرح الجامع الصغير (٩/٤٩٧) .

قال المناوي[1]: (أيما قوم جلسوا فأطالوا الجلوس) وأكثروا اللغط (ثم تفرقوا قبل أن يذكروا الله) بأي صيغة كانت من صيغ الذكر (أو يصلوا على نبيه) مُحَمَّد ﷺ كذلك وفيه تلميح إلى قوله تعالى {ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً} (كانت عليهم ترة من الله) أي نقص وتبِعة وحسرة وندامة لتفرقهم ولم يأتوا بما يكفر لفظهم من حمد الله والصلاة على نبيه مُحَمَّد صلى الله عليه وعلى آله وسلم (إن شاء) أي الله (عذبهم) لتركهم كفارة المجلس (وإن شاء غفر لهم) فضلاً وطوْلاً منه تعالى ورحمة لهم {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء}

قلت: والأوْلى الختم بالذكر الوارد في كفارة المجلس وقد كان السلف يواظبون عليه كما تقدم بيانه.

الحادية عشرة: هذا الذكر ورد في مناسبات أخرى غير كفارة المجلس:

يقول ابن تيمية[2]: (حديث كفارة المجلس "سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك" فيه التسبيح والتحميد والتوحيد والاستغفار ... وفي حديث أيضاً إن هذا يقال عقب الوضوء ففي الحديث الصحيح في مسلم وغيره من حديث عقبة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية،

يدخل من أيها شاء"[3] وفي حديث آخر أنه يقول :"سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك"[1].

---

(1) فيض القدير (٣/١٥٠).

(2) الحسنة والسيئة (ص: ١٥٧).

(3) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء (١/٢٠٩ ح٢٣٤).

وقد رُوى عن طائفة من السلف في الكلمات التي تلقاها آدم من ربه نحو هذه الكلمات، روى ابن جرير عن مجاهد أنه قال: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فارحمني فأنت خير الراحمين لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم"[٢].

---

(١) يعنى حديث أبى سعيد الخدري ﷺ عَن النَّبِي ﷺ قَالَ: "من تَوَضَّأ فَقَالَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِك أشهد أَن لَا إِلَه إِلَّا أَنْت أستغفرك وَأَتُوب إِلَيْك كتب فِي رِق ثمَّ طبع بِطَابع فَلم يكسر إِلَى يَوْم الْقِيَامَة". أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب مَا يَقُولُ إِذَا فَرَغَ مِنْ وَضُوئِهِ (ص٣٧/٩ ح٩٥٢٩) مرفوعاً، وقال: هَذَا خطأ وَالصَّوَاب مَوْقُوف، قلت: وينظر الرواية الموقوفة عنده بعد الرواية المرفوعة، وأخرجه الحاكم، كتاب فضائل القرآن، باب ذِكْر فَضَائِلِ سُوَرٍ وآيٍ مُتَفَرِّقَةٍ (٧٥٢/١ ح٢٠٧٢) مرفوعاً، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وقال ابن الملقن في البدر المنير (٢٨٩/٢): "وَإِسْنَاد هَاتين الرِّوَايَتَيْنِ - أَعنِي المرفوعة والموقوفة صَحِيح عَلَى شَرط البُخَارِيّ وَمُسلم لَا نعلم طَعناً فِي وَاحِد من رِجَاله، بل هم أَئِمَّة أَعْلَام ثِقَات". وقال بعد نقله تضعيف الرواية المرفوعة وتصحيح الرواية الموقوفة عن غير واحد من العلماء: "واعجباه؛ كَيفَ يكون إِسْنَاده غَرِيباً أَو ضَعِيفاً؟ ! فرجاله أَئِمَّة أَعْلَام ثِقَات، وهاك سبر أَحْوَالهم لنقضي الْعجب من هَذِه المقالات ونثلج إِلَى قَلْبك الْيَقِين ... وقال: "وَلَك أَن تَقول: أَي دَلِيل عَلَى صَوَاب رِوَايَة الْوَقْف وَخطأ رِوَايَة الرّفْع، ورواة هَذِه هم رُوَاة هَذِه؟ وَالْحق إِن شَاءَ الله الَّذِي لَا يَتَّضِح غَيره أَن رِوَايَة الرّفْع صَرِيحَة صَحِيحَة كَمَا قَرَّرْنَاهُ " ا.ه، وقال الحافظ ابن حجر على الروايات الموقوفة: مثله لا يقال من قبل الرأي، فله حكم المرفوع، كذا في السلسلة الصحيحة. انظر: البدر المنير (٢/ ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣)، السلسلة الصحيحة (٤٣٨/٥ ح٢٣٣٣).

(٢) تفسير الطبري (٥٤٥/١).

فهذه الكلمات من جنس خاتمة الوضوء، وخاتمة الوضوء فيها التسبيح والتحميد والتوحيد والاستغفار، فالتسبيح والتحميد والتوحيد لله فإنه لا يأتي بالحسنات إلا هو والاستغفار من ذنوب النفس التي منها تأتي السيئات).

المبحث السابع: صلاة التسابيح:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: "يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّاهُ، أَلَا أُعْطِيكَ، أَلَا أَمْنَحُكَ، أَلَا أَحْبُوكَ، أَلَا أَفْعَلُ بِكَ عَشْرَ خِصَالٍ، إِذَا أَنْتَ فَعَلْتَ ذَلِكَ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ ذَنْبَكَ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، قَدِيمَهُ وَحَدِيثَهُ، خَطَأَهُ وَعَمْدَهُ، صَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ، سِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ، عَشْرَ خِصَالٍ: أَنْ تُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَسُورَةً، فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي أَوَّلِ رَكْعَةٍ وَأَنْتَ قَائِمٌ، قُلْتَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً، ثُمَّ تَرْكَعُ، فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ رَاكِعٌ عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ الرُّكُوعِ، فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَهْوِي سَاجِدًا، فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ سَاجِدٌ عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ السُّجُودِ فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَسْجُدُ فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ فَتَقُولُهَا عَشْرًا، فَذَلِكَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ، فِي كُلِّ رَكْعَةٍ تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ، إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُصَلِّيَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً فَافْعَلْ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ، فَفِي عُمُرِكَ مَرَّةً[1]".

([1]) أخرجه أبوداود، كتاب الصلاة، بَابُ صَلَاةِ التَّسْبِيحِ (٢/٢٩ ح١٢٩٧) وهذا لفظه، والبخاري في القراءة خلف الإمام، بَابُ هَلْ يُقْرَأُ بِأَكْثَرَ مِنْ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ خَلْفَ الْإِمَامِ (ص: ٥٧ ح١٤٩)، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، بَابُ مَا جَاءَ فِي صَلَاةِ التَّسْبِيحِ (١/٤٤٣ ح١٣٨٧)، وابن خزيمة، كتاب الصلاة، بَابُ صَلَاةِ التَّسْبِيحِ إِنْ صَحَّ الْخَبَرُ فَإِنَّ فِي الْقَلْبِ مِنْ هَذَا الْإِسْنَادِ شَيْئًا (٢/٢٢٣ ح١٢١٦)، والحاكم، كتاب الوتر (١/٤٦٣ ح١١٩٢) كلهم من طريق مُوسَى بن عَبْدِ الْعَزِيزِ، حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ أَبَانَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: " يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّاهُ، أَلَا أُعْطِيكَ، أَلَا أَمْنَحُكَ، أَلَا أَحْبُوكَ، أَلَا أَفْعَلُ بِكَ عَشْرَ خِصَالٍ ... الحديث فذكره.

قلت: إسناده حسن؛ فيه موسى بن عبد العزيز اليماني العدني، قال ابن معين: لا أرى به بأساً، وقال النسائي: ليس به بأس، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: وربما أخطأ، وقال ابن شاهين في الثقات: قال أبو بكر بن أبي داود أصح حديث في صلاة التسبيح هذا الحديث "يعني الذي

رواه موسى بن عبد العزيز"، وقال ابن المديني: ضعيف، وقال السليماني: منكر الحديث، وقال الذهبي: لم يذكره أحد في كتب الضعفاء أبدا، ولكن ما هو بالحجة ... حديثه من المنكرات لاسيما والحكم بن أبان (شيخه) ليس أيضاً بالثبت، وقال الحافظ: صدوق سيء الحفظ، انظر: إكمال تهذيب الكمال (٢٦/١٢)، ميزان الاعتدال (٢١٢/٤)، تهذيب التهذيب (٣٥٦/١٠)، التقريب (ص٥٥٢:)**قلت**: هو حسن الحديث إن شاء الله فقد وثقه ابن معين والنسائي وهما من المتشددين وكفى بهما موثقيْن، وتضعيف ابن المديني وغيره هو جرح مبهم غير مفسر.

وفي الإسناد أيضاً الحكم بن أبان العدني، قال سفيان بن عيينة: أتيت عدن فلم أر مثل الحكم بن أبان، قال ابن معين والنسائي والعجلي: ثقة، زاد العجلي: صاحب سنة كان إذا هدأت العيون وقف في البحر إلى ركبتيه يذكر الله حتى يصبح، وقال أبو زرعة: صالح، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: ربما أخطأ وإنما وقع المناكير في روايته من رواية ابنه إبراهيم عنه، وإبراهيم ضعيف، وقال ابن عدي في ترجمة حسين بن عيسى: الحكم بن أبان فيه ضعف ولعل البلاء منه لا من حسين بن عيسى، وحكى ابن خلفون توثيقه عن ابن نمير وابن المديني وأحمد بن حنبل، وقال ابن خزيمة في صحيحه: تكلم أهل المعرفة بالحديث في الاحتجاج بخبره، وقال ابن المبارك: ارم به، وقال الذهبي: ثقة صاحب سنة، وقال الحافظ: صدوق عابد وله أوهام، انظر: الكاشف (٣٤٣/١)، المغني (١٨٢/١)، تهذيب التهذيب (٤٢٣/٢)، التقريب (ص:١٧٤).

قلت: وللحديث عن ابن عباس ﷺ طرق أخرى لكنها شديدة الضعف ذكرها الشوكاني في تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، وأمثلها وأصحها طريق عكرمة عنه المتقدم:

قَالَ الْمُنْذِرِيّ: قد روى هَذَا الحَدِيث من طرق كَثِيرَة عَن جمَاعَة من الصَّحَابَة وأمثلها حَدِيث عِكْرِمَة هَذَا، وَقد صَححهُ جمَاعَة مِنْهُم الْحَافِظ أَبُو بكر الآجرى وَشَيخنَا أَبُو مُحَمَّد عبد الرَّحِيم الْمصْرِيّ وَشَيخنَا الْحَافِظ أَبُو الْحسن الْمَقْدِسِي ا.ه، وقَالَ ابْن حجر "رَحمَه الله": لَا بَأْس بِإِسْنَاد حَدِيث ابْن عَبَّاس وَهُوَ من شَرط الْحسن فَإِن لَهُ شَوَاهِد تقويه وَقد أَسَاءَ ابْن الْجَوْزِيّ بِذكرِهِ فِي الموضوعات، وَقد رَوَاهُ أَبُو دَاوُد من حَدِيث ابْن عمرو بِإِسْنَاد لَا بَأْس بِهِ، انظر: تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين (ص: ٢١٦)، وقال العلائي في النقد الصحيح لما اعترض من أحاديث المصابيح (ص: ٣٠): صلاة التسبيح حديث حسن صحيح، رواه أبو داود وابن ماجه بسند جيد إلى ابن عباس رضي الله عنهما ... وقال أبو حامد بن الكرجي:

سمعت مسلم بن الحجاج، وكتب معي هذا الحديث مع عبد الرحمن بن بشر بن الحكم عن موسى بن عبد العزيز، يقول: لا يروى في هذا الحديث إسناد أحسن من هذا، وقال الإمام أبو بكر بن أبي داود السجستاني: سمعت أبي يقول: ليس في صلاة التسبيح حديث صحيح غير هذا. يعني حديث عكرمة عن ابن عباس، وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين مصححاً له.

وللحديث شاهد عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما):

أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، بَابُ صَلَاةِ التَّسْبِيحِ (٢/٣٠ ح١٢٩٨) من طريق عَمْرُو بن مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الْجَوْزَاءِ=

=قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ كَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ يَرَوْنَ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «ائْتِنِي غَدًا أَحْبُوكَ، وَأُثِيبُكَ، وَأُعْطِيكَ» حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ يُعْطِينِي عَطِيَّةً، قَالَ: «إِذَا زَالَ النَّهَارُ، فَقُمْ فَصَلِّ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ»، فَذَكَرَ نَحْوَهُ، قَالَ: «ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ يَعْنِي مِنَ السَّجْدَةِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَوِ جَالِسًا، وَلَا تَقُمْ حَتَّى تُسَبِّحَ عَشْرًا، وَتَحْمَدَ عَشْرًا، وَتُكَبِّرَ عَشْرًا، وَتُهَلِّلَ عَشْرًا، ثُمَّ تَصْنَعَ ذَلِكَ فِي الْأَرْبَعِ الرَّكَعَاتِ»، قَالَ: «فَإِنَّكَ لَوْ كُنْتَ أَعْظَمَ أَهْلِ الْأَرْضِ ذَنْبًا غُفِرَ لَكَ بِذَلِكَ»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُصَلِّيَهَا تِلْكَ السَّاعَةَ؟ قَالَ «صَلِّهَا مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «حَبَّانُ بْنُ هِلَالٍ خَالُ هِلَالٍ الرَّأْيِ»، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: رَوَاهُ الْمُسْتَمِرُّ بْنُ الرَّيَّانِ، عَنْ أَبِي الْجَوْزَاءِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو مَوْقُوفًا، وَرَوَاهُ رَوْحُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَجَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ النُّكْرِيِّ، عَنْ أَبِي الْجَوْزَاءِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ، وَقَالَ فِي حَدِيثِ رَوْحٍ، فَقَالَ حَدِيثُ عَنِ النَّبِي ﷺ.

قلت: إسناده حسن؛ فيه عمرو بن مالك النكري (بضم النون) البصري، روى عنه جمع وذكره ابن حبان في الثقات وقال: يعتبر حديثه من غير رواية ابنه عنه، يخطىء ويغرب، صدوق له أوهام، انظر: تهذيب التهذيب (٨/٩٦)، التقريب (ص:٤٢٦).

قلت: عمرو بن مالك النكري هذا لم ينفرد أيضاً بل تابعه الْمُسْتَمِرُّ بْنُ الرَّيَّانِ كما سبق من كلام أبي داود، وكونه رواها موقوفة فهذا لا يضر لأن لها حكم الرفع، وقد قال الحافظ في أمالي الأذكار (ص:٢٩): هَذِهِ الرِّوَايَةُ وَصَلَهَا عَلِيُّ بْنُ سَعِيدٍ النَّسَائِيُّ فِي أَسْئِلَتِهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، فَقَالَ: حَدَّثَنِيهِ مُسْلِمٌ يَعْنِي: ابْنَ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْمُسْتَمِرِّ ا.ه، وقال العلائي في النقد الصحيح لما اعترض من أحاديث المصابيح (ص: ٣١): ذكر الخلال في كتاب ((العلل)) أن علي بن سعيد النسائي قال: سألت أحمد بن حنبل عن صلاة التسبيح فقال: لم يصح عندي منها شيء، فقلت له

حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال: كل يرويه عن عمرو بن مالك النكري، فقلت: قد رواه أيضاً مستمر بن الريان، فقال: من حدثك؟، قلت: مسلم بن إبراهيم، فقال: مسلم شيخ ثقة، وكأنه أعجبه، قال العلائي معلقاً: فهذا تقوية منه للحديث بسند آخر غير ما تقدم ا.ه، وَقَالَ الدَّارَقُطْنِيّ: أصح شَيْء فِي فَضَائِل السُّور {قل هُوَ الله أحد} وَأَصَح شَيْء فِي فَضَائِل الصَّلَاة صَلَاة التَّسْبِيح، انظر: تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين للشوكاني (ص: ٢١٧).

وللحديث شاهد آخر عن أبي رافع ﷺ:

أخرجه الترمذي، أبواب الوتر، بَابُ مَا جَاءَ فِي صَلَاةِ التَّسْبِيحِ (٦٠٨/١ ح٤٨٢) وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي رَافِعٍ، وَفِي البَابِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، وَالفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَأَبِي رَافِعٍ، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ غَيْرُ حَدِيثٍ فِي صَلاَةِ التَّسْبِيحِ، وَلاَ يَصِحُّ مِنْهُ كَبِيرُ شَيْءٍ، وَقَدْ رَأَى ابْنُ الْمُبَارَكِ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ: صَلاَةَ التَّسْبِيحِ وَذَكَرُوا الفَضْلَ فِيهِ وذكرها بإسناد حسن عن عبد الله بن المبارك مفصلاً، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، بَابُ مَا جَاءَ فِي صَلَاةِ التَّسْبِيحِ (٤٤٢/١ ح١٣٨٦)،=

=والبيهقي في الشعب (١٢٣/٢ ح٦٠٢) وقال: هَذَا الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيُّ فِي كِتَابِ الْجَامِعِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ ... وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ يَفْعَلُهَا وَتَدَاوَلَهَا الصَّالِحُونَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَفِيهِ تَقْوِيَةٌ لِلْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

قلت: حديث أبي رافع ﷺ إسناده ضعيف؛ فيه موسى بن عُبَيْدة (بضم أوله) ابن نَشِيط (بفتح النون وكسر المعجمة بعدها تحتانية ساكنة ثم مهملة) الرَّبَذي (بفتح الراء والموحدة ثم معجمة)، ضعفه كثيرون وقال فيه الحافظ: ضعيف ولا سيما في عبد الله ابن دينار وكان عابداً، انظر: التقريب (ص:٥٥٢).

وللحديث شاهد آخر عن ابن عمر ﷺ:

أخرجه الحاكم، كتاب الوتر (٤٦٣/١ ح١١٩٦) وقال: هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ لَا غُبَارَ عَلَيْهِ، وَمِمَّا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْحَدِيثِ اسْتِعْمَالُ الْأَئِمَّةِ مِنْ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ إِلَى عَصْرِنَا هَذَا إِيَّاهُ وَمَوَاظَبَتُهُمْ عَلَيْهِ وَتَعْلِيمُهُنَّ النَّاسَ، مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ».

قلت: بل واه جداً؛ فيه شيخ شيخ الحاكم واسمه أحمد بن داود بن عبد الغفار (أبو صالح الحراني ثم المصري)، قال الذهبي: كذبه الدارقطني وغيره، ومن أكاذيبه فذكر له الذهبي ثلاثة

أحاديث، وقال ابن طاهر: كان يضع الحديث، انظر: ميزان الاعتدال (٩٦/١)، لسان الميزان (٤٥٤/١).

ولذا قال الحافظ في أمالي الأذكار في فضل صلاة التسبيح (ص: ٢٩) معلقاً على تصحيح الحاكم: تَعَقَّبَهُ شَيْخُنَا (العراقي)، لِأَنَّهُ ضَعِيفُ الْإِسْنَادِ جِدًّا لَا نُورَ عَلَيْهِ، وَكَذَا تَعَقَّبَهُ الذَّهَبِيُّ فِي تَلْخِيصِهِ، وَقَالَا: إِنَّ فِي سَنَدِهِ أَحْمَدَ بْنَ دَاوُدَ بْنِ عَبْدِ الْغَفَّارِ الْحَرَّانِيَّ، ثُمَّ الْمَصْرِيَّ، كَذَّبَهُ الدَّارَقُطْنِيُّ.

وللحديث شاهد آخر:

أخرجه أبو داود في الموضع السابق برقم (١٢٩٩) ورجاله ثقات.

وقال الحافظ في أمالي الأذكار في فضل صلاة التسبيح: سَنَدُ هَذَا الْحَدِيثِ لَا يَنْحَطُّ عَنْ دَرَجَةِ الْحَسَنِ، فَكَيْفَ إِذَا ضُمَّ إِلَى رِوَايَةِ ابْنِ الْجَوْزَاءِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، الَّتِي أَخْرَجَهَا أَبُو دَاوُدَ، وَقَدْ حَسَّنَهَا الْمُنْذِرِيُّ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ مَنْ صَحَّحَ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ طَرِيقِ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَيَرُدُّ مَجْمُوعُ ذَلِكَ عَلَى كَلَامِ الْقَاضِي أَبِي بَكْرِ بْنِ الْعَرَبِيِّ، الَّذِي نَقَلَهُ عَنْهُ الشَّيْخُ (النووي) وَأَقَرَّهُ، وَيُبْطِلُ دَعْوَى ابْنِ الْجَوْزِيِّ أَنَّ الْحَدِيثَ مَوْضُوعٌ، وَقَولُ الشَّيْخِ (النووي): إِنَّ ابْنَ الْجَوْزِيِّ ذَكَرَ طُرُقَهُ وَضَعَّفَهَا، يُوهِمُ أَنَّهُ اسْتَوْعَبَهَا، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةِ طُرُقٍ: أَحَدُهَا: عَنْ أَبِي رَافِعٍ، وَهِيَ الَّتِي اقْتَصَرَ عَلَيْهَا الشَّيْخُ، وَفِيهَا مُوسَى بْنُ عُبَيْدَةَ، وَهُوَ ضَعِيفٌ، كَمَا تَقَدَّمَ، ثَانِيهَا: حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ رِوَايَةِ عِكْرِمَةَ عَنْهُ، وَأَعَلَّهَا بِمُوسَى بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَنَقَلَ عَنِ الْعُقَيْلِيِّ أَنَّهُ مَجْهُولٌ، وَقَدْ قَدَّمْتُ ذِكْرَ مَنْ وَثَّقَهُ، ثَالِثُهَا: حَدِيثُ الْعَبَّاسِ، وَضَعَّفَهُ بِصَدَقَةَ، وَقَدْ قَدَّمْتُ الْقَوْلَ فِيهِ، وَلَمْ يَذْكُرْ طَرِيقَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَلَا الْأَنْصَارِيِّ، وَمَجْمُوعُ مَا ذَكَرَهُ لَا يَقْتَضِي ضَعْفَ الْحَدِيثِ فَضْلًا عَنِ ادِّعَاءِ بُطْلَانِهِ=

=وَأَمَّا قَوْلُ الْعُقَيْلِيِّ: لَا يَثْبُتُ، فَكَأَنَّهُ أَرَادَ نَفْيَ الصِّحَّةِ فَلَا يَنْتَفِي الْحُسْنُ أَوْ أَرَادَ وَصْفَهُ لِذَاتِهِ فَلَا يَنْتَفِي بِالْمَجْمُوعِ، وَأَمَّا تَأْوِيلُ الشَّيْخِ كَلَامَ الدَّارَقُطْنِيِّ فَلَا يَتَعَيَّنُ أَحَدُ الِاحْتِمَالَيْنِ، لَكِنْ يَتَرَجَّحُ جَانِبُ التَّقْوِيَةِ بِمُوَافَقَةِ مَنْ قَوَّاهُ، وَقَدْ أَطْلَقَتْ عَلَيْهِ الصِّحَّةَ أَوِ الحُسْنَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ مِنْهُمْ: أَبُو دَاوُدَ كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى عِكْرِمَةَ، وَأَبُو بَكْرٍ الْآجُرِّيُّ، وَأَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ، وَأَبُو سَعِيدٍ السَّمْعَانِيُّ، وَأَبُو مُوسَى الْمَدِينِيُّ، وَأَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْمُفَضَّلِ، وَالْمُنْذِرِيُّ، وَابْنُ الصَّلَاحِ، قال الْإِمَامِ تَقِيِّ الدِّينِ بْنِ الصَّلَاحِ: صَلَاةُ التَّسْبِيحِ سُنَّةٌ غَيْرُ بِدْعَةٍ، وَحَدِيثُهَا حَسَنٌ مَعْمُولٌ بِهِ، وَالْمُنْكِرُ لَهَا غَيْرُ مُصِيبٍ إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ فِي ذَلِكَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، رَوَى الْبَيْهَقِيُّ، عَنْ أَبِي حَامِدِ بْنِ الشَّرْقِيِّ،

قَالَ: كَتَبَ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ مَعْنَا هَذَا الْحَدِيثَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بِشْرٍ، يَعْنِي حَدِيثَ صَلَاةِ التَّسْبِيحِ مِنْ رِوَايَةِ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَسَمِعْتُ مُسْلِمًا، يَقُولُ: لَا نَرَى فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِسْنَادًا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا، وَأَخْرَجَهُ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ حَمْدُونَ، عَنْ أَبِي حَامِدِ بْنِ الشَّرْقِيِّ أَيْضًا بِهَذَا الْإِسْنَادِ الْمَذْكُورِ، وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ بَعْدَ تَخْرِيجِهِ: كَانَ ابْنُ الْمُبَارَكِ يُصَلِّيهَا، وَتَدَاوَلَهَا الصَّالِحُونَ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، وَفِيهِ تَقْوِيَةٌ لِلْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ أ.ه، وَأَقْدَمُ مَنْ نُقِلَ عَنْهُ فِعْلُهَا أَبُو الْجَوْزَاءِ (بِجِيمٍ مَفْتُوحَةٍ وَزَايٍ) اسْمُهُ أَوْسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَصْرِيُّ، مِنْ ثِقَاتِ التَّابِعِينَ، أَخْرَجَهُ الدَّارَقُطْنِيُّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا نُودِيَ بِالظُّهْرِ أَتَى الْمَسْجِدَ، فَيَقُولُ لِلْمُؤَذِّنِ: لَا تُعْجِلْنِي عَنْ رَكَعَاتٍ، فَيُصَلِّيهَا بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ، وَكَذَا وَرَدَ النَّقْلُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَافِعٍ، وَمَنْ تَبِعَهُ، وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي رَوَّادٍ وَهُوَ بِفَتْحِ الْمُهْمَلَةِ وَتَشْدِيدِ الْوَاوِ، وَهُوَ أَقْدَمُ مِنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ: «مَنْ أَرَادَ الْجَنَّةَ فَعَلَيْهِ بِصَلَاةِ التَّسْبِيحِ» ، وَمِمَّنْ جَاءَ عَنْهُ التَّرْغِيبُ فِيهَا وَتَقْوِيَتُهَا الْإِمَامُ أَبُو عُثْمَانَ الْحِيرِيُّ الزَّاهِدُ، قَالَ: «مَا رَأَيْتُ لِلشَّدَائِدِ وَالْغُمُومِ مِثْلَ صَلَاةِ التَّسْبِيحِ»، وَقَالَ أَبُو مَنْصُورٍ الدَّيْلَمِيُّ فِي مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ: صَلَاةُ التَّسْبِيحِ أَشْهَرُ الصَّلَوَاتِ وَأَصَحُّهَا إِسْنَادًا، وَقَالَ الْمُحِبُّ الطَّبَرِيُّ فِي الْأَحْكَامِ: جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ لَمْ يَمْنَعُوا مِنْ صَلَاةِ التَّسْبِيحِ، مَعَ اخْتِلَافِهِمْ فِي تَطْوِيلِ الِاعْتِدَالِ، وَالْجُلُوسِ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ، وَقَدْ صَرَّحَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجُوَيْنِيُّ بِاسْتِثْنَاءِ صَلَاةِ التَّسْبِيحِ مِنْ ذَلِكَ، وقَالَ التَّقِيُّ السُّبْكِيُّ: صَلَاةُ التَّسْبِيحِ مِنْ مُهِمَّاتِ مَسَائِلِ الدِّينِ، وَحَدِيثُهَا حَسَنٌ، نَصَّ عَلَى اسْتِحْبَابِهَا أَبُو حَامِدٍ، وَصَاحِبُهُ الْمَحَامِلِيُّ، وَالشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ، وَوَلَدُهُ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ، وَصَاحِبُهُ الْغَزَالِيُّ وَغَيْرُهُمْ، وَقَالَ: لَا يُغْتَرُّ بِمَا وَقَعَ فِي الْأَذْكَارِ، فَإِنَّهُ اقْتَصَرَ عَلَى ذِكْرِ حَدِيثِ أَبِي رَافِعٍ وَهُوَ ضَعِيفٌ، وَاعْتَمَدَ عَلَى قَوْلِ الْعُقَيْلِيِّ: إِنَّ حَدِيثَهَا لَا يَثْبُتُ، قَالَ: وَالظَّنُّ بِهِ أَنَّهُ لَوِ اسْتَحْضَرَ حَدِيثَ ابْنِ عَبَّاسٍ الَّذِي أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَابْنُ خُزَيْمَةَ، وَالْحَاكِمُ لِمَا قَالَ ذَلِكَ، قُلْتُ: وَالشَّيْخُ وَإِنْ ضَعَّفَ الْحَدِيثَ، فَآخِرُ كَلَامِهِ يَقْتَضِي التَّرْغِيبَ فِي فِعْلِهَا، فَقَدْ قَالَ بَعْدَ ذِكْرِ كَلَامِ الرُّويَانِيِّ: فَيَكْثُرُ الْقَائِلُ بِهَذَا الْحُكْمِ، وَيُسْتَفَادُ مِمَّا قَالَهُ السُّبْكِيُّ زِيَادَةُ الْقَائِلِينَ بِهَا مِنَ الشَّافِعِيَّةِ، وَمِمَّنْ لَمْ يَذْكُرَاهُ: الْقَاضِي حُسَيْنٌ، وَصَاحِبَاهُ الْبَغَوِيُّ وَالْمُتَوَلِّي، وَمِنْ قُدَمَائِهِمْ: أَبُو عَلِيٍّ زَاهِرُ بْنُ أَحْمَدَ السَّرْخَسِيُّ، قَالَ: ثَبَتَ ذِكْرُ صَلَاةِ التَّسْبِيحِ فِي إِسْنَادٍ حَسَنٍ، وَفِيهِ فَضْلٌ كَثِيرٌ، نَقَلَهُ عَنْهُ الطَّبَرِيُّ بِفَتْحِ الْمُهْمَلَةِ، وَالْمُوَحَّدَةِ بَعْدَهَا مُهْمَلَةٌ فِي كِتَابِ الْقِرَاءَةِ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، وَقَدِ اخْتَلَفَ كَلَامُ الشَّيْخِ (النووي) فِي هَذَا الْحَدِيثِ، فَقَالَ فِي الْأَذْكَارِ مَا تَقَدَّمَ عَنْهُ،=

=وَفِي تَهْذِيبِ الْأَسْمَاءِ: إِنَّهُ حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَفِي الْمَجْمُوعِ لَهُ: حَدِيثٌ لَا يَثْبُتُ، وَفِيهَا تَغْيِيرُ نُظُمِ الصَّلَاةِ، فَيَنْبَغِي أَنْ لَا تُفْعَلَ، وَفِي كِتَابِ التَّحْقِيقِ لَهُ نَحْوُ هَذَا، وَأَجَابَ السُّبْكِيُّ بِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهَا تَغْيِيرٌ إِلَّا فِي الْجُلُوسِ قَبْلَ الْقِيَامِ إِلَى الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ، وَكَذَا الرَّابِعَةِ، وَذَاكَ مَحَلُّ جَلْسَةِ الِاسْتِرَاحَةِ، فَلَيْسَ فِيهَا إِلَّا تَطْوِيلُهَا، لَكِنَّهُ بِالذِّكْرِ، وَأَجَابَ شَيْخُنَا فِي شَرْحِ التِّرْمِذِيِّ بِأَنَّ النَّافِلَةَ يَجُوزُ فِيهَا الْقِيَامُ وَالْقُعُودُ حَتَّى فِي الرَّكْعَةِ الْوَاحِدَةِ، قُلْتُ: وَظَهَرَ لِي جَوَابٌ ثَالِثٌ، وَهُوَ أَنَّ هَذِهِ الْجَلْسَةَ ثَبَتَتْ مَشْرُوعِيَّتُهَا فِي صَلَاةِ التَّسْبِيحِ فَهِيَ كَالرُّكُوعِ الثَّانِي فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ، ثم قال الحافظ: اخْتِلَافُ الْفُقَهَاءُ فِي صَلَاةِ التَّسْبِيحِ: ذَكَرَ زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَى السَّاجِيُّ وَهُوَ مِنْ طَبَقَةِ التِّرْمِذِيِّ اخْتِلَافَ الْفُقَهَاءِ فِي صَلَاةِ التَّسْبِيحِ، فَقَالَ: لَا أَعْرِفُ لِلشَّافِعِيِّ، وَلَا لِمَالِكٍ، وَلَا لِلْأَوْزَاعِيِّ، وَلَا لِأَهْلِ الرَّأْيِ فِيهَا قَوْلًا، وَقَالَ أَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ: إِنْ فَعَلَ فَحَسَنٌ، وَسَقَطَ أَحْمَدُ مِنْ نُسْخَةٍ مُعْتَمَدَةٍ، وَنَقَلَ صَاحِبُ الْفُرُوعِ، أَنَّ أَحْمَدَ سُئِلَ عَنْ صَلَاةِ التَّسْبِيحِ فَنَفَضَ يَدَهُ، وَقَالَ: لَمْ يَصِحَّ فِيهَا شَيْءٌ، وَلَمْ يَرَ اسْتِحْبَابَهَا، فَإِنْ فَعَلَهَا إِنْسَانٌ فَلَا بَأْسَ، لِأَنَّ الْفَضَائِلَ لَا يُشْتَرَطُ فِيهَا الصِّحَّةُ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ سَعِيدٍ: سَأَلْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ عَنْ صَلَاةِ التَّسْبِيحِ، فَقَالَ: مَا يَصِحُّ فِيهَا عِنْدِي شَيْءٌ، فَقُلْتُ: حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو؟ قَالَ: كُلٌّ يَرْوِيهِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ، يَعْنِي: فِيهِ مَقَالٌ، فَقُلْتُ: قَدْ رَوَاهُ الْمُسْتَمِرُّ بْنُ الرَّيَّانِ، عَنْ أَبِي الْجَوْزَاءِ، قَالَ مَنْ حَدَّثَكَ؟ ، قُلْتُ: مُسْلِمٌ، يَعْنِي ابْنَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: الْمُسْتَمِرُّ شَيْخٌ ثِقَةٌ، وَكَأَنَّهُ أَعْجَبَهُ ا.ه، قال الحافظ معلقاً: فَكَأَنَّ أَحْمَدُ لَمْ يَبْلُغْهُ ذَلِكَ الْحَدِيثُ أَوَّلًا إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ وَهُوَ النُّكْرِيُّ، فَلَمَّا بَلَغَهُ مُتَابَعَةُ الْمُسْتَمِرِّ أَعْجَبَهُ، فَظَاهِرُهُ أَنَّهُ رَجَعَ عَنْ تَضْعِيفِهِ، وَقَدْ أَفْرَطَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ أَتْبَاعِ أَحْمَدَ كَابْنِ الْجَوْزِيِّ، فَذَكَرَ حَدِيثَهَا فِي الْمَوْضُوعَاتِ، وَتَقَدَّمَ الرَّدُّ عَلَيْهِ، وَكَابْنِ تَيْمِيَةَ، فَجَزَمَ بِأَنَّ حَدِيثَهَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ بِلْ بَاطِلٌ، قَالَهُ ابْنُ عَبْدِ الْهَادِي، وَنَقَلَ عَنْهُ صَاحِبُ الْفُرُوعِ أَنَّ خَبَرَهَا كَذِبٌ، وَنَصَّ أَحْمَدُ وَأَصْحَابُهُ عَلَى كَرَاهَتِهَا، وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ فِي الْوَسِيطِ: قَالَ بَعْضُ مَنْ أَدْرَكْنَا مِنَ الْحُفَّاظِ: أَظْهَرُ الْقَوْلَيْنِ فِي صَلَاةِ التَّسْبِيحِ أَنَّ حَدِيثَهَا كَذِبٌ، وَلَمْ يَقُلْ بِهَا إِلَّا طَائِفَةٌ قَلِيلَةٌ مِنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ، قُلْتُ (الحافظ): بَلْ أَثْبَتَهَا أَئِمَّةُ الطَّرِيقَيْنِ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ، كَمَا تَقَدَّمَ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ، وَالْحَافِظُ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ أَظُنُّهُ: ابْنَ تَيْمِيَةَ، أَوْ مَنْ أَخَذَ عَنْهُ، وَقَدْ قَالَ الْمُحِبُّ الطَّبَرِيُّ فِي الْأَحْكَامِ: جُمْهُورُ الشَّافِعِيَّةِ لَمْ يَمْنَعُوا مِنْهَا، وَتَقَدَّمَ كَلَامُ ابْنِ الْعَرَبِيِّ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا، وَأَمَّا الْحَنَفِيَّةُ فَلَمْ أَرَ عَنْهُمْ شَيْئًا، إِلَّا مَا نَقَلَهُ السُّرُوجِيُّ عَنْ مُخْتَصَرِ الْبَحْرِ فِي مَذْهَبِهِمْ أَنَّهَا مُسْتَحَبَّةٌ، وَثَوَابُهَا عَظِيمٌ.

وذكر الشوكاني في تحفة الذاكرين (ص: ٢١٧) قول ابْن الْعَرَبِيّ فِي شرح التِّرْمِذِيّ فِي حَدِيث أبي رَافع أَنه حَدِيث ضَعِيف لَيْسَ لَهُ أصل فِي الصِّحَّة وَلَا فِي الْحسن وَقَالَ إِنَّمَا ذكره التِّرْمِذِيّ لينبه عَلَيْهِ لِئَلَّا يغتر بِهِ، وَقَالَ الْعقيلِيّ: لَيْسَ فِي صَلَاة التَّسْبِيح حَدِيث يثبت، ثم قال الشوكاني: وَالْحَاصِل أَن صَلَاة التَّسْبِيح وَردت من طَرِيق عبد الله ابْن عَبَّاس وأخيه الْفضل وأبيهما الْعَبَّاس وَعبد الله بن عمر وَأبي رَافع=

=وَعلي بن أبي طَالب وأخيه جَعْفَر وَأم سَلمَة وَرجل من الْأَنْصَار رَضِي الله عَنْهُم أَجْمَعِينَ وَقد صحّح هَذَا الحَدِيث أَو حسنه جمَاعَة من الْحفاظ مِنْهُم من تقدم ذكره وَمِنْهُم ابْن مَنْدَه والخطيب وَابْن الصّلاح والسبكي والحافظ العلائي، قَالَ السُّبْكِيّ: صَلَاة التَّسْبِيح من مهمات مسَائِل الدّين وَلَا تغتر بِمَا فهم من النَّوَوِيّ فِي الأذكار من ردهَا فَإِنَّهُ اقْتصر على رِوَايَة التِّرْمِذِيّ وَابْن مَاجَه وَرَأى قَول الْعقيلِيّ لَيْسَ فِيهَا حَدِيث يثبت صَحِيح وَلَا حسن، وَالظَّن بِهِ لَو استحضر تَرْجِيح أبي دَاوُد لحديثها وَتَصْحِيح ابْن خُزَيْمَة وَالْحَاكِم لما قَالَ ذَلِك، وَقد اسْتَوْفَيْنَا الْكَلَام على صَلَاة التَّسْبِيح فِي كتَابنَا فِي الموضوعات الَّذِي سميناه الْفَوَائِد الْمَجْمُوعَة فِي الْأَحَادِيث الْمَوْضُوعَة وَلَا شكّ وَلَا ريب أَن هَذِه الصَّلَاة فِي صفتهَا وهيئتها نَكَارَة شَدِيدَة مُخَالفَة لما جرت عَلَيْهِ التعليمات النَّبَوِيَّة والذوق يشْهد وَالْقلب يصدق، وَعِنْدِي أَن ابْن الْجَوْزِيّ قد أصَاب بِذكرِهِ لهَذَا الحَدِيث فِي الموضوعات، وَمَا أحسن مَا قَالَ السُّيُوطِيّ فِي كِتَابه اللآلئ الَّذِي جعله على مَوْضُوعَات ابْن الْجَوْزِيّ بعد ذكره لطرق هَذِه الحَدِيث: وَالْحق أَن طرقه كلهَا ضَعِيفَة وَأَن حَدِيث ابْن عَبَّاس يقرب من الْحسن إِلَّا أَنه شَاذ لشدَّة الفردية فِيهِ وَعدم المتابع وَالشَّاهِد من وَجه مُعْتَبر وَمُخَالفَة هيئتها لهيئة بَاقِي الصَّلَوَات.

وقال الشوكاني في الفوائد المجموعة (ص: ٣٧، ٣٨): قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: لا بَأْسَ بِإِسْنَادِ حَدِيثَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَهُوَ مِنْ شَرْطِ الْحَسَنِ فَإِنَّ لَهُ شَوَاهِدَ تُقَوِّيهِ وَقَدْ أَسَاءَ ابْنُ الْجَوْزِيّ بِذِكْرِهِ فِي الْمَوْضُوعَاتِ، وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حديث ابن عمرو بإسناد لا بَأْسَ بِهِ، وَالْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ، وَقَالَ فِي أَمَالِي الأَذْكَارِ: وَرَدَتْ صَلاةُ التَّسْبِيحِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَأَخِيهِ الْفَضْلِ وَأَبِيهِمَا الْعَبَّاسِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَأَبِي رافع وعلي ابن أَبِي طَالِبٍ وَأَخِيهِ جَعْفَرٍ وَأُمِّ سَلَمَةَ وَرَجُلٍ أَنْصَارِيٍّ ثُمَّ سَاقَ تَخْرِيجَهَا جَمِيعًا ثُمَّ قَالَ: وَمِمَّنْ صَحَّحَ هَذَا الْحَدِيثَ أَوْ حَسَّنَهُ: ابْنُ مَنْدَهْ وَالآجُرِّيُّ وَالْخَطِيبُ وَأَبُو سَعْدٍ السَّمْعَانِيُّ وَأَبُو مُوسَى الْمَدِينِيُّ وَأَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْمُفَضَّلِ وَالْمُنْذِرِيُّ وَابْنُ الصَّلاحِ وَالنَّوَوِيُّ وَالسُّبْكِيُّ وَآخَرُونَ، وقال في اللآلىء (السيوطي):

قَالَ الْحَافِظُ الْعَلائِيُّ: هُوَ صَحِيحٌ أَوْ حَسَنٌ وَكَذَا قَالَ الشَّيْخُ سِرَاجُ الدِّينِ فِي التَّدْرِيبِ وَالزَّرْكَشِيُّ، وَقَالَ الْعُقَيْلِيُّ: لَيْسَ فِي صَلاةِ التَّسْبِيحِ حَدِيثٌ يُثْبِتُ، وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيّ: لَيْسَ فِيهَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ وَلا حَسَنٌ، قال في اللآلىء (السيوطي): والحق أَنَّ طُرُقَهُ كُلَّهَا ضَعِيفَةٌ وَأَنَّ حَدِيثَ ابْنِ عَبَّاسٍ يَقْرُبُ مِنْ شَرْطِ الْحَسَنِ إلا أَنَّهُ شَاذٌّ لشدة الفردية فيه وَعَدَمِ الْمُتَابِعِ وَالشَّاهِدِ مِنْ وَجْهٍ مُعْتَبَرٍ وَمُخَالَفَةُ هَيْئَتِهَا لِهَيْئَةِ بَاقِي الصَّلاةِ.

قلت: إسناد حديثي ابن عباس وابن عمرو (رضي الله عنهم) حسن كما سبق وقد صحح أو حسن حديث صلاة التسابيح عدد كبير من الحفاظ كما سبق من كلام الحافظ ابن حجر وغيره، وقد عمل بها كثير من السلف كابن المبارك وغيره فهذا مما يقوي ثبوت حديثها كما قال الحاكم والبيهقي كما سبق، والله أعلم، وقد صنف في صلاة التسابيح وفضلها الخطيب البغدادي=

=واسم كتابه "ذكر صلاة التسبيح والأحاديث التي رويت عن النبي ﷺ فيها واختلاف ألفاظ الناقلين لها"، والحافظ ابن حجر، واسم كتابه "أمالي الأذكار في فضل صلاة التسبيح" ورد فيه على كلام المضعفين لأحاديثها كما سبق النقل عنه.

الخاتمة

وتشمل أهم النتائج والتوصيات:

أولاً: أهم نتائج البحث:

* أن التسبيح والذكر جائز في كل وقت وحال إلا فيما ورد الدليل باستثنائه كما سبق.

* أهمية ذكر الله تعالى وتسبيحه وفضل ذلك، وقد ذكرت جملة من فضائل الذكر والتسبيح في المبحث الثاني.

* أن تسبيح الله تعالى حاصل من جميع خلقه من ملائكة وإنس وجن وجماد.

* أن هناك أنواع كثيرة من الذكر والتسبيح وردت بها السنة.

* هناك مناسبات وأحوال كثيرة جاءت السنة باستحباب تسبيح الله تعالى وذكره فيها، وقد أفردت لها مبحثاً مستقلاً.

* أن الدعاء ينقسم إلى: دعاء ثناء ودعاء طلب، وأن دعاء الثناء أفضل وأرجي للقبول كما بينته في موضعه بأدلته.

* أن الأصل في التسبيح أنه يكون بالعقد على أنامل اليد اليمنى، والقول ببدعية التسبيح بالمسبحة غير ممكن لتحسين بعض العلماء أحاديث في التسبيح بالنوى والحصى وقد أخذ به كثير من العلماء.

* أن هناك ألفظ وتسبيحات جامعة من جوامع كلمه ﷺ، وقد فصلت ذلك في مبحث بعنوان "تسبيح لا يحصى عدده".

* أن هناك تفاوت في أعداد التسبيح في دبر الصلوات، وقد جمع العلماء بين تلك الروايات كما بينته.

* أن الأفضل في التسبيح الالتزام بالأعداد الواردة في مواضع مخصوصة كما في التسبيح في دبر الصلوات وعند النوم.

* الأَوْلى في التسبيح الالتزام بالترتيب الوارد به الذكر.

* مشروعية صلاة التسابيح، وقد وردت فيها أحاديث اختلف فيها العلماء، لكن القول الراجح أنها لا تنزل عن أن تكون حسنة كما بينته في المبحث السابع.

ثانياً: التوصيات:

أوصي نفسي وإخواني بتقوى الله عز وجل؛ فإن التقوى هي وصية الله للأولين والآخرين كما قال تعالى ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيّٗا حَمِيدٗا ١٣١ ﴾[1] وبالاستمرار في العمل الدائم في خدمة السنة النبوية وتقريبها للناس من خلال تقديم مثل هذه الموضوعات الموضوعية التأصيلية التي تعطي صورة متكاملة عن موضوع ما، فهذه الطريقة تجمع شتات المعلومات المتعلقة بموضوع ما وتقدمه للقارئ في صورة متكاملة، وهذا أمر في غاية الأهمية، ففي تلك الطريقة الموضوعية بيان للمعنى الصحيح للنص القرآني والنبوي من كلام أهل العلم واستنباط فوائد النصوص ومعرفة فقهها.

(1) سورة النساء: الآية (١٣١).

فهرس المصادر والمراجع مرتبة على حروف الهجاء.

– القرآن الكريم.

– الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان . لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ التميمي، أبو حاتم الدارمي البُستي (المتوفى : ٣٥٤هـ) . ترتيب : الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى : ٧٣٩ هـ). حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط . الناشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت . الطبعة : الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨ م .

– الأدب المفرد . لأبي عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (المتوفى: ٢٥٦هـ). المحقق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي. الناشر: دار البشائر الإسلامية ببيروت. الطبعة الثالثة١٤٠٩هـ،١٩٨٩م .

– الأذكار . لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) . تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط رحمه الله . الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان . ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م.

– إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ.

– إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل لمحمد ناصر الدين الألباني (المتوفى : ١٤٢٠هـ) إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م.

– الاستذكار : لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى : ٤٦٣هـ). تحقيق : سالم مُحَمَّد عطا ، ومُحَمَّد علي معوض . الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة : الأولى ، ١٤٢١ – ٢٠٠٠م.

–**إعلام الموقعين عن رب العالمين** لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: مُحَمَّد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

– **الإفصاح عن معاني الصحاح**، المؤلف: يحيى بن هُبَيْرَة بن مُحَمَّد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، عون الدين (المتوفى: ٥٦٠هـ)، المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد، الناشر: دار الوطن، سنة النشر: ١٤١٧هـ.

– **أمالي الأذكار في فضل صلاة التسبيح** لأبي الفضل أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: كيلاني مُحَمَّد خليفة، الناشر: مؤسسة قرطبة – بيروت.

– **بلوغ المرام من أدلة الأحكام** لأبي الفضل أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق وتخريج وتعليق: سمير بن أمين الزهري، الناشر: دار الفلق – الرياض، الطبعة: السابعة، ١٤٢٤هـ.

– **تاريخ الإسلام** . لشمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) ، تحقيق : عمر عبد السلام التدمري . الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت . الطبعة : الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .

– **تاريخ بغداد وذيوله** . لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ) . ط / دار الكتب العلمية - بيروت . دراسة وتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا.

– **التحرير والتنوير** «**تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**»، المؤلف : مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر– تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

– **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، المؤلف: أبو العلا مُحَمَّد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

– **تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة**، المؤلف: القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، المحقق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، عام النشر: ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م.

– **تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل** . لأحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري، أبي زرعة ولي الدين ، ابن العراقي (المتوفى : ٨٢٦هـ) . المحقق : عبد الله نوارة . الناشر : مكتبة الرشد - الرياض .

- **تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين** لمحمد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار القلم - بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٨٤م.

– **التحقيق في أحاديث الخلاف**، المؤلف : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق : مسعد عبد الحميد مُحَمَّد السعدني، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤١٥هـ.

– **تذكرة الحفاظ** . لشمس الدين أبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ). الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان . الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م .

– **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف** . لعبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله أبي مُحَمَّد زكي الدين المنذري (المتوفى: ٦٥٦هـ) . المحقق: إبراهيم شمس الدين . الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة : الأولى، ١٤١٧ هـ .

– **تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس** . لأبي الفضل أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) . المحقق: د / عاصم بن عبدالله القريوتي ، مكتبة المنار – عمان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م .

– **تفسير عبد الرزاق** لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)

الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود مُحَمَّد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

– **تفسير القرآن العظيم** . لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ). المحقق : سامي بن مُحَمَّد سلامة . الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع . الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .

– **تقريب التهذيب** . لأبي الفضل أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) . المحقق : مُحَمَّد عوامة . الناشر : دار الرشيد – سوريا . الطبعة : الأولى ، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م .

– **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير** لأبي الفضل أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٩هـ. ١٩٨٩م.

– **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد** . لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى : ٤٦٣هـ) . تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ، ومُحَمَّد عبد الكبير البكري. الناشر : وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب . عام النشر : ١٣٨٧ هـ .

– **تهذيب التهذيب** . لأبي الفضل أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) . الناشر : مطبعة دائرة المعارف النظامية ، الهند . الطبعة الأولى ، ١٣٢٦هـ .

– **تهذيب الكمال في أسماء الرجال** . لأبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ). المحقق: د/ بشار عواد معروف . الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت . الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .

– **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

– **جامع بيان العلم وفضله** . لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) . تحقيق : أبي الأشبال الزهيري . الناشر : دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية. الطبعة : الأولى ، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م .

– **جامع البيان في تأويل القرآن** . لأبي جعفر مُحَمَّد بن جرير بن يزيد الطبري (المتوفى : ٣١٠هـ) . المحقق الشيخ: أحمد مُحَمَّد شاكر . الناشر : مؤسسة الرسالة .الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

– **جامع التحصيل في أحكام المراسيل** . لصلاح الدين أبي سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي العلائي (المتوفى : ٧٦١هـ) . المحقق : حمدي عبد المجيد السلفي . الناشر : عالم الكتب – بيروت. الطبعة : الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م .

- **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم** لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

- الجامع الكبير = سنن الترمذي . لأبي عيسى مُحَمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي (المتوفى : ٢٧٩هـ) . المحقق : بشار عواد معروف . الناشر : دار الغرب الإسلامي - بيروت . سنة النشر : ١٩٩٨ م . والطبعة الأخرى بتحقيق وتعليق: أحمد مُحَمَّد شاكر (جـ ١، ٢)، ومُحَمَّد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري . للإمام مُحَمَّد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي . المحقق : مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر . الناشر : دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي) . الطبعة : الأولى، ١٤٢٢هـ .

- الجرح والتعديل . لأبي مُحَمَّد عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى : ٣٢٧هـ) . ط / دار إحياء التراث العربي – بيروت . الطبعة : الأولى ، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م .

-حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، المؤلف: مُحَمَّد بن عبدالهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: ١١٣٨هـ)، الناشر: دار الجيل - بيروت.

- سبل السلام، المؤلف: مُحَمَّد بن إسماعيل بن صلاح بن مُحَمَّد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، الناشر: دار الحديث.

- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة . لأبي عبد الرحمن مُحَمَّد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) . دار النشر : دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية . الطبعة : الأولى ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

– **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها** . لأبي عبد الرحمن مُحَمَّد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) . الناشر : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض. الطبعة : الأولى ، (لمكتبة المعارف) .

– **سنن ابن ماجه** . لأبي عبد الله مُحَمَّد بن يزيد القزويني ، المعروف بابن ماجه (المتوفى : ٢٧٣هـ)، تحقيق الشيخ: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي . الناشر : دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

– **سنن أبي داود** . لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى : ٢٧٥هـ) . المحقق : مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد . الناشر : المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت .

– **سنن الدارقطني** . لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى : ٣٨٥هـ) . حققه وضبط نصه وعلق عليه : شعيب الارنؤوط وغيره . الناشر : مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان . الطبعة : الأولى ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م .

– **السنن الصغير للبيهقي** . لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقي (المتوفى : ٤٥٨هـ). المحقق : عبد المعطي أمين قلعجي . دار النشر : جامعة الدراسات الإسلامية ، كراتشي . باكستان . الطبعة : الأولى ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .

– **السنن الكبرى** . لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي (المتوفى : ٣٠٣هـ) حققه وخرج أحاديثه : حسن عبد المنعم شلبي . أشرف عليه : شعيب الأرناؤوط . الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت . الطبعة : الأولى ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

– **السنن الكبرى**. لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ). المحقق : مُحَمَّد عبد القادر عطا . الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنات . الطبعة : الثالثة ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م .

– **سير أعلام النبلاء**. لشمس الدين أبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ). المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط . الناشر : مؤسسة الرسالة . الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

– **شرح صحيح البخاري**. لابن بطال علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ). تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض. الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

– **شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بالكاشف عن حقائق السنن** لشرف الدين الحسين بن عبدالله الطيبي (٧٤٣هـ)، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

– **صحيح ابن خزيمة** . لأبي بكر مُحَمَّد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى : ٣١١هـ) . المحقق : د / مُحَمَّد مصطفى الأعظمي . الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت .

– **الصلاة وأحكام تاركها**، المؤلف: مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة.

– **الضعفاء الصغير** . لأبي عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (المتوفى : ٢٥٦هـ). المحقق : أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين . الناشر : مكتبة ابن عباس . الطبعة : الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م .

– **الضعفاء الكبير** . لأبي جعفر مُحَمَّد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي (المتوفى : ٣٢٢هـ) . المحقق: عبدالمعطي أمين قلعجي . الناشر : دار المكتبة العلمية – بيروت . الطبعة : الأولى ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .

– **الضعفاء والمتروكون** لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)

المحقق: محمود إبراهيم زايد، الناشر: دار الوعي – حلب، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦هـ.

– **العلل لابن أبي حاتم** . لأبي مُحَمَّد عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي ، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى : ٣٢٧هـ) . تحقيق : فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد ابن عبد الرحمن الجريسي . الناشر : مطابع الحميضي . الطبعة : الأولى ، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦م .

- **عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته** لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ.

– **الفتاوى الكبرى لابن تيمية**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن أبي القاسم بن مُحَمَّد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

– **فتح الباري شرح صحيح البخاري** . للحافظ أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي. الناشر: دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩هـ .رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه : الشيخ مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي . قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه الشيخ : محب الدين الخطيب.

– **الفردوس بمأثور الخطاب** لشيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو، أبو شجاع الديلميّ الهمذاني (المتوفى: ٥٠٩هـ)، المحقق: السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

– **الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة** . لمحمد بن علي بن مُحَمَّد الشوكاني (المتوفى : ١٢٥٠هـ).المحقق: عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني . الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

– **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة** . لشمس الدين أبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ) . المحقق: مُحَمَّد عوامة أحمد مُحَمَّد نمر الخطيب . الناشر : دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن ، جدة . الطبعة : الأولى ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .

– **الكافي في فقه الإمام أحمد** لأبي مُحَمَّد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن مُحَمَّد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

– **الكامل في ضعفاء الرجال** . لأبي أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى : ٣٦٥هـ) . تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي مُحَمَّد معوض . الناشر : الكتب العلمية – بيروت – لبنان . الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م .

– **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (المصنف)** . لأبي بكر بن أبي شيبة ، عبد الله بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى : ٢٣٥هـ) . المحقق : كمال يوسف الحوت . الناشر : مكتبة الرشد– الرياض . الطبعة : الأولى ، ١٤٠٩هـ .

– **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري** لمحمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (المتوفى: ٧٨٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، طبعة أولى: ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م، طبعة ثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

– **لسان الميزان** . لأبي الفضل أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ). المحقق : عبد الفتاح أبو غدة . الناشر : دار البشائر الإسلامية . الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٢ م.

– **المجالسة وجواهر العلم** لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (المتوفى : ٣٣٣هـ) المحقق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر : جمعية التربية الإسلامية (البحرين – أم الحصم)، دار ابن حزم (بيروت – لبنان)، تاريخ النشر : ١٤١٩هـ.

– **المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي** . لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى : ٣٠٣هـ) . تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة . الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب . الطبعة : الثانية ، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م .

– **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** . لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ). المحقق : حسام الدين القدسي . الناشر : مكتبة القدسي، القاهرة . عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

– **المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))** لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار الفكر.

– **مجموع الفتاوى** لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبدالرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

– **المحلى بالآثار** لأبي مُحَمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.

– **المراسيل** . لأبي مُحَمَّد عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ، ابن أبي حاتم (المتوفى : ٣٢٧هـ) . المحقق : شكر الله نعمة الله قوجاني . الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت . الطبعة : الأولى ، ١٣٩٧ هـ .

– **مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، المؤلف: أبو الحسن عبيد الله بن مُحَمَّد عبد السلام بن خان مُحَمَّد ابن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م.

–**مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح** لعلي بن (سلطان) مُحَمَّد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

– **المستدرك على الصحيحين** . لأبي عبد الله الحاكم مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن حمدويه النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى : ٤٠٥هـ) . تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا . الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت . الطبعة : الأولى ، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠م .

– **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ** . للإمام مسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى : ٢٦١هـ) . المحقق : مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي . الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت .

– **المسند** . للإمام أبي عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى : ٢٤١هـ). المحقق : شعيب الأرنؤوط – وعادل مرشد، وآخرون . إشراف: د / عبد الله بن عبد المحسن التركي . الناشر : مؤسسة الرسالة . الطبعة : الأولى ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م .

– **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار** . لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى : ٢٩٢هـ) . المحقق : محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩) ، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧) ، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨) . الناشر : مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة . الطبعة : الأولى .

– **مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)** . لأبي مُحَمَّد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي التميمي السمرقندي (المتوفى : ٢٥٥هـ) . تحقيق: حسين سليم أسد الداراني. الناشر : دار المغني للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولى ، ١٤١٢ هـ – ٢٠٠٠ م.

– **مسند الشاميين** . لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) . المحقق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي . الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت . الطبعة: الأولى ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م .

– **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه** . لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (المتوفى : ٨٤٠هـ) . المحقق : مُحَمَّد المنتقى الكشناوي . الناشر : دار العربية – بيروت . الطبعة : الثانية ، ١٤٠٣ هـ .

– **المعجم الأوسط** . لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني (المتوفى : ٣٦٠هـ) . المحقق : طارق بن عوض الله بن مُحَمَّد ، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني . الناشر: دار الحرمين – القاهرة .

– **المعجم الصغير** . لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) . المحقق : مُحَمَّد شكور محمود الحاج أمرير . الناشر : المكتب الإسلامي ، دار عمار – بيروت، عمان . الطبعة : الأولى ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥ م .

– **المعجم الكبير** . لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) . المحقق : حمدي بن عبد المجيد السلفي . دار النشر : مكتبة ابن تيمية – القاهرة . الطبعة : الثانية .

– **المغني لابن قدامة** . لأبي مُحَمَّد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن مُحَمَّد بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى : ٦٢٠هـ) . الناشر : مكتبة القاهرة .

– **المغني في الضعفاء** . لشمس الدين أبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ). المحقق : الدكتور نور الدين عتر .

– **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** . لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى : ٦٧٦هـ). الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت . الطبعة : الثانية ، ١٣٩٢ .

– **الموضوعات**، المؤلف: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، ضبط وتقديم وتحقيق: عبد الرحمن مُحَمَّد عثمان، الناشر: مُحَمَّد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولى.

– **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** . لشمس الدين أبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) . تحقيق: علي مُحَمَّد البجاوي . الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت– لبنان . الطبعة: الأولى ، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٣ م .

– **النهاية في غريب الحديث والأثر** . لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى : ٦٠٦هـ). الناشر : المكتبة العلمية – بيروت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م. تحقيق : طاهر أحمد الزاوى – محمود مُحَمَّد الطناحي.

فهرس الموضوعات

الموضـــوع
الصفحة
المقدمة ....
التمهيد ....
المبحث الأول: التسبيح في اللغة وفي نصوص الشرع ....
المبحث الثاني: فضيلة التسبيح ومنزلته وعظم أجره وثوابه) ....
المبحث الثالث: كيفية العَد في التسبيح ....
المبحث الرابع: (مواضع التسبيح وأمكنته) ....
المبحث الخامس: (التسبيح في الصلاة) ....
المبحث السادس: (التسبيح بالليل) ....
المبحث السابع: (التسبيح بعد الوضوء) ....
الخاتمة ....
فهرس المصادر والمراجع ....
فهرس الموضوعات ....

﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ [1] ﴾.

(1) سورة الصافات، الآيات (١٨٠، ١٨١، ١٨٢).